المُمْتِع في صَنعة الشِّعر

تأليف

عبد الكريم النهشلي القيرواني

تحقيق

الدكتور محمد زغلول سلام

رئيس قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية

جلال حزي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمة

عبدالكريم النهشلي وكتاب الممتع

لم يعرف الشئ الكثير عن عبدالكريم النهشلي ، فكل ما جاءنا من أخباره شذرات مفرقة هنا وهناك فى بعض المراجع لاتشفى غليلا ، ولاتعطى صورة واضحة عن حياة هذا الشاعر العالم ، وأدبه . وقد تحدث عنه ابن رشيق تلميذه فى العمدة كثيرا ونقل عنه ، وعن كتاب الممتع خاصة .

وقارئ العمدة يلقاه من حين لآخر اسم عبدالكريم ، ويستدل مما أورده ابن رشيق أنه تتلمذ لعبد الكريم فى الشعر وصنعته والعلم به ، ونقل عنه فى مواضع كثيرة من أبواب العمدة .

وقد ترجم ابن رشيق لأستاذه فى كتابه المفقود « الأنموذج » فى شعراء القيروان ، ولم تصلنا هذه الترجمة ، وربما نقل عنها من تعرضوا لسيرة النهشلى من بعد أمثال ابن منظور فى « نثار الأزهار » وابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار (١) .

ومن هذه الشذرات التى حصلنا عليها نستطيع القول بأن الشاعر العالم عبد الكريم النهشلى عاش فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، واستظل بدولة ملوك صنهاجة وبخاصة باديس بن المنصور وأبنه المعز بن باديس .

---

(١) مسالك الأبصار لابن فضل الله قسم ٢ ص ٢٩٢

وقد ذكر ابن رشيق أنه كان شاعراً صاحب مزاج خاص ، فقد كان من عادته أن يستلقى على ظهره على سطح داره ، يتأمل السماء ساعات طوالا . وأنه كان متعففاً لايقصد بشعره أحداً ، وأنه لم يهج أحداً قط ، وأنه كان يؤثر اللفظ على المعنى كثيرا فى شعره وتأليفه (١) .

ومن خلال ما وصلنا من كتاب الممتع فى صنعه الشعر ، أو فى علم الشعر وعمله كما نقله ابن منظور فى نثار الأزهار ، نرى فى عبدالكريم عالماً شاعراً يدرك من علم الشعر وعمله كثيرا ، فهو يعلم مكانة الشعر فى أهله العرب منذ نشأته وحتى عصره ، ويدرك أنه فنهم الكلامى الأول . من خلاله عبروا عن حياتهم فى صورها المادية والمعنوية ؛ وحين كانوا يسكنون بوادى الجزيرة وصحراواتها ؛ يجاورون الوحش ، فيصفون فيه وديعه ، وآمنه ، وجميله ، أو هائمه،ونافره ، وضاريه ، وتهزهم هزة النسيم لفروع الأراك ، وتحريك الظبية لغصون البان ، ويرعون بأبصارهم حيوان الوحش ، يلجأ من رخات المطر ، فيستظل بالأرطى ، أو ثنية الجبل .

ويعبرون فيه عن فرحتهم بالمطر ، يغيث الأرض العطشى فتهتز له وتربو ويخضر أديمها ، ويتطلع زمر المرتبعين إلى بطون الأودية ، يسوقون الظعائن فيخيمون حول المياه وترعى إبلهم ، وحيواناتهم ، ويعيشون هانئين ناعمين شهوراً ثم يجفوهم الغيث .. ويجف الورق ، وييبس العشب .. وتهيل رياح الصيف من الجنوب رمال الصحراء ، وتحرقهم شمسها ، فيجمعون الخيام راحلين ، مصعدين فى شعاب الجبال ومصوبين .

ويصورون أحوالهم فى منازلهم ، فكم حبيب لقى حبيبه وقت الربيع وفارقه ، وقد جفت الأرض وأبتعد الربيع .. وكم لقاء على الماء ، يتسابق إليه الحى ، ويسبق القوى ذو الأيد ويتخلف الضعيف المستذل .

---

(١) العمدة لابن رشيق ١ / ١٢٧

وتدور رحى الحرب ، فيسقط صرعى ، ويغلب قوم ويولى آخرون الأدبار ، ويؤسر سادة ، وتذل رءوس ، وترسف الحجول محصنات ، وتردف على الخيل مردفات ، ينأى بها غاصب عن بعل وولد ويستحلها بسيفه والرمح .

وتسمع من خلال الأبيات قعقعة السلاح ، وزمجرة الرعد وأنين المتوجع وحنين الثكلى ، وبكاء الورق ، وهفهفة الربيع ، ووشوشة العشرق ، والعشر

وترتفع الأصوات بالفخر ، والتمجد ، والمديح ، ويسجل الشعر خفايا النفوس ، وعادات القوم ، وما يعتقدون ، فالشعر معهم حين يهتدون ، وحين يضلون ، فى مباذلهم وخطاياهم ، أو فى مفاخرهم وحين يرشدون .

لقد قرأ عبدالكريم فى الشعر العربى هذا كله ، وعرف أنه سجل العرب وآلة غنائهم . وقد قسم أبواب كتابه على هذا الفهم لدور الشعر عند العرب .

ويرى أن « خير كلام العرب وأشرفه عندها هذا الشعر ، الذى ترتاح له القلوب وتجذل به النفوس ، وتصغى له الأسماع ، وتشحذ به الأذهان وتحفظ به الآثار ، وتقيد به الأخبار » .

ويبوب أبوابه وفق هاتين الغايتين اللتين رآها أو قرأهما فى الشعر الأولى أنه سجل حياة ، والثانية أنه غناء .
به الذود عن الأعراض ، والتعبير به والتوبيخ والتحذير والتخويف وأنه يجمع الجمال والحسن ، وفى الشعر التياط بالقلوب ومدخل لطيف إلى النفوس .

ويبدأ الحديث بمحاولة التعريف بالشعر ومبدأ ظهوره عندهم فيقول :

« قال بعض علماء العربية : أصل الكلام منثور ، ثم تعقبت العرب ذلك واحتاجت إلى الغناء بأفعالها وذكر سابقيها ووقائعها ، وتضمين مآثرها — إذ كان المنطق عندهم هو المؤدى إلى عقولهم ، وألسنتهم خدم أفئدتهم ، والمبينة لحكمهم ، والمخبرة عن آدابهم ، وأن لا فرق عندهم بين الإنسان مالم ينطق وبين البهيمة إلا بتخالف الصورة ولذلك قالوا : الصمت منام العقل ، والنطق يقظته ، والمرء مخبوء تحت لسانه حتى ينطق » .

ويتم الحديث فى فضيلة اللسان ، وفضيلة العقل ، وينبه إلى ضرر زيادة اللسان على العقل أو زيادة العقل على اللسان . ثم يعود للحديث عن نشأة الشعر فى موضع آخر فيقول :

« ولما رأت العرب المنثور يند عليهم ويتفلت من أيديهم ، ولم يكن لهم كتاب يتضمن أفعالهم ، تدبروا الأوزان والأعاريض . فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء ، فجاءهم مستويا ، ورأوه باقيا على مر الأيام ، فألفوا ذلك وسموه شعرا .

والشعر عندهم الفطنة . ومعنى قولهم : ليت شعرى . أى ليت فطنتى . والشعر عندهم أبلغ البيانين ، وأطول اللسانين ، وأدب العرب المأثور ، وديوان علمها المشهور (١)

وقد أصطنعوا له الأعاريض والأوزان ليسهل حفظه وترديده . وعرف الشعر ، وذكر أنواعه وفضائله ، ودوره فى حياتهم فقال : « .. وقال آخر : تعلموا الشعر ، فان فيه محاسن تبتغى ، ومساوئ تتقى ؛ فهو يحل عقدة اللسان ويشجع الجبان » . وقال : الشعر ثلاثة أصناف : فشعر يكتب ويروى ، وشعر يسمع ولا يوعى ، وشعر يلتذ ويروى » .

وأنشد فى نعت الشعر :

الشعر فاعْلمنّ أَربعة : فشاعر يجرى ولا يُجرى مَعَهْ
وشاعرٌ ينشد وسط المعْمَعَهْ وشاعرٌ لايُرْتَجى لمنفعَهْ
وشاعرٌ يقال : خمْرٌ فى دَعَهْ .

ويقول عبدالكريم فى الموضوع نفسه :

« . . وأفضل بيان العرب وأفصحه ما أداه عنها الشعر الجارى على ألسنتها بالبلاغة المحكمة ، والحكمة المتقنة الباقية ، مضمناً حكمها وسائر أمثالها ، شاهدا على أحسابها وكريم أفعالها ، مخبراً عن مروءاتهم فى سالف أيامهم » .

فالشعر يقوم بدور التاريخ والصحافة وأجهزة الإعلام فى الدولة العصرية وهو كتاب العلم ، والفن المتذوق تستروح به النفوس ، وتتهذب وتتأدب العقول وتتثقف .

ومن هنا يهتم عبدالكريم بما يحمل الشعر من أخبار عن أحوال العرب وقبائلهم وأنسابهم ، وأيامهم ، وأبطالهم ، ويذكر مواقفهم ومفاخرهم التى سجلت على لسانهم .

وحين يعرض للجوانب الفنية أو الموضوعات الشعرية ، فانما يعرض لها من خلال ذلك الجانب التعليمى التأديبى ، فيعرض للمديح ويرى فيه جامعاً لخصال حميدة يمكن أن يقتدى بها ، ويهتدى بهديها . يقول :

« .. ومن خير ما ينشد فى دار مقامة القوم من الشعر الجامع لخصال المديح قول حسان بن ثابت :

لله درُّ عصابةٍ نادمتُها	يومًا بجلّق فى الزمان الأوّلِ
يغشونَ حتى ما تهرُّ كلابُهم	لا يسالون عن الخيالِ المقبل
أولادُ جفنةَ حول قبر أبيهم	قبر ابن ماريةَ الكريم الأفضَلِ
بيض الوجوه ، كريمةٌ أحسابُهم	شُمُّ الأنوفِ من الطراز الأوَّل
يمشُون فى الزَّردِ المضاعفِ نسجه	مشى الجمِال الى الجمالِ البُزَّلِ

قال عبدالكريم :

« قوله : حول قبر أبيهم يعنى أنهم أرباب مدائن وقصور ، لاينتجعون من عدم ولا يرتحلون من خيم ، وأنهم حول قبور آبائهم ومنازل أوائلهم ، ودار عزهم .

ويقال : إن معنى قوله حول قبر أبيهم أنهم مقيمون على مآثره وسننه . والأول أصح »

ويمضى فى عرض ما جاء بهذا الشعر من مفاخر وصفات مديح أقرها العرب فى مجتمعهم وأشادوا بها .

ولعبد الكريم فى أثناء الحديث بأبواب كتابه وقفات واضحة ، وتعليقات لماحة تكشف عن مقدرة فى فهم الشعر ، وإلمام بأسراره : وغالباً ما نراه يعرض أمثلة شعرية متتابعة فى الموضوع الواحد. والمعنى المتفرع عليه ولايكتفى بمثال أو أثنين ، وقد يعقب الشعر بشرح موجز أو مستفيض إذا اقتضى الأمر ، كما فعل فى شعر حسان السابق .

وإذا أحتوى الشعر خبراً ، أو ذكراً لمعركة أو يوم من أيام العرب فصل الحديث عن الخبر وذاك اليوم .

ويعرض فى تعليقه لمعانى اللفظ الغريب ، وقد يثير قضايا فى النقد على صورة ما أثار القدامى من أمثال ابن سلام وابن قتيبة وابن طباطبا حول اللفظ والمعنى ، وملاءمة القول لمقصد الشاعر ومناسبته للمقام ، أو خروجه عليه ، والقصد والأعتدال ، أو المبالغة والإسراف .

وقد أورد ابن رشيق نقولا عن عبدالكريم فى أبواب البلاغة كالقول فى حسن النظم ، وفى الحذف ، والمضادة ، والتصدير ، والمطابقة وهذه الأبواب كلها مفقودة فيما بين أيدينا من نسخة الأختيار ، ولاندرى أكان من الناسخين .

ولعبد الكريم فى أختيار النصوص دور الشاعر المتذوق ، لا العالم فحسب ، وهو يروى الشعر ويحفظه ، وغالباً ما يعتمد على ذاكرته ، وقد يجرى فيه التعديل والتحويل ، فقد يقيم لفظة ، ويبدل بها آخرى أكثر مناسبة أو ينسى شطر بيت فيرده وفق ما تقيمه قريحته لا وفق ما سجله ديوان الشاعر أو روى فى كتب الأدب .

ولهذا شواهد كثيرة نبهنا إليها فى هوامش الكتاب .

وقد رجع عبدالكريم فى تصنيفه إلى مراجع كثيرة منها ماهو موجود مطبوع ، ومنها ما هو مفقود ، وتروى عنه نقول ، ومثال الأول ما رواه

عن ابن سلام الجمحى فى كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، وما رواه عن ابن قتيبة فى « معانى الشعر الكبير » و « الشعر والشعراء » وإن لم ينص عليه كما نص على ابن سلام . ومثال الثانى ما رواه عن الزبير بن بكار دون تخصيص كتاب ، وله نسب قريش وغيره من كتب الأنساب والأخبار وتتردد فى الكتاب أصداء آراء بعض العلماء والنقاد أمثال ابن طباطبا والباقلانى والآمدى ونظن أنه وقف على بعض كتبهم .

ولاشك أن مختار الكتاب قد أسقط فصولا منه ، وإلا ما سماه مختاراً وسماه مختصراً ، كما أنه أسقط كثيرا من السند وأسماء بعض العلماء .

نسخة الأصل :

وقد أعتمدنا فى تحقيق هذا الأختيار على نسخة وحيدة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤ أدب . هى مجموعة أوراق لايتبين أولها قد أختلطت أبوابها . تبدأ بباب لا نظن أنه بدايتها ، وتأتى البداية بعده إذ ينص الناسخ على أنه « من هنا يبدأ أختيار الممتع » . ثم ينتهى إلى لانهاية . بل هى نهاية مبتسرة مقتطعة . ولهذا فنظن النسخة تعرضت للعبث والضياع .

وقد حاولنا إعادتها إلى أصلها ، وترتيب ما بين أيدينا من أبوابها الترتيب الذى رأيناه مناسباً وموافقاً لتسلسل الحديث مهتدين ببعض ما جاء فيها من القول مؤذنا ببداية وسبق أو مشيراً إلى تأخر ولحق . وأعتمدنا على كتاب العمدة لأبن رشيق رائداً يكشف لنا الطريق

والنسخة مكتوبة بخط النسخ المقروء دون بداية ، ولاختام ، ولابيان لاسم الناسخ أو زمن النسخ .

وقد عنون لها بعنوان مضلل هو « كتاب الكامل للمبرد » ثم ضرب عليه وصحح بأنه كتاب اختيار الممتع لعبدالكريم على ما جاء فى صفحات المخطوط

وختم الكتاب بالختام المضلل الذى بدأ به ، ولكن المصحح نفسه عاد فصوب الخطأ .

وهكذا فان هذه النسخة لايمكن الزعم بأنها كل كتاب « الممتع فى صنعة الشعر » أو « فى علم الشعر وعمله » لعبد الكريم النهشلى ، وانما هى ما أتيح لنا منه على قدر ما سمح به الزمن . وقد آثرنا أن نعجل باظهاره للنور ونشره محققا حتى لاتختفى هذه الآثار الباقية منه ، لعل الله أن ينفع بها وتلقى ضوءاً على الكتاب نفسه .

وآثرنا كذلك أن نشفع تحقيقنا لأختيار الممتع بما نقله ابن رشيق عنه فى كتاب العمدة وهو كثير فى أبواب مختلفة ، وجعلنا تلك النقول فى ملاحق الكتاب حتى يتم النفع وتضيف إلى معالم الكتاب معلما جديداً وإلى ملامحه خطوطاً وذيلنا هذا كله بفهارس موضحة للأعلام وقوافى الشعر والموضوعات .

وبعد فغايتنا أن نخدم علم النقد ، ونقدم للباحثين ثمرة من ثماره الناضجة إن لم تكن كاملة فبعضها ، ولعل فيه بلغة ، وبه تكتمل حلقة فى سلسلة هذا التراث .

والله الموفق والمستعان على مافيه الخير والسداد

محمد زغلول سلام

من هنا ابتدأ منتخب الممتع من أوله

أفضل كلام وأعزه وأكرمه ، وأعظمه بركة ، وأعوده بصالحة كتاب الله العزيز الذى عجزت عنه خطباء العرب فى عنفوانها ، وشعراؤها فى إبانها فهو يجل عن سجع المتكلمين ، ويعظم عن وزن المتكلفين من الخطباء والشاعرين وأنه معجزة باقية لأكرم أنبياء الله ، وخيرته من خلقه ، صلى الله عليه وسلم ، ورحم وكرم . ثم خير كلام العرب وأشرفه عندها هذا الشعر الذى ترتاح له القلوب ، وتجذل به النفوس ، وتصغى إليه الأسماع ، وتشحذ به الأذهان وتحفظ به الآثار ، وتقيد به الأخبار .

قال بعض العلماء بالعربية : أصل الكلام منثور ، ثم تعقبت العرب ذلك واحتاجت إلى الغناء بأفعالها وذكر سابقيها ، ووقائعها ، وتضمين مآثرها ، إذ كان المنطق عندهم هو المؤدى عن عقولهم ، وألسنتهم خدم أفئدتهم ، والمبينة لحكمهم ، والمخبرة عن آدابهم ، وأن لافرق عندهم بين الإنسان مالم ينطق ، وبين البهيمة إلا بتخالف الصورة ، ولذلك قالوا : الصمت منام العقل ، والنطق يقظته ، والمرء مخبوء تحت لسانه حتى ينطق . وقالوا : ترك الحركة للسان عقلة ، وإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره . وأجمعوا على أستحسان الكلام مع الصواب كما أجمعوا على كراهة الكلام مع الإسهاب ، وكرهوا زيادة المنطق على الأدب ، وزيادة الأدب على المنطق حتى قالوا : زيادة منطق على أدب خدعة ، وزيادة أدب على منطق هجنة . وقال محمد بن عبدالله بن عباس : إنى لأكره أن يكون الرجل لعمله فضل على عقله ، كما أكره أن يكون للسانه فضل على علمه . وقيل لرجل من ملوك العرب : متى يكون العلم شراً من عدمه ؟ . قال : إذا كثر الأدب ونقصت القريحة .

وقال لبيد بن ربيعة لأبى براء عامر بن مالك :

لا تسقنى بيديك إن لم ألتمس   نَعَمَ الضَّجُوعِ بِغَارةٍ أَسْرَابِ(١)
بمُقَطَّعٍ حلَقَ الرِّحَالةِ سابحٍ   بادٍ نواجذه على الأَضْرابِ
يحملن فتيانَ الوغى من جعفر   شعثاً كأَنهم أسودُ الغاَبِ
يرعون منخرق اللَّديدِ كأَنَّهم   فى العزّ أُسرةُ حاجب وشهاب(٢)
متظاهرى حلق الحَديد عليهِم   كبنى زُرارةَ أَو بنى عتابِ
قومٌ لهم عرفتْ معدٌّ فضلَها   والحقٌّ يعرفُه ذَوو الأَلْبَابِ

وقد أخذ هذا على لبيد لأنه وضع قومه ، ورفع عليهم من هم مثلهم ولا يتجاوزهم فى كثير شرف .

والعرب تقول لمن تعاطى من العلم مالا يحسن : عاط بغير أنواط . والعاطى المتناول للشئ ، والأنواط كل شئ معلق ، وأحدها (نوط)

وقال العتابى : إن العقل إذا ميز حقاً من باطل هدى اللسان إلى إبانة ذلك وأوحى إليه التعبير عنه . وقال جرير : (٣)

عوَى الشعراءُ بعضهم لبعض   علىَّ فقد أَصابَهُم انتِقَامُ
إذا أَرْسلت صاعقة عليهم   رَأَوا أُخْرى تُحرِّقُ فاستقاموا(٤)

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة ص ١٧ طبع دار صادر بيروت
والضجوع : قبائل ضبينة بن غنى ، وقيل اسم واد . وغارة أسراب : تجىء أسراباً .
(٣) ديوان جرير من قصيدة :
متى كان الخيام بذى طاوح   سقيت الغيث أيتها الخيام
ص ٤١٧
(٤) فى الديوان « إذا أوقعت صاعقة عليهم »

عوى الشاعر مثل عوى الذئب

ولآخر :

وموقف مثل حد السيف قمت به ... أَحْمى الذِّمارَ وترميني به الحدَقُ

فما زلقْتُ وما أُلفِيتُ ذا خَطلٍ ... إذا الرجالُ على أمثالها زَلقوا

وقد عاب عليه من لا يبصر له نحو هذا الكلام . ولا جهبذة عنده بانتقاد الألفاظ واستخراج معانى شعر العرب ، استخفافا به وتقصيرا بما فيه وجهلا

كم عسير كان الشعر فرج يسره ، ومعروف كان سبب إسدائه ، وحياة كان سبب استرجاعها ، ورحم كان سبب وصلها ، ونار حرب أطفاها وغضب برده ، وحقد سله . وغناء أجتلبه .

وكم اسم نوه به ، ورجل منسى عرف باسمه ، وكم شاعر سعى بذمته ، فرد حمى بعدما أبيحت ، وأهلا بعد ما سبيت ، وفك من أسارى أكتب أيديها القيد ، وعنّها سلاسل القيود . قال عمرو بن معدى كرب : (١)

يدا ما قد بَدَيتُ إلى حصينٍ ... بأمر غير منبتر اليقينِ

رددتَ له مخاضاً تالياتٍ ... نبيلاتِ المحاجر والعيونِ

وقدِمًا كنت جارك نصف يوم ... فأَبشِرْ إنَّ سهمَك فى اليَمين

فقال بديت عند الرجل يداً صالحة ؛ وأبديت فأنا مبد. اتخذت عنده يداً والتاليات : الأواخر ، والمخاض : الإبل .

قال أبو عبيدة : قريش البطاح قبائل كعب بن لؤى بنو عبد مناف . وبنو عبدالدار وعبد العزى بن قصى ، وبنو زهرة ابن كلاب ، وبنو مخزوم

---

(١) عمرو بن معدى كرب الزبيدى ، يمنى شاعر مخضرم ، قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى رجال من بنى زبيد بعد غزوة تبوك فى رجب سنة ٩ هـ ، فاسلم وشهد القادسية ونهاوند ، وبها قتل .

يقطه ، وبنو تيم بن مرة ، وبنو جمح وسهم ابنى هصيص بن كعب ، وبنو عدى بن كعب ، وبعض بنى عامر بن لؤى . فلما كثر بنو كعب وبنو عامر بن لؤى أخرجوا بنى الحرث وبنى الحارث بن فهر من البطاح إلى الظواهر .

وقال نابغة بنى جعدة :

وشاركنا قريشا فى نقـاهـا   وفى أنسابها شرك العنـان
بما ولدتْ نساءُ بنى هـلالٍ   وما ولدت نساءُ بنى أبانِ

شرك العنان : أى يشترك رجلان فى شئ خاص كأنه عَنّ لهما ، أى عرض ، وأبان هو ابن معيط . قال الشاعر :

من سرَّه لحمٌ وشحمٌ راهنٌ   فليأْت قبَّةَ عقبةَ بن أبانِ

وقتله — أى عقبة بن أبان — .. رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء على الشرك ، وقال : من للصبية والأرامل ؟ . قال : النار . وقتل معه بالصفراء النضر بن الحارث ، فعرضت له أبنته قتيلة(١) وهو يطوف بالبيت فاستوقفته صلى الله عليه وسلم ، وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وأنشدته شعرها بعد قتل أبيها ، وهو :

يا راكباً إن الأُثيل مظنَّةٌ   من صبح خامسةٍ وأنْتَ مُوَفَّقُ(٢)
أُبلغ به مَيتاً بأَن قصيـدةً   ما إن تزالُ بِها الركائب تَخْفُقُ

---

(١) وقيل هى قتيلة أخت النضر بن الحارث بن كلدة أحد بن عبد الدار ، أمر النبى عليا رضى الله عنه أن يضرب عنقه ، وكان النضر يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ويقول : محمد يأتيكم بأخبار عاد وثمود ، وأنا آتيكم بخبر الأكاسرة والقياصرة . ويروى ابن رشيق الخبر عن عبد الكريم ، العمدة ١ / ٥٦

(٢) الأبيات فى حماسة أبى تمام (باب المراثى) / والبيت الثانى فى الحماسة : « بلغ به ميتا فإن تحية ...

مِنِّيَ إليك وعَبرةً مسفوحةً جادَتْ لما تحَها وأخرى تخنقُ

فَليسمعنَّ النضْر إن ناديتهُ إن كانَ يسمعَ ميِّتٌ لا ينطقُ

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه للهِ أرحام هناك تشققُ

قَسْرًا يُقادُ إلىّ المنية متعباً رَسْفَ المقيد وهو عانٍ موثقُ

أمحمدٌ ولأنت صنو كريمةٍ من قومها والفحل فحلٌ معرِقُ(١)

ما كانَ ضرَّك لو مننت وربما منَّ الفتىَ وهو المغيظ المحنَقُ

فالنضرُ أقربُ من أصْبتَ وسيلةً وأحقُّهم إن كانَ عتق يُعتقُ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته .

وقال بعض القرشيين :

فإني لمن قومٍ كرامٍ ثناؤهم لأقدامهم صيغت رؤوس المنابر

خلائفُ فى الاسلام والشركِ قادةٌ بِهِمْ واليهم فخرُ كلّ مفاخرِ

وقال آخر :

على خشبات الملك منه مهابةٌ وفى الدرع ميل الساعدين فروعُ

يشقُّ الوغى عن بأسه صدق جده وابيض من ماءِ الحديد وقيع

وقال الفرزدق فى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان : (٢)

كل امرىءٍ يرضى وإن كان كاملاً إذا كانَ نصْفاً من سعيد بن خالدِ

له من قريشٍ طيبوها وقبْضها وإن عَضَّ كفَّىْ أُمِّه كلُّ حاسِدِ

---

(١) فى الحماسة : « أمحمد ولأنت ضن نجيبة ... » وراجع العمدة ١ / ٥٦

(٢) ديوانه ص ١٨٠

وكان الفرزدق كثير الانتجاع للشرفاء بالمدينة ، ولذلك شكاه أهل المدينة لعمر بن عبدالعزيز فى وقت خصاصة ، فأمره بأن لايتعرض لهم ، ودفع إليه أربعة آلاف درهم .

وكان سعيد هذا من أكثر قريش مالا . يقول إذا أبرقت السماء : أمطرى حيث شئت ، فلا تمطرين على بلد إلا ولى فيه مال .

وكان محمد بن الدبياج بن عبد الله بن عمرو بن عثمان يفد على الأمراء ، فاذا انصرف مر بابن عمه سعيد بن خالد فأقام عنده بعض المقام ، فقيل له فى ذلك فقال : إنه يصلنى كلما مررت به بألف دينار ، وهى تقع منا موقعا .

وسعيد هو أبوسلمى التى يقول فيها الوليد بن يزيد بن عبدالملك : (١) .

دعوا إلىّ بسلمى والشراب وقينة ... منعمةٍ حَسْبِى بذلك مالاَ

خذوا ملككم لا بَيَّت الله مُلككم ... فليس يساوى فى الحياة عقالا

إذا ما صفا عيشى برملةِ عالجٍ ... وعانقت سلمى لا أُريد بدالا

ومر الفرزدق بعد نهى عمر له بعبد الله بن عمرو بن عثمان وهو جالس فى دهليزه وعليه عمامة خز حمراء ، وجبة خز ومطرف . قال : (٢)

---

(١) الوليد بن يزيد حادى عشر خلفاء بنى أمية ، ولى الخلافة سنة ١٢٥ ﻫ بعد موت هشام بن عبد الملك وكان شاعراً ، عاكفاً على شرب الخمر والغناء ومعاشرة النساء ، وقتل سنة ١٢٦ ﻫ . وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر (المختصر لأبى الفداء ١ ٪ ١٢٥ – ١٢٧) .

(٢) ديوان الفرزدق ٣٦١ : « أعبث الله أنت أحق ماش » ، ووواية العجز : « وساع بالجماهير الكبار » ويقدم للقصيده بقوله : « وقدم الفرزدق فى المدينة وعليها عمر بن عبد العزيز فى سنة فقيل لعمر إن الفرزدق قد قدم فيسأل الرجل فإن لم يرضه هجاه وإن أرضاه جهد نفسه .. وبعث إليه عمر فأعطاه ألف درهم وقال : إنك قدمت على قريش وقد جهدت فلا تسألن أحداً شيئاً ، فضمن له ذلك . وأنشد عبد الله بن عمرو بن عثمان قوله هذا »

أعبدَ الله إنك خير ماشٍ　　وساعٍ بالجرائم الكبارِ

نمى الفاروق أمّك وابنُ أروى　　أباك فأنتَ منصدعُ النهارِ

هُما قمر السماء وأنتَ نجمٌ(1)　　به فى الليل يدلج كلُّ سارِ

فخلع عليه ثيابه ، ودفع إليه عشرة آلاف درهم . فاتصل ذلك بعمر ، فأحضره وقال : ألم اتقدم إليك بأن لا تعرض بمدح ولا هجاء ، لقد أجلتك ثلاثا ، فان أحدثت بعدها نكلت بك . فخرج وأنشأ يقول : (2)

فأوعدنى وأجّلنى ثلاثاً　　كما وعِدَت لمهلكها ثمودُ

وأم عبدالله بن عمرو بن عثمان حفصة بنت عبدالله بن عمر بن الخطاب.
وفى محمد الديباج يقول أبو وجزة السعدى : (3)

وجدنا المحضَ الابيض منقريش　　فتىً بين الخليفة والرسول

أتاك المجد من هنّا وهنّا　　وكنت له بمعتلج السيولِ

فما للمجد دونك من مبيتٍ　　وما للمجد دونكَ من مَقيلِ

فِدًى لك من يصد الحقّ عنه　　ومَن يرضى أخاه بالقليلِ

فلولا أنت مارحلت ركابى　　مؤثلَةً ولا حمدت رَحِيلى

---

(1) رواية الديوان : « وأنت بدر »

(2) ديوانه ص ١٨٥ وقدم له بقوله : « أبلغ عمر أن الغرزدق وقف بباب عبد الله بن عمرو ينشده مدحا فأرسل إليه قائلا : « ألم أنهك وأخبرك بحال القوم . أخرج عنا فقد أجلتك ثلاثاً » .

(3) أبو وجزة السعدى هو يزيد بنى عبيد من بنى سعد بن بكر بن هوازن من بنى سعد آظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر مجيد ، راوية للحديث ، ثقة — ترجمته فى الأغانى ١٢—٢٣٩ والشعر والشعراء ٦٨٤ .

وقدم ابن مياده ، واسمه الرماح بن أبرد المرى المدينة زائراً لعبد الواحد بن سليمان وهو أميرها ، وكان عبدالواحد جواداً . وفيه يقول بعضهم .

ما كان بين وعْدِهِ وعطائِه إلا كواو العطف [بين كلام]

وكان ابن مياده ليلة عنده سمره ، فقال عبدالواحد لأصحابه : إنى أهم أن أتزوج ، أفلا تبغونى أيما ؟. فقال له الرماح : أنا أدلك — أصلحك الله . فقال وعلى من يا أبا الشرحيل ؟ . قال : قدمت عليك — أصلحك الله — فلما دخلت مسجدكم إذا أشبه شئ به وبمن فيه الجنة وأهلها ، فو الله بينما أنا أمشى فيه إذ قادتنى رائحة عطر رجل حتى وقعت عليه ، فلما وقعت عينى عليه استبانى حسنه ، فما أقلعت عنه ، فما زال يتكلم كأنما يتلو زبورا ، أو يدرس إنجيلا أو يقرأ قرآنا حتى سكت ، فلولا معرفتى بالأمير ما شككت أنه هو خرج من داره إلى مصلاه فسألت من هو ؟ ، فاخبرت أنه بين الحيين للخليفتين ، قد قد نالته ولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لها ساطع من غرته فى ذؤابته . نعم حشو الرجل وابن العشيرة . إن اجتمعت انت وهو على ولد ساد العباد ، وجاب وجوه البلاد . قال : فلما قضى ابن مياده كلامه قال عبدالواحد ومن حضر : ذلك محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ، أمه فاطمة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم . فقال ابن ميادة : هم لهم نبرة لم يعطها الله غيرهم وكل عطاء الله فضل مقسم . هذا محمد بن عبدالله بن عمرو الديباج أخو عبدالله بن حسن بن حسن لأمه ، وقتله أبو جعفر ، وجلده بالسياط حتى فقأ عينيه ، ومات بقطع رأسه ووجهه إلى شيعته بخرسان ، وذلك بعد خروج محمد بن عبد الله بن حسن ، وكتب إليهم : « وجهت إليكم برأس محمد بن عبدالله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم » . يوهمهم بذلك أنه رأس المهدى ، ثم قتل المهدى بعد .

وكان حسن بن حسن خطب إلى عمه الحسين بن على فقال له : يا ابن أخى قد انتظرت هذا منك انطلق معى ، فأدخله منزله ، وأخرج له ابنتيه فاطمة وسكينة ، وقال : اختر . فاختار فاطمة ، فزوجه إياها ، فكان يقال إن امرأة مكنته من دولتها لمنقطعة الحسن . فلما حضرت الحسن الوفاة قال :

إنك امرأة مرغوب فيك ، وكأنى بعبدالله بن عمر إذا خرج بجنازتى قد جاء على فرس مرجلا جمته ، لابسا حلته يسير فى جانب الناس ، معرضاً لك ، فانكحى من شئت سواه ، فانى لا أدع فى الدنيا ورائى هما غيرك . فقالت له : فأمن من ذلك . وأثلجته بالأيمان من العتق والصدقة لاتزوجته . ومات الحسن فخرج بجنازته فوافاه عبدالله بن عمر فى الحال التى وصف الحسن. وكان يقال لعبد الله : المطرف ، من حسنه ، فنظر إلى فاطمة حاسراً تضرب وجهها ، وعرف ذلك فيها ، فلما حلت أرسل إليها يخطبها ، فقالت : كيف بيمين ؟ . فأرسل إليها مكان كل مملوك مملوكين ، ومكان كل شىء شيئين ، فنكحته وولدت محمد الديباج .

والقاسم لاعقب له ، ورقية بنت عبدالله ، فكان عبدالله بن حسن يقول ، وهو أكبر ولدها : ما أبغضت بغض عبدالله بن عمر واحداً ، ولا أجبت حب أخى أحداً .

* ومن كتاب الممتع لعبد الكريم فى فضل الشعر وما تعلق به وانضاف إليه من خبر أو شعر قال :

« لما رأت العرب المنثور يندّ عليهم ويتفلت من أيديهم ، ولم يكن لهم كتاب يتضمن أفعالهم تدبروا الأوزان والأعاريض ، فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء فجاءهم مستويا . ورأوه باقيا على مر الأيام ، فألفوا ذلك وسموه شعراً .

والشعر عندهم الفطنة . ومعنى قولهم : ليت شعرى أى ليت فطنتى . والشعر أبلغ البيانين ، وأطول اللسانين . وأدب العرب المأثور ، وديوان علمها المشهور . ولموضع قدر الشعر فى العرب قال رؤبة بن العجاج فى الحرب التى كانت بين بنى تميم والأزد : يابنى تميم أطلقوا من لسانى . أى افعلوا ما أقول فيه . وقالت بنو تميم لسلامة بن جندل : مجدنا بشعرك . فقال : افعلوا حتى أقول . ويقال إنه أرتج على النابغة أربعين سنة ثم كانت لبنى جعدة وقعة ظهروا فيها على عدوهم ، فاستخف النابغة الفرح فراض القريض ، فلان له ما كان استصعب عليه ، فقالوا : والله لنحن باطلاق لسان شاعرنا أسر منا بالظفر بعدونا .

قال عمرو بن معدى كرب : (١)

فلو أنَّ قومى أَنطقتنى رِماحُهم نطقتُ ولكنَّ الرِّماح أَجرَّتِ

* وكان الشاعر فى الجاهلية إذا نبغ فى قبيلة ركبت العرب إليها فهنأتها به ، لذبه عن الأحساب ، وانتصارهم به على الأعداء . وكانت العرب لاتهنئ إلا بفرس ينتج أو مولود ولد ، أو شاعر نبغ . هكذا زعمت علماء العرب . وقال سليمان بن عبدالملك ليزيد بن المهلب : من أعز أهل البصرة ؟ . قال : نحن وحلفاؤنا من ربيعة . فقال عمر بن عبدالعزيز — وكان حاضراً — : من تحالفتم عليه أعز . وكانت بنو بكر بالبصرة حلفاء الأزد ويداً معهم على بنى تميم . وكذلك كانت فى الجاهلية أشد الناس عداوة لبنى تميم ، واكثرهم غارات على قرابة ما بينهما . قال العجاج :

إن تميما كانَ شيخا نائلاً زوَّج هنداً بنت مُرٍّ وائِلا

وكان تميم بن مر خال بكر بن وائل ، وذلك أن وائل تزوج هند بنت مر وتزوج بكر هند بنت تميم . وقال عمرو بن دراك العبدى يعيب تحالف الأزد على تميم :

وإنى إن قطعتُ حبالَ قيسٍ وحالفت المزون علىٍ تميم
لأعظم فجرة من ابى رعالٍ وأجور فى الحكومة من سدَوم
تميمٌ أُسرتى وهم جناحى وقيس من أَديمهم أديمى

---

(١) عمرو بن معدى كرب الزبيدى من شعراء اليمن — شاعر مخضرم فارس — قدم على رسول الله فى وفد من زبيد سنة ٩ هـ فأسلم وشهد القادسية ، فأبلى بلاء حسناً ، وشهد نهاوند وبها قتل . والبيت من قصيدة فى الحماسة مطلعها :

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها جداول زرع أرسلت فاسبطرت

وأجرت من الإجرار وهو شق لسان الفصيل لئلا يرضع أمه — يريد أن عدم بلاء قومه منعت لسانه من القول فى مديحهم والتفاخر بهم .

وقال زياد الأعجم (١) فى مثل ذلك :

بكرينا إلى المرّانِ بكرَ بن وائلٍ — عــلانيةً من حِلف كلِّ يمَانِي
فَراش إذا ما احتاج للحلم منهم — وذبــان أطماع لــكلّ مكانِ
فجرّوا خصاكم وابتغوا من تحالفوا — من الناس حيناً غير أزد عمانِ

وقال بعض بنى تميم :

عَزَلْنا وأمَّرْنَا وبكر بن وائــلٍ — تجُــرُّ خُصَاها تبتغى من تحالفُ
ومَا باتَ بكرىٌّ من الدهر ليلة — فيصبح إلاّ وهو للذلِّ عارفُ

وقال المدائنى : حضر مجلس عباد والى مصر جماعة من العرب فتذاكروا فتح مصر ، وكان هاشم بن جديح الكندى حاضراً ومعه جماعة من العرب اليمن فقال : البلد بلدنا ، نحن فتحناه بأسيافنا ، ونحن أهله . وحضر أبو العباس الزهرى بعد ذلك مجلس عباد ، وفيه هاشم فأخبره عباد بقول هاشم ، فقال : كذب . البلد بلد من كان فى عسكره ألف مثل ابن هذا . خسئوا لايعرفون .

وقال زياد : والله للكوفة أشبه بالبصرة من بكر بن وائل بتميم .

وقال شاعر فى استدعاء ما يكون من القوم ليقول فيه :

وقافيةٍ قيلت لكم لم أجد لها — جوابا إذا لم تضربوا بالمناصِلِ
فأنطق فى حقٍّ بحقٍّ ولم يكن — ليدحض عنكم قالة الحقِّ باطِلِ

وقالت بنو أسيد بن عمرو بن تميم لأوس بن حجر شاعر مضر فى الجاهلية قل فينا . قال : أبلوا حتى أقل . وهمت بنو تميم أن تفر يوم صفين ، فقال الأشهب بن رميلة : أين يابنى تميم . قالوا : ذهب الناس . قال : ويلكم !

---

(١) زياد الأعجم : هو زياد بن سليمان مولى عبد القيس أحد بنى عامر بن الحارث سكن اصطخر ، وكانت به لكنة فى لسانه ولذلك لقب بالأعجم ، شاعر أموى مجيد .

تضرون وتعتذرون ؟ . وقال رؤبة لخطيب من بنى أسيد — وهم رهط أوس بن حجر :

لقد خَشِيتُ أن تكونَ ساحِراً   راويةً مرًّا ومرًّا شاعِرا (١)

فجعل نظير الشعر فى الحكمة السحر الذى هو أعذب شئ وأدقه وألطفه .

وقال عمر رضى الله عنه : نعم ما تعلمته العرب الأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته ، فيستنزل بها اللئيم ، ويستعطف بها الكريم . وقال الحجاج لمساور بن هند : لم تقول الشعر ؟ قال : أسقى به الماء ، وأرعى به الكلأ وأقضى الحاجة فان كفيتنى ذلك تركته . ومساور بن هند شريف . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لابيه مساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة (٢) على رئاسة غطفان . ومساور الذى يقول :

جَزَى الله خيراً عالياً من عشيرةٍ   إذا حدثان الدهر نابت نوائبه

فكم دفعوا من كربةٍ قد تلاحمت   علىَّ وموج قد علتنى غوارِبُهْ

إذا قلتُ عودوا عاد كلُّ شمردلٍ   أشَّم من الفتيانِ جزلٌ مواهبه

إذا أخذَتْ بزل المخاضِ سلاحُها   تحرد فيها متلف المالِ كاسبُه

* كان الحجاج كره لمساور إذ كان شريفاً قول الشعر لقولهم : الشعر أدنى مروءة الشريف ، وأسرى مروءة الوضيع . وكبر مساور وعمر عمراً طويلا وحدث من رآه مقيداً قد عظم شعره ، واسترخت أذناه ، وقطع له حفش ، ووكلت به امرأة تقوم عليه ، فقام يوماً حتى قعد فى وسط البيت ، فكوم

(١) العمدة ١ / ٢٧ وعلق عليه ابن رشيق بقوله : « فقرن الشعر أيضاً بالسحر لتلك العلة ويروى أيضا : « قد حسنت » بسين مضمومة غير معجمة ونون والتاء مفتوحة .

(٢) مساور بن هند بن قيس بن زهير . شاعر إسلامى مقل : كان سيداً فى قومه ، يقول : الشعر وتهاجى هو ومرار وبعض شعراء عصره .

كومة من تراب ثم أخذ بعرتين فجعلها على رأس الكومة ، ثم أرسلها فقال : أرسلت الجواء والبلندج . ثم نظر فقال : سبقت الجواء ، فبصرت به المرأة فأقبلت تهودل ، وهو يدور حتى دخل الخفش أمامها وهى لاتنى تعنفه .

والبلندج : الناقة العظيمة السمينة ، والحفش ما قطع له فى البيت لصغره .
وقال المساور للمرار الفقعسى :

ماسرّنى أنَّ أُمى من بنى أسدٍ وأنَّ ربّى ينجينى من النَّارِ
وأنهم زوّجونى من بناتِهم وأن لى كلّ يومٍ ألف دينارِ

قال الشاعر :

شقيت بنو أسدٍ بشعر مساورٍ إِنَّ الشقىَّ بكل حَبْلٍ يُخْنَقُ

وقال عمر رضى الله عنه : الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه .
وقال على رضى الله عنه : الشعر ميزان القوم (١)

* وذكروا أن البلاغة إذا وقعت فى المنثور والمنظوم كان الشاعر أعذر وكان العذر على صاحب المنثور أضيق . وذلك أن الشعر محظور بالوزن محصور بالقافية، والكلام ضيق على صاحبه (فيه) ، والمنثور مطلق غير محصور فهو يتسع لقائله .

* وقال النبى صلى الله عليه وسلم للعلاء بن الحضرمى : هل تروى من الشعر شيئاً ؟ . فأنشده :

حَىِّ ذَوِى الأَضْغَان تَسبْ قُلُوبَهم تحيتُكَ الحُسْنى وقد يرقَعُ النَّغَلْ
فإن دحسوا بالكره فاعف تكرُّمًا وان حبسوا عنك الحديث فلاتسلْ
فإنَّ الذى يؤذيك منه سماعُه وإن الذى قالوا وراءَكَ لم يُقَلْ

---

(١) فى العمدة : « وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الشعر ميزان القول ، ورواه بعضهم (الشعر ميزان القوم) . ١ / ٢٨

فقال النبي عليه السلام : إن من الشعر لحكما .

* وقال عبدالله بن مسلم بن قتيبة : إن الله تعالى رفع بالشعر أقواما فى الجاهلية والإسلام وأحظاهم بما سير المادحون من مدائحهم فى البلاد حتى شهروا بأطوار الأرض ، وعرفوا بأقاليم العجم . ودونت فى الكتب آثارهم ، وألحق الله تعالى لعسارهم ، وأعفاهم حميد أفعالهم ، فمن شيد من أعقابهم ما أسسوا له ، وثمـــر ما غرسوا ، أضاف تالداً لطارف . ومن لم تكن له همة فى تشييده فله مع السقوط مزية تقديم فضل آبائه ، لا يمتنع الناس له من إكرامه ورفع مجلسه ، والرقة عليه ، وذكر فضائل سلفه ، واغتفار ما يأتى من زلله . ولهذا رغب الأولون فى الذكر الجميل ، وبذلوا فيه مهج النفوس وعقائل الأموال ، ورغبوا عن الخفض والدعة إلى نصب المسير ، ومكابدة حر الهواجر ، وسرى الليل ، ومقارعة الأقران ، ومنازلة الأبطال .

ومن عجيب الشعر أن مديح النفس والثناء عليها قبيح على قائله ، وزار عليه إلا فى الشعر . وقد اغتفروا الضرورة فى الشعر ، ولم يغتفروها فى غيره ، رغبة فى تخليد أخبارهم . وكانوا لايكتبون فجعلوا روايته بمقام الكتاب .

* وقال محمد بن سلام الجمحى إن القصيد حديث الميلاد ، وإنما قصد الشعر على عهد هاشم بن عبد مناف أو عبدالمطلب بن هاشم ، وإنما كانت العرب تقول الأراجيز والأبيات اليسيرة فتحفظ ، ويتغنى بها . قال الجاحظ : قال امرؤ القيس :

لا حميرىٌّ قعا ولا عدُسٌ ولا است عنزٍ يحكهُّا البقرُ

وكان زرارة من أسنان بنى عدس بن زيد ، وهو أول المقصدين ، ومهلهل بن ربيعة ، فيقال : إن بين موت زرارة بن عدس إلى أن جاء الإسلام مائة وخمسون سنة .

* وقد قيل إن لليونانيين كلاماً موزونا باسائهم يتغنون به ، وليس بكثير غالب عليهم . وبالشعر يتمثل . قال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم يوم صفين متمثلا :

أمـرتهم أمـراً بمنعرج اللِّوَى ... فلم يستبينُوا الرُّشْدَ إلاضحى الغَدِ(١)

فلما عَصونى كنتُ فيهم وقد أرَى ... غَوَايَتهُم وأنَّنِى غيرُ مُهْتـدِ

وما أنا إلاَّ من غُزَيَّةَ إن غوَتْ ... غوَيْتُ وإن ترشُدْ أُرشدِ

* وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر فقال : مانع لحوزته ، مطاع فى أنديته ، شديد العارضة . فقال الزبرقان أما إنه علم أكثر مما قال ، ولكنه جبذنى شرفى . فقال عمرو : أما لئن قال ماقال ماعلمته إلا ضيق العطن ، زمن المروءة ، أحمق الأب ، لئيم الخال ، حديث الغنى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكلامان ياعمرو ؟! . لما رأى قوله أختلف ، ورأى الإنكار فى عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت . وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الأخرى . فقال النبى عليه السلام عند ذلك : « إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكما » . أى يلزم الشعر كما يلزم من الحكم . (٢)

قال حبيب (٣) :

---

(١) الشعر لدريد بن الصمة وهو مشهور ويروى فى كثير من مجموعات الشعر العربى راجع الأصمعيات ص ١٠٧ طبع دار المعارف

ورواية البيت الأول : « أمرتهم أمرى » ، والثـانى : « كنت منهم »

وغزية عشيرته الأقربون ، وينسبون إلى غزية بن جشم أحد أجداد دريد .

(٢) فى العمدة : « وجعل من الشعر حكماً لأن البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل والباطل بصورة الحق لرقة معناه ولطف موقعه » . العمدة ١ / ٢٧

(٣) ديوان أبى تمام ٢٨٦/ ٢٨٧ . والبيتان مفترقان فى القصيدة وثانيهما فى الديوان قبل الأول ورواية الأول :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى ... بغاة الندى من أين تؤتى المكارم

وهما من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبى دؤاد مطلعها :

ألم يأن أن تروى الظماء الحوائم ... وأن ينظم الشمل المبدد ناظم

ولولا سبيلٌ سَنَّها الشعر مادَرى بغاةُ العُلا من حيث تبنى المكارم

ترى حكمة ما فيه وهو فكاهــة ويقضى بما يقضى به وهو ظالمُ

* وكان عمرو بن الأهتم خطيباً ، شاعراً ، جميلا . وكان يقال له المكحل وأبنه نعيم بن عمرو من أجمل الناس ، فلما رأى الحسن بن على رضى الله عنهما جمال عمرو تزوج أبنته أم حبيب فوجدها قبيحة ، فطلقها ، وأخوه عبدالله بن الأهتم جد خالد ابن صفوان الخطيب . وآل الأهتم كلهم خطباء . وعبدالله القائل لأبنه : يا بنى أنا أهل بيت يتوارث علما قل ما طلبنا به حاجة إلا أدركناها ، وأدباً قل ما أردنا به منزلة إلا نلناها . يا بنى لا تطلب الحاجة إلى غير أهلها ، ولاتطلبها إلا فى حينها ، ولا تطلب ما لست له مستحقاً ، فانك إن فعلت ذلك كنت حقيقاً بالحرمان .

* وقال على بن الحسين : العقل أمير والأدب وزيره ، فاذا لم يكن وزير ضعف الأمير ، فان لم يكن أمير بطل الوزير .

* وقال معاذ : صحبة العاقل فى لجج البحار وأهوال القفار أشهى إلى من صحبة الجاهل فى مجلس بين جنات وأنهار ، فيها ألوان الأطعمة والثمار :

* وفد عمرو بن الأهتم مع قيس بن عاصم على النبى صلى الله عليه وسلم مع جماعة من بنى تميم ، فبادروه من وراء الحجرات ، ففاخروه ، وشاعروا شاعره حسان وخطيبه ثابت بن قيس ، فقال قيس ابن عاصم : والله لشاعرهم أشعر من شاعرنا وخطيبهم أخطب من خطيبنا . فلما أسلموا وأعطاهم صلى الله عليه وسلم كان عمرو متخلفا فى رجالهم فذكره قيس بن عاصم ، وأراد أن يستميح له النبى صلى الله عليه وسلم فقصر به بالذكر فألحقه النبى عليه السلام بهم ، فقال عمرو يهجو قيساً :

ظللت مفترش الهلباء تشتمنى عند النبىّ ، فلم تصدق ولم تصب

إن تشتمونى فإن الروم أصلكم والروم لاتملك البغضاء للعــرب

خرج عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر ، والمخبل القريعي ، وعبده بن الطبيب فبدوا عن الماء فنحروا جزوراً ، واجتمعوا على شراب لهم ، فأتاهم رجل من بنى يربوع كان يروى الشعر ، فقـــالوا له : أحكم بيننا . قال : ومن يتعرض لكم ؟ . ولكنى سأصف لكم ؛ أما عمرو بن الأهتم فحلل ملوك تنشر وتطوى ، وأما الزبرقان فجزور نحرت فألقيت فى قدر ، فأنت تدخل يدك فتصيب سناما مرة وكبداً مرة ، وقرناً مرة . وأما المخبل فمكاو يصبها الله على من يشاء ، وأما عبدة فصمِّيل .

* وقال عمر بن عبدالعزيز وسمع رجلا يتكلم فى حاجة بكلام بليغ وعمل لطيف ولسان رقيق فقال : هذا والله السحر الحلال .

وقال الشاعر :

من السِّحْرِ الحَلالِ لمجتنيـــه ولم أرَ قَبْلَها سِحْرًا حَلالاً

* قال معاوية رضى الله عنه : لقد رأيتنى يوم الهرير من أيام صفين وقد عزمت على الفرار وما ردنى إلا قول عمرو بن الإطنابة : (١)

أبت لى همتى وأبى بلائى وأخذى الحمدَ بالثَّمَنِ الرَّبيحِ
وإقحامى على المكروهِ نفسى وضربى هامةَ البطلِ المشِيحَ
وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحاتٍ وأحمى بعد عن عرضٍ صحيح

* وقال آخر : تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوئ تبتّى ، ويحل عقدة اللسان ، ويشجع الجبان .

---

(١) عمرو بن الاطنابة ، شاعر مشهور ينسب إلى أمـــه (الاطنابة) — تأتى ترجمته والأبيات فى الوحشيات ص ٧٧ بتحقيق عبد العزيز الميمنى وهى هناك ثلاثةأبيات ورواية الأول : « أبت لى عفتى وحياء نفسى » والثانى : « وإقحامى على المكروه » وفى العمدة أربعة أبيات هنا كما رواها عبد الكريم ١ — ٢٩

* وقال آخر : الشعر ثلاثة أصناف ؛ فشعر يكتب ويروى ، وشعر يسمع ولا يروى وشعر ينبذ ويرمى .

* وقال أبو سفيان بن حرب لابن الزبعرى : لو أسهبت فى شعرك . قال : حسبك من الشعر غرة لائحة ، وسبة فاضحة ، وأنشدنى فى نعت الشعر : (١)

الشعـراءُ فاعلَمنَّ أربَعَـــهْ فشاعِرٌ يَجْرِى ولا يُجْرَى مَعَهْ
وشاعـرٌ ينشد وسـط المعمعهْ وشَاعرٌ لايرتجى لمنفعَـــهْ
وشاعرٌ يقالُ خَمْرٌ فى دعَـهْ

* قال الرشيد : لقد كنت فى بلاد الروم فى ساعة أزمة وحرب شديدة إذ خطرت ببالى أبيات مالك بن عوف النمرى التى يقول فيها : (٢)

ومقدم يعيي النفـــوس بضيقه قدمته وشهودُ قومى فاعـــلم
قـــدمته ودعـــوتُ آخر خالـه من دون غمرته وغمرتهْ بالدَّمِ
فاذا اشتكى مهرى إلىَّ حـرارةً عند اختلاف الطعن قلتُ له اقدمِ
أنى بنفسِى فى الحروبِ لتاجِرٌ تِلْكَ التّجارةُ لا انتقادَ الدِّرهمِ

فسكنت من جأشى ، ثم حملت وحمل المسلمون ، فما أتممت إنشادها حتى فتح الله عز وجل على .

---

(١) العمدة لابن رشيق . وقال : « وأنشد بعض العلماء ولم يذكر قائله » وتختلف روايته للأبيات عن الأصل هنا بعض الاختلاف .

(٢) مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة ، رئيس هوازن يوم حنين ، وقد مدح النبى صلى الله عليه وسلم . وتروى الأبيات فى المرزبانى ٢٦٠-٢٦١ ، والأغانى ١٤/١٣٩ ، ٢٦/١٨ ، وكذلك فى التذكرة السعدية ٢١٤ . البيتان الأخيران . وفيه : « إذا اشتكى مهرى إلى حزازة » .

* مات ابن لسليمان بن على ، فجزع عليه جزعاً شديداً ، وأمسك عن الطعام والشراب والكلام ، فقال كاتبه للحاجب ائذن للناس ، وقعد على طريقهم ، فجعل يقول : عزوا الأمير وسلوه ، فكل تكلم ، فلم يصغ إلى أحد إلى أن دخل يحيى بن منصور فقال : أصلح الله الأمير ، عليكم نزل كتاب الله عز وجل ، وأنتم أعرف الناس بتأويله ؛ وفيكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم أعلم الناس بسنته ولست أعزيك بشىء لم تسبق إلى علمه ، أعزيك بقول الشاعر :

وهوَّنَ ماألقى من الوجد أنني　　أجاورهُ في داره اليوم أو غدا

فدعا بالغداء وتسلى .

* وأنشد عمر بن أبى ربيعه عبدالله بن عباس رضى الله عنه قصيدته :

أَمن آل نعم أَنت غادٍ فمبكرُ　　غداة غدٍ أَم رائِحٌ فمهجـــر

وهى ثمانون بيتاً ، وكان عنده نافع بن الأزرق الخارجى يسأله عن أشياء فى العلم . فقال نافع : أنضرب إليك أكباد الإبل نسألك عن الدين فتعرض عنا — وكان نافع قد أمله بكثرة سؤاله — ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفها (فتسمح له) ؟ . فقال : تا الله ما سمعت سفها ، فقال : أما أنشدك ؟! :

رأَت رجلاً أَماإذا الشمس عارضت　　فيخَزْى ، وأَمَّا بالعشى فيخسَرُ

فقال : ما هكذا قال ، إنما قال فيضحى ، وأما بالعشى فيخسر . قال : أو تحفظ الذى قال ؟. قال : والله ما سمعتها إلا ساعتى ، ولو شئت أن أرددها فأنشده إياها . فقال له : ما رأيت أروى منك . فقال له ابن عباس : مارأيت أروى من عمر ، ولا أعلم من على رضى الله عنهما .

* وكان ابن عباس بالبصرة أميرا عليها يعشى الناس فى شهر رمضان فلا ينقضى الشهر حتى يفقههم ، فاذا كان آخر ليلة فى الشهر يعظهم ويكلمهم بكلام يودعهم ويقول : ملاك أمركم الدين ، ووصلتكم الوفاء ، ورتبتكم القلم وسلامتكم الحلم ، وطولكم المعروف . إن الله كلفكم الوسع . اتقوا الله ما أستطعتم . قال : فقدم أعرابى فقال : من أشعر الناس أيها الأمير ؟ فقال : أفى أثر العطة ؟ . قل يا أبا الأسود . فقال : أشعر الناس الذى يقول :

فإنك كالليل الذى هو مدركى ... وإن كان المنتأَى عنك واسع

* وقالوا لاينبغى أن يتوسع فى الخطب الطوال التى يقام بها فى المحافل بشئ من الشعر . وأجازوا فى الخطب القصار ، وفى المواعظ والرسائل ، إلا أن تكون الرسالة إلى خليفة ، فان محله يرتفع عن التمثيل بالشعر ، بل بما فى كتاب الله .

* وقال حبيب يذكر انتظام الشرف فى الشعر وعقد القوافى بالمجد : (١)

إنَّ القوافىَ والمسَاعِىَ لم تزَلْ ... مثل النظام إذا أصاب فَرِيــدا

هى جوهر نثرٌ فــإن ألفتــه ... بالشعر صار قلائدًا وعقودا

وتَنِدُّ عندهم العُلى إلا عُــلىً ... جُعِلَتْ لَهَا مُرَرُ القصِيدِ عقُودا(٢)

* وقال حبيب أيضا : (٣)

---

(١) من قصيدة يمدح بها أبو تمام خالد بن يزيد الشيبانى : ديوانه ٨٧
ورواية البيت الأول : « مثل الجمان إذا أصاب فريدا » . ورواية الأصل هنا أليق بالمعنى .

(٢) تند : تنفر ، والمرر : الحبال المحكمة :

(٣) من قصيدة يمدح بها أبو تمام أحمد بن أبى دؤاد ومطلعها :
ألم يأن أن تروى الظماء الحوائم ... وأن ينظم الشمل المبدد ناظم

ولم أرَ كالمعروفِ تُدعَى حقوقُه مَغارمَ فى الأَقوامِ وهى مغانِمُ
ولا كالعلى ما لم يُرَ الشعْرُ بينها فكالأَرض غفلاً ليس فيها معالِمُ
وما هو إلا القول يغدو فتُغْتَدى له غررٌ فى أوجهٍ ومباسِمُ (١)
ولولاَ خِلالٌ سَنَّها الشعْرُ ما دَرى بغاةُ العُلَى من أَين تُؤْتى المكارِمُ(٢)

وقد تقدم هذا البيت (الأخير) والذى بعده .

* وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا رجل يرد عنا ؟ . قالوا : يارسول الله حسان بن ثابت . قال : أهجهم – يعنى قريشا ، فو الله لهجاؤك أشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام . أهجهم ومعك جبريل روح القدس ، والق أبا بكر يعلمك الهنات . فأخرج حسان لسانه فضرب به طرف أنفه ثم قال : والله يا رسول الله ما لشرين به مقول من معد ، والله لو وضعته على شعر لحلقه ، أو على حجر لفلقه .

(١) رواية الديوان : « وما هو إلا القول يسرى فيغتدى » و « .. أوجه ومواسم »
(٢) البيت هو الأخير فى القصيدة وبينه وبين سابقه أبيات »

باب البيان

والمنة لله عز وجل فى هذا البيان الذى جعل اللسان به دليلا عليه ، وهاديا إليه ومعربا عن المعرفة به ، خادما للقلوب ، ومترجما عن نتائج العقول ، ومظهراً للحكم قالت الفلاسفة : اللسان خادم للقلب . وقالت العرب : لسان المرء كاتب قلبه إذا أملى عليه شيئاً أبانه . وقال حبيب : (١)

ومما كانت العلماء قالت　　　لسانُ المرءِ من خدم الفؤادِ

* وقال حمزة بن حمرة للنعمان بن المنذر : المرء بأصغريه ، فؤاده ولسانه إن نطق نطق ببيان وإن صال صال بجنان .

وقال أبو يعقوب أسحق الخريمى : (٢)

وخلجةِ ظنٍّ يَسبْقُ الصَّرْفَ حزمُها　　　تُشيفُ على غُنْمٍ وتَمْكِنُ مِن ذَحْل

صدَعْتُ بها والقوم فوضى كأنهم　　　بِكَارةُ مِربَاعٍ تُبصْبِصَ للفحْلِ

وقال العتابى : « إن اللسان رسول العقل إلى السامعين ، وأداته التى يجمع بها بين متفرق الحكمة ، ويفرق بين قرائن الشبهات ، وأفضل بيان العرب وأفصحه ما أداه عنها الشعر الجارى على ألسنتها بالبلاغة المحكمة . والحكمة المتقنة الباقية ، مضمناً حكمتها وسائر أمثالها شاهدا على أحسابها ، وكريم

---

(١) ديوان أبى تمام من قصيدة يمدح بها ابن أبى دؤاد مطلعها :

سقى عهد الحمى سيل العهادِ　　　وروض حاضر منه وبادى

(٢) شاعر عباسى صغدى الأصل ، تركى الجنس ، توفى سنة ٣١٤ هـ ، له شعر مجموع طبع دار الكتاب الجديد ببيروت سنة ١٩٧١ م . والأبيات ص ٥٥ من هذا المجموع　وفى البيان والتبين ١-٣٨١　،　والمرباع : الناقة الفتية

أفعالها ، مخبرا عن مروءاتهم فى سالف أيامهم ، وعن محمود خلائقهم ، وجميل وفائهم ، ليتأدب غابرهم بفعل فارطهم ، وليقتدى متعلمهم من الأبناء بسالف من تقدمهم من الآباء » . ولذلك قال الأعشى لشريح بن عمران بن السمو أل بن عادياء يذكره وفاء أبيه ليتأول ذلك فيه وقد أسره بعض الملوك من قضاعة ، ونزل به تيماء على شريح بن السمو أل :

« كن كالسمو أل إذ طاف الهمام به فى جحفل » « الأبيات » . وقد تقدمت قبل هذا فى ذكر من وفى لجاره .

وقال أحيحة بن الجلاح ، وكان سيداً يصلح المال ويعم بمروءته ، ويستعين بذلك على ما ينويه من الحق :

إنى مقيم على الزوراءِ أعمرهـــا إن الكريم على الإخوان ذو مالِ

لها ثلاث بيار فى جوانبهـــا وكلهـــا عقب تسقى بإقبـــالِ

استغن أومت ولا يَغْررْكَ ذو حسبٍ

مـــن ابن عم ٍ ولا عمٍّ ولاخالِ

وكان يقال : التمرة إلى التمرة تمر ، كما يقال : الذود إلى الذود إبل . وهو الذى يقول : (١)

---

(١) أحيحة بن الجلاح كان سيد الأوس فى الجاهلية ، وكان رجـــلا صنيعا للمال شحيحاً عليه

(٢) الأبيات فى الأصمعيات تحقيق أحمد شاكر وطبع دار المعارف ص ١٢٠ وتختلف الأبيات هنـــا عن رواية الأصمعى . ورواية البيت الأول — ويأتى ثانيا عنـــد الأصمعى — هكذا :

أهنت المال فى الشهوات حتى أصارتنى أسيفاً عبد عبد

العذق : بالكسر العرجون ، والأسيف : العبد أو الأجير

أُطعتُ العرس فى الشهوات حَتىّ أصارتنى أسيفاً عَبد عبْد

إذا ما جِئتُها قد بعتُ عِذقاً تعانِق أو تقبّلُ أَو تفدّى

فمن وجد الغنى فليصطنعْهُ ذخيرته ويجهد كل جَهدِ(١)

وقال بعض الحكماء : لأن يجمع الرجل مالا فيخلفه بعد موته لأعدائه خير من الحاجة فى حياته إلى أصدقائه .

وكتب على رضى الله عنه إلى سلمان الفارسى رضى الله عنه : « أما بعد فانما مثل الدنيا مثل الحية لين ملمسها ، شديد سمها ، فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ، وكن أسر ما تكون بها أحذر ما تكون لها ، فان صاحبها كلما أطمأن منها إلى سرور أشخصته منها إلى محذور . والسلام » .

* وقال بعضهم :

مُروّةُ مُعْسرٍ عفٌّ قنوع يقدّر فى معيشته ويمسكْ

تزيد على مروَّةِ كلِّ مُثرٍ يروح ويغتدى جمَّ التملُّكْ

وأكثر من سخائك بالعطايا سخاءُ النفس عما ليس تملِكْ

* قال الزبير بن بكار الزبيرى (٢) : دخل الوليد بن عبدالملك إلى المسجد ، فركب معه الأحوص بن محمد الشاعر ، فأتى مسجد العصبية فلما صلى قال الأحوص : أين الزوراء التى يقول فيها صاحبكم :

انى مقيم على الزوراء ... البيت

فأشار إليها : هى تلك او طولت لاستعربت سالما عليها . قال الوليد : إن أبا عمرو كان يراه غنيابها . فعجب الناس يومئذ لأدب الوليد أن عنى بالعلم علم كنية أحيحة بن الجلاح .

---

(١)ورواية البيت الأخير :

فمن نال الغنى .. صنيعته ونجهد كلى جهد

(٢) الزبير بن بكار : أبو عبد الله من أحفاد الزبير بن العوام - من رواة الأخبار .. عالم بالأنساب توفى سنة ٢٥٦ هـ وله جمهرة نسب قريش تحقيق محمود محمد شاكر

وفى أحيحة يقول بعضهم :

رأيت أبا عمرو أحيحةَ جاره ... يبيتُ قرير العين غير مُروَّع

فمن يأته من خائف ينس خوفه ... ومن يأته من جائع البطن يشبَعُ

خلائق فى الجلاح كانت كريمةً ... فأكرم به من ذى خصائل أربع

* قال وكيع بن الحجاج : مات سفيان التورى رحمة الله عليه وله مائة وخمسون دينارا بضاعة . قال القاريانى لولا هذه لتمندل القوم بنا تمندلا .

* وقال سعيد بن المسيب : لاخير فيمن لايجمع المال فيقضى دينه ، ويصل رحمه ويكف وجهه ، ويترك دنانير . فقال : اللهم إنك تعلم أنى لم أجمعها إلا لأصون بها حسبى ودينى .

* وقال سعد بن عبادة : اللهم هب لى حمداً ومجداً . فلا مجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال ، اللهم لا يصلحنى القليل ولا يصلح عليه .

* وقال الأحنف :

فلو مدّ سروى بمال ... قليل لجدتُ وكنت له باذلا

فإن المروءة لا تستطا ... ع إذا لم يكن مالها فاضلاَ

وكان الأحنف يبخل . وقال : يبخلوننى وأنا أشير عليكم بالرأى يسوى عشرين ألف درهم . قالوا له : تقويمك الرأى غاية البخل .

* حكى العتبى قال : كان أخوان من الشام أحدهما أيسر من الآخر ، فقال أحدهما للآخر : يا أخى لو تزوجت ، لعل الله أن يجعل منك خلفا ؟ ففعل ، فكان الذى لم يتزوج يسافر ، ويترك أخاه المتزوج ، وأن المرأة عشقت ذلك الأخ ، فقالت لزوجها : أتدرى ما يقول الجيران ؟ . قال : لا . قالت : يقولون لاجزى الله فلانا عن بيته خيراً ، يقعد مع أهله ويتركه يقلب فى المهالك ؟ . قال : صدق الجيران . فلما عاد قال له أخوه : إنى أريد الخروج فى تجارتك . قال : لم ؟ أأنكرت شيئاً ؟ . قال : لا ولكنى أردت أعقبك .

فلما خرج تهيأت ثم أتته فعرضت عليه نفسها ، فلم يزل يعظها ويذكر محاسن أخيه ومساوئ نفسه حتى أنصرفت . ثم عادت إليه بعد . فلما أكثرت قال لها : لتنتهين أو لأكتبن إلى أخي . فتركته وقدم أخوه . فقال : يا أخي كيف رأيت أهلي ؟ فقال في نفسه : قد عصم الله ولا أفسد على أخي أهله . فقال : خير أهل . فأتاها وقد ظنت أنه قد أخبره ، فقال : كيف رأيت أخي . قالت : مازال أخوك يراودني عن نفسي فعصيت ، فغضب وحلف بالمحرمات لايكلمه أبداً ما عاش . وخرجا حاجين . فهلك الأخ العزب بوادي الدوم ، فكأنما هلك به جمل . فلما رجعوا مروا بذلك الوادي ، فسمعوا صارخا يقول :

جدك تمضي الدوْمَ ليلاً ولا ترى ... عليك لأهلِ الدوم أن تتكلما

وبالدوم ثاوٍ لو ثويت مكانه ... لمرَّ بوادي الدوم حيًّا وسلَّما

فظنت المرأة أنه المنادي من السماء ، فقالت : يافلان . هذا مقام العائذ ، إنه كان من قصتنا كيت وكيت . فقال : والله لوحل قتلك لقتلتك . ففارقها وضرب على قبره خيمة ، وأنشأ يقول :

هجرتك في طول الحياة وأبتغي ... كلامك لمَّا صرتَ رمساً وأعظما

ذكرت ذنوبا منك كنت اجترمتها ... أنا منك فيها كنتُ أسوا وأظلماَ

فلم يزل مقيما على قبره حتى مات ، فدفن إلى جنبه . قال العتبي : فسألت الشاميين فعرفوه .

« والعرب تضرب المثل بجار أبي دؤاد ، وذلك أن أبا دؤاد جار به ابن الحجاج الإيادي ، جاور هلال بن كعب بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم فبينما الصبيان يلعبون في مستنقع ماء لهم ويتغاطون إذ غطوا ابن أبي دؤاد ، فمات في ذلك الغطاط فقال أبو دؤاد :

ألم تر أنني جاورت كعبا ... وكان جوار بعض القوم غيا

فأبلوني بليتكم لعلي ... أصالحكم وأستدرج نويا

يريد نواى . فلما سمع بذلك هلال أمر بنيه فأخرجوه إلى نادى قومه فقال : لا والذى يحلف به لايبقى غلام شهد ابن أبى دؤاد حتى يرضى ، فمشوا إلى ابن أبى دؤاد فأعطوه حتى رضى . وكان هلال قال له : احتكم حكم الصبى على أهله — وحكم الصبى أن يطلب ما لا يوجد . قال الشاعر :

ولا تحكما حكم الصبىّ فإنه ... كثير على ظهر الطريق مجاهله

وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال : يا هذا إنك قد اخترتنى جاراً واخترت دارى دارا ، فجناية يدك على دونك ، وإن جنت عليك يد فاحتكم على حكم الصبى على أهله .

* والعرب تضرب المثل فى الجود فتقول : أجود من كعب . وهو كعب بن مامة الإيادى ،وكان من جوده أنه خرج فى ركب منهم رجل من النمر بن قاسط . فضلوا ، فتصافنوا ماهم أى أقتسموه بالحصاة ، فجعل النمرى يشرب نصيبه فاذا أصاب كعبا نصيبه قال : أعط أخاك النمرى ، يصطبح فيؤثره حتى أضر به العطش ، فلما رأى ذلك استحث راحلته وبادر حين رفعت له أعلام الماء . فقيل : رد كعب إنك وراد .

فغلبه العطش ، ولم يقدر على النهوض ، فلما رأوا ذلك خيلوا عليه بثوب يمنعه من السبع أن يأكله ، فمات هناك . فقال مامه يبكيه : (١)

ما كان من سؤددٍ أسقى على ظمإٍ ... خمراً بماءٍ إذا ناجُودُها بَردَا

---

(١) فى اللسان البيت الأول : « ما كان من سوقة أسقى على ظماء
خمراً بماء إذا ناجودها بردا » .

من ابن مَامَة كعبٍ ثم عَيَّ به زَوُّ المنيةِ إلاَّ حَرَّةً وقَـدَا (١)

أَو فىَ على الماءِ كعبٌ ثم قِيلَ له رِدْ كعب إنك ورَّادٌ فما وردا

وقال امرؤ القيس يذكر الجوار :

يا ثعلاَ واين منى بنوثعـــل ألا حبَّذا قومٌ يحلـون بالحبلِ

نزلت على عمرو بن ذرماءَ بيته فأكرم ما جار وأحسن ما محل

يظل لبونى بين جود مسطح يراعى الفراخ الدَّارجات من الخجل

فمازال منها معشرٌ بقسيمهم يذود ونهـا حتى أقـول لهم بمسل

وأبلـغ معـدًّا والعبـاد وطيساً وكندة أنى شاكـر لنىَ ثعَلْ

وقال قيس بن زهير — وضرب المثل بجار أبى دؤاد :

ألم يـأتيك والأنبـاءُ تنمـى بمـالاقتْ لبونُ بـنى زيـادِ

ومحبسها لـدى القرتى تشرى بأدراع وأسيـافٍ حـــدادِ

كما لاقيت من حمل بن بـدرٍ واخوتــه عـلى ذات الاصادِ

هم فخـروا علىّ بغيـر فخــرٍ وردّوا دون غـايته جـــوادى

وكنت إذا منيت بخصمِ سوءٍ دلفت لـه بـداهيـةٍ نـآدِ

بـداهية تـدق الصلب منه فتقصم أو تجـود على الفـؤادِ

وكنت إذا أتانى الدهـر رنـق بداهيـة شددت لهـا نجـادى

ألم تعلم بنو الميقــات أنى كريم غير معتلث الـــزنـادِ

أطـوّف ما أطوّف ثم آوى إلى جـارٍ كجار أبى دؤاد

(١) زو المنية القدر ، ووقدى مثل حجزى أى يتوقد .

إليك ربيعة الخير بن قرط وهـوباً للطـريف وللتـــلادِ

كفـانى ما أخاف أبـو هلالٍ ربيعةُ فانتهت عنى الأعادى

كأنى إذ أنخت على ابن قرطٍ عقلت إلى يلملم أو تصـــادِ

القرشى الذى ذكر هو عبد الله بن جدعان من تيم بن مرة ، وذلك أن الربيع بن زياد ساوم قيس بن زهير بأدرع كانت عنده ، فلما نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه ثم ركض بها ، فلم يردها على قيس ، فعرض قيس لفاطمة بنت الخرشب الأنمارية ، وهى احدى منجبات قيس . هى أم ربيع الحفاظ ، وعمارة الوهاب ، وأنس الفوارس وكانوا يسمون الكملة .

ويقال لعمارة دالق الدلولوقعه فى الغارات ، فاقتاد جملها ، وكانت فى ظعائن عبس ، يريد أن يرتهنها بالدرع حتى ترد عليه ، فقالت : ما رأيت كاليوم قط فعل رجل . أين ضل حلمك ؟ . أترجو أن تصطلح أنت وبنو زياد أبداً . وقد أخذت أمهم فذهبت لها يمينا وشمالا ، فقال الناس فى ذلك ما شاءوا ، وحسبك من شر سماعه . فعرف قيس ما قالت ، فخلى سبيلها ، واطرد إبلا لبنى زياد ، فقدم بها معه فباعها من عبدالله بن جدعان .

والميقات التى تلد الحمق

* وقال امرؤ القيس فى منع الجار :

كأنى إذ نزلت عـلى المعَـلىَّ نزلتُ عـلى البـواذخ مـن شام

فما ملك العراق عـلى المعـلى بمقتـدر ولا الملك الشّـآمى

أقرَّ حشا أمرىء القيس بن حجر بنـو تـيم مصـابيح الظـلامِ

وحقر امرؤ القيس مجاورة بنى شمحى بن جرم ، فقال :

أبعد الحارث الملك بن عمرو له ملكُ العـراق إلى عمـــان

مجاورة بن شمحى بن جـرم هـوانا ما اتيح من الهـوانِ

* وقال غيره : (١)

بنو مطرٍ يوم اللقـاء كـأنهم أسودٌ لهـا فى غَيْل خفَّانَ أشبلُ

هُمُ يمنعـون الجار حتى كأنَّما لجارهم بين السِّماكين منـزلُ

لها ميمُ فى الإسلام سادوا ولم يكن كأَوَّلهم فى الجاهليـةِ أوَّلُ (٢)

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعُوا أجابوا وإن أعطْوا أطابوا وأجزلوا

فما يستطيع الفاعلون فعالهم وإن أحسنوا فى النائبات وأجملوا(٣)

قوله : وأجملوا مردود على الفاعلين .

وقال قيس بن عاصم المنقرى (٤) :

أيا بنت عبد الله وابنة مالك ويابنت ذى البردين والفرسِ الوَرْدِ(٥)

---

(١) الأبيات لمروان بن أبى حفصة كما جاء فى لباب الآداب ، وقد أوردها ابن منقذ مرتين ص ٢٦٥ ٪ ٣٦٥ وأورد البيت الأول بروايتين كما جاء هنا ص ٣٦٥ وبرواية عجزه :

« أسود لها فى بطن خفان أشبل » ص ٢٦٥

(٢) فى رواية ابن منقذ مرة لها ميم ص ٢٦٥ ، وأخرى بها ليل ص ٣٦٥

(٣) البيت الأخير لم يرد فى رواية ابن منقذ .

(٤) هو قيس بن عاصم بن سنان المنقرى ، ويكنى أبا على . قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسعد آهل الوبر . قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم بعد الفتح فأسلم . وكان شريفاً سيداً . قال فيه الشاعر :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

(المعارف لابن قتيبة)

(٥) الأبيات فى الحماسة و« لباب الآداب » ثلاثة ورواية الأول يا بنت ذى الجدين ، وهى منسوبة إلى حاتم بن عبد الله الطائى — لباب الآداب ص ١٢٠ ، وفى البيان والتبين للجاحظ ٣ — ٨٧ وزاد عليها بيتين ، وفى الكامل للمبرد والأغانى لأبى الفرج منسوبة لقيس بن عاصم .

إذا ما صنعتِ الزاد فالتمسى له أكيلاً فإنى لست آكله وحْدى

أكريما قصيًّا أو أبياً فإننى أخاف مذمات الأحاديث من بَعْدى

وإنى لعبد الضيف مادام ثاويًا وما فىَّ إلاَّ تلك من شية العَبْدِ

الوَرْد بين الكميت والأحمر والأشقر ، وهو إلى الصفرة . والحوة : خضرة إلى السواد قال الأصمعى : قالت بنو عبس : ما صبر معنا فى حربنا مع النساء إلا بنات العم . ومن الخيل إلا الكميت . ومن الإبل إلا الحمر .

• وقيس بن عاصم أول من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية ، وذلك أنه دعى إلى الرأى يوم الكلاب فألفوه نائما ، فلما أفاق عرف ، فحرم الخمر على نفسه ، وقيل إنه نزل عليه تاجر بخمر فقال له : أصبحنى قدحاً ، ففعل فقال : زدنى ففعل حتى سقاه ثلاثة أقداح ، فقال : زدنى . فقال : أنا تاجر صاحب ربح ، فوثب عليه فأوثقه إلى دوحة فى داره ، وانهب ماله وخمره ، وكلمته أخته ، فلطمها ، وقال للتاجر : أفد نفسك ، وقال :

من فاخرٍ تاجرٍ جاء الاله به كأنَّ عثنونه أذناب أحجالِ

جاء الخبيثُ ببيسانيةٍ تركتْ صَحْبِى وأهلى بلا عقلٍ ولا مالِ

وسب الخمر ، وضرب أخته ، فلما صحا قال : من فعل هذا ؟ . قالت أخته : الذى فعل هذا بوجهى . فحرم الخمر على نفسه ، وقال :

رأيتُ الخمرَ صَالحةً وفيها خلائق تفضَحُ الرجلَ الكريما

فلا والله أشربها صحيحاً ولا أُسْقَى بها أبداً سَقِيمَا

ولا أُعطى بها ثمناً حياتى ولا أدعو لها أبداً نديما

فإنَّ الخمرَ تفضح شاربيها وتجشمهم بها الأمر العظيما

إذا دارت حميَّاها تعلَّتْ طوالع تفسد الرجل الحكيما

وقد رد من لايحسن القول على قوله : يابنة ذى البردين (١) ، وقالوا : ما قدر بردين وفرس ورد حتى يفتخر بها ، وعارض هذا الشعوبى بملوك فارس وأسرتها وتيجانها ، وبأن أبرويز أرتبط تسعمائة وخمسين فيلا ، وبلغت آنيته التى يشرب فيها الداخل عليه ألف إناء من الذهب ، وخدمته ألف جارية وفعله بعد هذا أبنه

* وقال بعض العلماء : أخطأ فى المعارضة لم يكن صاحب البردين ملك العرب فيعارض عنه بملك العجم . ولم يدع أحد كان للعرب فى دولة العجم مثل ملكها وأموالها ، وعددها وحريرها وأنساجها فيحتاج إلى أن يذكر أبرويز وفيلته وجواريه وفرسه .

قال ابن قتيبة : وأما ذكره الفرس الورد فان العرب تتخذ الخيل حصونها وهى سبب العز ، وسلم المجد ، وبمثال العيال . قال الأسعر الجعفى :

ولقد علمت على تـوقى الـردا   أن الحصونَ الخيل لامَدَرُ القرى

إنى وجدتُ الخيل عِزًّا ظاهـراً   يُنجِي من الغمَّا ويكشفْنَ الدُّجى

وإذا كان للرجل جواد مبر كريم مبرز شهربه وعرف . فقيل : العسجدى ولاحق ، وداحس ، والورد .

وقد فخرت العجم بفرس كسرى ، فصوره فى الصخور الصم ، وفى رعاية الجبل . وإذا أيت العرب تنسب إلى شئ خسيس فى نفسه ، فليس ذاك

---

(١) وذو البردين هو عامر بن أحيمر بن بهدلة كما قال التبريزى فى شرح الحماسة ، وقد نسب الأبيات المذكورة لقيس بن عاصم إلى حاتم الطائى . وربما أخطأ التبريزى فى ذلك ، وإنما هى لقيس بن عاصم يخاطب امرأته منفوسة بنت زيد الفوارس الضبى ، ونسبها لعمها وجدها الأكبرين « عبد الله ومالك » ثم نسبها لجدها لأمها ذى البردين وهو عامر بن أحيمر كما جاء فى شرح المرصفى لكامل المبرد . راجع هامش لباب الآداب ص ١٢٠

إلا لمعنى شريف فيه . كقولهم لهنيدة بنت صعصعة عمة الفرزدق : ذات الخمار ، فمن لم يعرف سبباً لخمارها هى يظن أنها كانت تختمر دون نساء قومها فنسبت إلى الخمار لذلك . وإنما كانت هنيدة تقول : من جاء من نساء العرب بأربعة يحل لها أن تضع خمارها عندهم كأربعتى . فصر متى ! أبى صعصعة ، وأخى غالب ، وخالى الأقرع ، وزوجى الزبرقان . فسميت ذات الخمار لذلك .

• وكانت صفية بنت عبدالمطلب لاتغطى رأسها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من عشرة من المهاجرين الأولين : حمزة بن عبدالمطلب أخيها وجعفر وعلى ابنى أبى طالب أبنى أخيها ، والزبير بن العوام أبنها ، وعثمان بن عفان ابن بنت أختها أم أروى بنت كريز ،وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبدالمطلب (١) وأبو سلمة بن عبدالأشد ، وأبو سره بن أبى رهم أبنا أختها برة بنت عبدالمطلب ،وطليب بن عمير بن وهب بن عبد قصى ابن أختها ، أمه أروى بنت عبدالمطلب ،ومن عبدالله وأبى أحمد الأعمى الشاعر ابنى جحش أمها أميمة (٢) .

وأما ذكر البردين فان المنذر بن محرق أجتمعت عنده وفود العرب فدعا ببردى محرق ،وقال : ليقم أعز العرب قبيلة وأكثرهم عدداً فليأخذ هذين البردين . فقام عامر بن أحيمر بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد فأخذهما فاتزر بواحد ، وارتدى بالآخر ، فقال له المنذر : بم أنت أعز العرب قبيلة ؟ . قال : العز من العرب فى معد ، ثم فى نزار ، ثم فى مضر ، ثم فى خندف ، ثم فى بنى تميم ، ثم فى بنى سعد ، ثم فى كعب ، ثم فى عوف ، ثم فى بهدلة ، فمن أنكر هذا من العرب فلينافرنى . فسكت الناس . فقال المنذر : هذه عشيرتكم كما تزعم ، فكيف أنت فى أهل بيتك ؟ وفى بدنك ؟ فقال : أنا أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة ، نمتنى الأكابر عن الأصاغر ،

---

(١) راجع المعارف لابن قتيبة ص ٨٢

(٢) فى المعارف أن أميمة أخت صفية وزوجها جحش بن رئاب الأسدى ص ٥٦

والأصاغر عن الأكابر .وأما قولك كيف أنت فى بدنك؟فشاهد العز شاهدى.
ثم وضع قدمه على الأرض فقال : من أزالها فله مائة من الإبل . فلم يقم إليه
أحد من الناس . فذهب بالبردين ، فسمى ذا البردين (١) . قال الفرزدق (٢)

فما تم فى الحيين سعد ومالكٍ غلامٌ إذا قيل لم يتبهدَلِ
لهم وهبَ الجبارُ بردَىْ محرِّقٍ لعزِّ مـ ـدٍّ والعديد المحصَّلِ

* وممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية عثمان بن مطعون، وقال : لا
أشرب شرابا يذهب عقلى ، ويضحك بى من هو أدنى منى ، وأزوج كريمتى
من لا أريد ، فبينا هو بالعوالى إذ أتاه آت فقال : أشعرت أن الخمر قد حرمت
ثم تلى عليه الآية التى فى المائدة ، فقال : تبالها ، لقد كان بصرى فيها نافذاً .

* وقال بعضهم يذم الخمر :

من تقرع الخمر الذميمة سِنَّهُ فلابدّ يوما أن يريب ويجهلا
فلم أر مشروباً أخسَّ غنيمةً وأوضع للأشراف منها وأخملا
وأحذر أن تَلقى حليما بِعَيْبِها فيشربها حتى يَخرَّ مجدَّلا

وقال آخر :

تركتُ الخمور لِشَرَّابها وحلوَ الطلاءِ وحرَّ الشكَرْ
وقالوا شفاؤكَ فى شربةٍ من الخمر شُجَّتْ بماءٍ خَصِرْ
فقد كذبوا ما شفاءُ الكريم بشرٍّ يُعَلُّ به بعد شَرّ

---

(١) راجع البيان والتبين ٣/١٢٧
(٢) ديوان الفرزدق ٢/٢٧٣

وقال حسان : (١)

ولولا ثلاثٌ هنَّ فى الخمر لم يكن لها ثمنٌ من شارب حين يشربُ
لها نَزفٌ مثل الجنون ومصرعٌ دَنِیٌّ ، وإنَّ العَقل يَنأَى فيعزبُ

وقال آخر :

ألم تر أنى قد صحوتُ عن الخمر وأجمع صرما ما حييت لها صدرى
وكيف تطيق النفس صحبةَ صاحَبٍ يدله عقلى أو يقاسمنى وفرى

وممن حرمها فى الجاهلية عفيف بن معدى فقال :

فقالــت لى هلمَّ إلى التصابى فقلت عففت عمَّا تعلميـنا
وودعت القــداح وقـد أرانِى لها فى الدهر مشغوفاً رَهِينَـا
وحَرَّمتُ الخمورَ علىَّ حـتى أكونَ بقعـر ملحودٍ دَفينـا

فسمى بذلك عفيفاً ، وكان اسمه شراحيل .

وقال عامر بن الظرب العدوانى :

إن أشرب الخمر أشربها اللذتها وإن أدعها فإنى ماقت قـالى
لولا اللذاذة والفتيان لم أرهـا ولا رأتنى إلا من مَدىً عالى
سآلةٌ للفتى مـاليسَ فى يده ذهَّابة بعقولِ القـوم والمـال
أقسمت بالله أسقيها وأشربهـا حتى يعيِّبَ تربُ الأرض أوصالى

---

(١) البيتان ليسا فى ديوانه طبع بيروت

قال : وكم فعلة جليلة عادت حسباً لمن قل حسبه وصيرت نسبا لمن قلّل نسبه وأغنت ذا النسب المعروف عن الأنتساب . ألا ترى إلى عاصم بن خليفة الضبي واستغنائه بما فعل عن ذكر نسبه . كان إذا أستأذن على عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : عاصم بن خليفة قاتل بسطام بن قيس . وكان عاصم مضعوفاً ، وهو قتل بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذى الجدين سيد بنى شيبان . وغزا بسطام أثنتين وعشرين غزوة ظفر فيها فى عشرين ، وأسر فى واحدة ، أسره عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعى ، وقتل فى الثانية قتلته بنو ضبة ، وعاصم أبن خليفة منهم . وفى موته يقول عبدالله بن عنمة الضبى (١) ، وكان منقطعاً بموقعه إلى بنى شيبان وهم أخواله . وكان مع بسطام :

لأُمِّ الأرض ويلٌ ما أجنَّتْ بحيث أضرّ بالحَسَن السَّبيلُ (٢)

نُقَسِّم مالَهُ فينا وندْعُو أبا الصَّهباءِ إذْ جنَح الأصِيلُ

جِدُّكَ لن تراه ولن تراه تخبُّ به عُذافِرٌ ذَعُولُ (٣)

حقيبةُ رحلهِ بدنٌ ورمحٌ وتتبعه مُرَبَّبةٌ ذَمولُ (٤)

---

(١) عبد الله بن عنمة الضبى ، كان شاعراً ورئيسا فى قومه

(٢) الأصمعيات طبع دار المعارف ص ٣٦ قصيدة رقم ٨ ورواية البيت الأول فى عجزه « غداة أضر ... » . والحسن يقصد مكان الموقعة ويسمى « نقا الحسن » وجو القصيدة أن بسطاما غزا بنى ضبة ، فأغار على بعض إبلهم ونهبها ، فلحقته خيل ضبة وحمل عليه عاصم بن خليفة فطعنه بالرمح فخر بسطام صريعا ، وفر بنو شيبان ، وكان الشاعر عبد الله بن عنمه مجاورا فى بنى شيبان فخاف أن يقتل فقال هذا الشعر يرثى بسطاما .

(٣) العذافرة : الناقة الضخمة الشديدة وذعول : سريعة

(٤) فى الأصمعيات : « وتعارضه مربية ذعول » وبدن : درع قصيرة والذمول : السريعة .

إلى ميعاد أرعَن مكفهرٍّ تُضَمَّر فى طوابقه الخيول
لك المرباعُ منها والصفايا وحُكْمُكَ والنشيطَةُ والفضولُ (١)
تضمنه بنو بكر بن سعدٍ ولا يوفى ببِسْطام قتيلُ
فخرَّ على الألاءة لم يُوَسَّدْ كأَنَّ جبينهُ سَيفٌ صقيلُ
فإن تجزعْ عليه بنو أبيه فقد فُجِعُوا وفاتهم جليلُ
بمطعامٍ إذا الأشوالُ راحتْ إلى الحجراتِ ليس لها فَصيلُ
ومقدام إذا الأبطالُ خامتْ وعرَّدَ عن حليلته الحَليلُ (٢)

أضر : دنا منه ، والأمل : الحبل من الرمل ، والألاء : شجر على قدر الذراع . وقال الشاعر :

فإنكم ومدحكمْ بجيراً أبا لجإ كما امتدح الألاءُ
يراه الناسُ أخضر مَن بعيدٍ وتمنعه المرارة والإباءُ

وبنو بكر بن سعد بن ضبة أخوال الفرزدق .

• وقال محرز بن المكعبر الضبى (٣) فى شأن بسطام يجيب عبدالله المتقدم قوله فى بسطام :

---

(١) والمرباع : ربع الغنيمة والصفايا ما يصطفيه سيد القبيلة لنفسه ، والنشيطة ما أصابه الجيش لنفسه .

(٢) خامت : جبنت ونكصت ، وعرد : أحجم وفر ، ولا يوجد هذا البيت فى القصيدة بالنقائض ، وزاده طابع النسخة الأوروبية بالنقائض بين علامتى الزيادة .

(٣) محرز بن المكعبر الضبى : شاعر جاهلى شهد يوم الكلاب الثانى ، وهو اليوم الذى كان بين بنى الحارث بن كعب وبنى تميم ، وغيرهم من العرب .

ألا أبلغ بنى شيبان عـــنىّ وقد يهديكَ ذا الحكمُ الأَصيل

بأَنّ الحِلم موردكُمّ مياهاً يخالطُ شربها كلأٌ وبيلُ

أَلمْ نطلقكم فكفرتمونـــا وليس لنعمةِ المكفورِ حُولُ

فإن ينطق عبيد الله جهـلاً فلم يعلم عبيدٌ ما يقـولُ

سَمَا من أَهْلِ ذِى قارٍ إلينا بهادٍ لايخالطه الضَّلُولُ

فلمَّا أَن مضى بالقوم شهراً وبيَّن ما يخبّره الدّليـلُ

يجيش عليه بالأَصوات فيه إذا نزلوا التحمحمُ والصهيلُ

فباَتوُا نازلين بنا وكنَّـا قِرى الأَصنياَفِ إِذْ كُرِهَ النُّزول

فما نظروا القِرىَ ورأَوا وجوهًا قليلاً فى تأَمُّلِها الوسيـــلُ

فلما أَن أضاءَ الصبحُ جينا رعيلاً خلفنا منه رَعيـلُ

فما شعروا بِنا حَّتى رأَونـاً وأَكثبةُ الشقيقِ بنا تسيـلُ

رأَوا نعم الشقيقةِ وهى خومٌ ودون لقائِه شرٌ وَبـيلُ

أَقر العين إذ دارت عليهم شميط اللون ليس لها خُجولُ

وهنَّ على الأَكام مجلحاتٌ لهنَّ بكل معترك قتيـــلُ

إِذا كره السلاح مضيْنَ قِدْماً ولم يَكُ حقٌّ عادتها النكولُ

وظلَّ لها على الأَنقاءِ مِنَّـا إلى أَن أَظلموا يومٌ طويلٌ

وآبوا مطلقين ولم يثيبـوا وغالَ رئيسهم فى الأَرضِ غُولُ

وكان مع بسطام دليل من بنى أسد يقال له فقيد، وأن بسطام فى بعض الطريق رأى فى منامه كأن آتيا أتاه فقال له : الدلو ثانى الغروب المزلة . ففزع لذلك وقص رؤياه على فقيد ، فقال : ألا قلت بم تعود باديا مثله . فوجل

فقيد منها. قال : ومضى بسطام ، فلما دنا من النقا صعده راجلا ليربا عليه ، فاذا هو بألف بعير لمالك بن المنتفق الضبي قد فقأ عين فحلها ، فلما رآها بسطام رمى بنفسه فرحاً من أعلى النقا ، وأخذ يتدهدى حتى أستوى بالحضيض ، فناداه نميد : مهلا يا أبا الصهباء ، وقال : إن صدقت الطير ، صرعته الخيل وتطير له من رؤياه ، ومن فعلته هذه ، ولم يشك أنه مقتول ، فمضى وترك بسطاماً فاطرد بسطام الإبل ، وكان مالك بن المنتفق قد ركب فرسه ، فنحا نحو قومه ونادى : يا صباحاه ، فثاروا نحو الصراخ . وكان عاصم بن خليفة رجلا به طرق وكان فى أيام طرقه — أى جنونه الذى كان يأخذه فى وقت من الأوقات ، فجعل يأخذ حديدة له ، فقالوا : ما تصنع بهذا قال : أقتل بها سيد ربيعة ، فهزموا به ، وأسرج أبوه خليفة دابته ، ولبس لامته ، فبادره عاصم فركب فرسه ، فناداه أبوه دراراً ، فلم يلتفت إليه . فسأل عاصم : أيهم رئيس القوم فقال له حامسهم : هو صاحب الفرس الأدهم . فقال عاصم : الريح تعارضه حتى إذا كان بحذائه رماه بالفرس ، وجمع يديه فى رمحه فطعنه ، فلم يخطئ صماخ أذنه حتى خرج من الناحية الأخرى ، وخر بسطام على الألاء . وقال الفرزدق فى ذلك ويفتخر فى قتل عاصم بسطاماً :

خالى الذى تَركَ النجيعَ برُمحـهِ يوم النقَا سَرباً على بسطام (١)

والخيلُ تنحَطُ بالكُماةِ ترى لهـا رهجـاً بكلِّ مجرِّبٍ مِقْدامِ

وقال خال بسطام لبسطام : ما أحب أن يكون لى بك أبن أخت من العرب لولا وصمة وصمتها . قال : وما هى ؟ . قال : أسر عيينة إياك . قال : أما والله لا أوسر بعدها. قال الكلبى : قال خاله : قبلت ابن أختى . وكان له فى الأسر حياة . قال الأصمعى : خرجت الظعن من بنى حنظلة تسير فأقبل رجل من بنى يربوع إلى أم حاجب بن زرارة فى هودجها ، فقال : أسقنى من هذا الماء

---

(١) البيتان من قصيدة يهجو بها جريراً . ديوانه ص ٢٥١ ، ورواية الأول :
خالى الذى ترك النجيع برمحه يوم النقا شرقا على بسطام

فقالت : نعم واليوم ظلم . فضرب ذراع بعيرها فسقط البعير والهودج فثار الحيان حتى كاد يكون بينهما شر فقال رجل من بنى ثعلبة بن يربوع نحن نأتى بصاحبة لنا فاعقروا بها عقر صاحبنا بصاحبتكم . قال : فوقفوها فى هودجها . وقالوا هلم فاعقرها ، فلما أتاها ، ودنامنها حل برداً كان مؤتزرا به ثم ألقاه عليها ، وقال : ارجعى ابنة عم غير معقور بلك ولامخزاة. قال : فذلك أول ما روى من حلم حاجب .

قال الأصمعى : قولهااليوم ظلم. يعنى أن اليوم ظلمنى حين وضع الشئ فى غير موضعه . والمثل يضرب بوفاء حاجب، ورهنه قوسه عن مضر كافة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا على مضر فقال : اللهم اشدد وطأتك على مضر ، وأبعث فيها سنين كسنى يوسف . فتوالت عليهم الجدوب سبع سنين ، فلما رأى حاجب الجدب والقحط على قومه جمع بنى زرارة فقال : إنى قد أزمعت على أن آتى الملك فأطلب إليه أن يأذن لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر حتى يحيوا ، فتلكأ عليه بعضهم وقال بعضهم : رشدت فافعل، غير أنا لا نأمن عليك بكر بن وائل . ولابد لك من ورد مياههم. فقال : ما منهم وجه إلا ولى عنده يد بيضاء إلا ابن الطويلة التيمى ، وأنا أرجو أن أداريه ، فكان لا يأتى على ماء إلا أكرمه سيدهم ، ونحر له حتى أتى على ابن الطويلة حين أضاء الفجر وناديه قريب من حاجب ، فنادوا حاجب : حتى على الغداء وأمر بنطع فصب عليه تمر . فنحر ابن الطويلة جزراً وشياها ، وقراه ، وأراد تشييعه فامتنع حاجب ، ومضى إلى إياس بن قبيصة ، فكتب له إلى كسرى ، فلما أتاه وشكا إليه الجهد فى أنفسهم وأموالهم ، وطلب أن يأذن له فيكونوا فى حد بلاده حتى يحيوا ، فقال : إنكم معشر العرب غدر حرصا فان أذنت لهم أفسدوا فى البلاد ، وأغاروا على الرعية قال حاجب : فأنا ضامن للملك ألا يفعلوا . قال : ومن لى بأن تفى (بوعدك) أنت . قال : أرهنك قوسى . فلما جاء بها ضحك الذين حوله فقالوا : بهذه العصا تفى ، فقال الملك : ما كان يسلمها لشئ أبداً ، وأمرهم فقبضوها منه وأذن لهم فى دخول الريف ، فأتت مضر النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : هلك قومك، وأكلتنا الضبع ، فادع الله أن يرفع عنا القحط ويسقينا ، فانا نسلم .فدعا لهم

فأحيوا . وقد مات حاجب فخرج أصحابه إلى بلادهم ، وارتحل عطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه ، فقال : ما أنت بالذى وضعها . فقال : أجل أيها الملك هو أبى ، وقد هلك ، وقد وفى له قومه ، ووفا هو للملك . قال : ردوها عليه ، وكساه حله ، فلما وفد إلى النبي عليه السلام وهو رئيس وفد بنى تميم أهداها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقبلها ، وقال : لا أقبل زبد المشركين . فابتاعها منه الزبير بن باطا اليهودى بأربعة آلاف درهم .

وكان حاجب مشهوراً بالحلم وحسن الأدب . قال أبو عبيدة : وقف حاجب زرارة بباب كسرى فاستأذن له عليه غلام من العرب كان يحجبه ، فقال كسرى : سل هذا العربى من هو من العرب ؟ ، فسأله فقال : رجل منها ، ثم أذن له ، فلما مثل بين يديه قال : من أنت ؟ ؟ قال : سيدالعرب . قال كسرى : ألم تزعم أنك منها ؟ قال : وقفت بالباب وأنا رجل منها . لست بمتقدم لها ، فلما وصلت إلى الملك وجاورته سدتها ، فقال كسرى : احشوا فاه درا .

قال أبو اليقظان : كان ذو الرقيبة أسر حاجباً فى بعض حروبه ، فلما رجع به إلى رحله وجد القد قد أثر فى ذراعه ، فقال له : يا أبا عكرشه لو كنت أخبرتنا بما بلغ منك لقد وسعنا عليك . قال حاجب : إنى خلقنى ربى لاأشكو شيئاً ، وفدى نفسه بأكثر مما فدى به معدى نفسه قط . قوم يقولون بألف بعير ، فلولا الشعر مالم يقم لهذه الأفعال علم ولا رفع لها منار ، ولدرست آثارها كما درس كثير لم يقيده الشعر ، كالذى نسى من أفعال بنى حنيفة ، وعجل إذ لم يكن فيهم شعر ، فدخلوا فى جملة الخاملين عند كثير من الناس ، هذا على ما كان لهم من الوقائع . وفيهم من المكارم .

* وكان منهم هوذة بن على ذو التاج ، وأعمامه الذين يقال لهم البحور . ومنهم عمير بن سليمى الذى قتل ابن أخيه بجاره (١) للوفاء فهو أحد الأوفياء الثلاثـــة .

* ومنهم عبيد بن ثعلبة بن يربوع الذى يقال له : رب حجر ، وهى اليمامة ، وهو كان اختطها برمحه ، وأنزلها بنى حنيفة . ونفى عنها بقايا طسم وجديس .

* ومنهم قتادة بن مسلمة بن عبيد ، وكان ربع أربعين مرباعاً فى الجاهلية .

* ومن عجل أبجر بن جابر بن بجير أبو حجار ، وعتيبة بن النهاس الذى قال لقهرماند : امضرمع الحطيئة ، ثمما أشار إليه من عالى المتاع ورفيعه فاشتره له . إلى كثير من مثل هؤلاء .

* ومن شعرائهم العديل بن الفرخ . (٢) .

* ومثل هؤلاء بنو بدر كانوا مفحمين لاشعراء لهم ، فما عرف عن فضلهم الشاكرون ، وأغناهم عن تعداد محاسنهم المادحون . قال البحترى يمدح : (٣)

تداركَ شمل الشعر والشعر شاردُ الـ ... شواردِ مرْذُولٌ غريبُ الغرائب
فضمَّ قوافيهِ إليـــه تيقـــناً ... بأَن قوافيه سلُوكُ المنـــاقب

---

(١) بالهامش : وفيه يقول :
قتلنا أخـــانا للوفاء بجارنا ... وكان الوفا قدما بجار جوانبـــه

(٢) هو العديل بن الفرخ العجلى ، شاعر إسلامى عاصر الدولة الأموية . هجا الحجاج فطلبه ، فهرب منه إلى قيصر الروم ، فبعث الحجاج فى طلبه من قيصر فأرسله إليه ، ولما جاءه جرى بينهما حوار أطلقه بعده وعفا عنه . راجع أخباره فى الشعر والشعراء ١/٣٢٥ ، الأغانى ٢٠/١١ وخزانة الأدب ٢/٣٦٧

(٣) ديوانه ١/١٨٣ يمدح أبا سعيد الثغرى .
ورواية البيت الثانى : « فضم قوافيه إليه تيقنا »

وقال ابن الرومي (١) :

وما المجدُ لولا الشِّعرُ إلا معاهدٌ وما الناسُ إلا أعظمٌ نخِراتُ

قال بعض الفضلاء : كان لنا سلف أهل تواصل اعتقدوا مننا واتخذوا أيادي ذخيرة لمن بعدهم . كانوا يرون اصطناع المعروف عليهم فرضاً ، والبر حقاً ثم آل الزمان إلى نشء اتخذوا منهم صناعة ، وبرهم مرابحة وأياديهم تجارة ، واصطناع المعروف مقارضة ، بقد السوق خذ مني وهات .

* وكان عامر بن الظرب العدواني سيد قومه ، فسألوه أن يجعل لهم سيداً منهم يكون بعده ، فقال : يا معشر عدوان إن القلب لايلحق القلب ، ومن لك بأخيك كله . أخذه الطائي فقال (٢) :

ما غبن المغبون مثل عقله من لك يوماً بأخيك كله

وكان بعض بني تغلب يأخذ فتيانه برواية شعر عمرو بن كلثوم :

ألا هبِّي بصحنك فاصبحينا

ويعطي لكل من رواه ألف درهم ، حتى قال فيه بعض الشعراء :

ألهي بني تغلبٍ عن كل مكرمةٍ قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخرٍ غير مسؤوم
إن القديم إذا ما ضاعَ آخره كساعدٍ فَلَّه الأيام مجطومُ

وهذه القصيدة إحدى المعلقات السبع .

* وكان عمرو بن هند أخو النعمان بن المنذر يقال له مضرط الحجارة لشدته . ويسمى محرقا لتحريقه مائة من بني تميم يوم أواره ، قتله عمرو بن كلثوم الشاعر التغلبي أنفة وحمية .

---

(١) ديوانه بتحقيق د . حسين نصار طبع الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٠ ص ٣٩١
(٢) ديوان أبي تمام ص ٥٠٤ من أرجوزه في أهاجيه لصالح بن عبد الله الهاشمي .

وهند أم عمرو هي بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، وأبوه المنذر بن ماء السماء وماء السماء أمه ، وهي ابنة عوف بن جشم النميرية . والمنذر هو ابن امرئ القيس من بني عمرو بن عدى اللخمي ، وكان عمرو بن هند جائراً ، وإياه عنى سويد بن حذاق في قوله :

أبى القلبُ أن يأتي السدير وأهلَه وإن قيل عيش بالسدير غزيرُ
به البقّ والحمىّ وأُسد عَرينةٍ وعمرو بن هند يعتدى ويجورُ

وقال عمرو بن هند يوماً لجلسائه : هل تعلمون أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أمي ؟ . قالوا : نعم ، عمرو بن كلثوم . فان أمه ليلى بنت مهلهل بن وائل وعمها كليب وائل . وزوجها كلثوم . فسكت عمرو على ما في نفسه ، ثم استزار عمرو بن كلثوم ، وقال له : أزر ليلى هنداً . فقدم عمرو في فرسان تغلب ، ومعه أمه ليلى ، فنزل على شاطئ الفرات ، وأمر عمرو بحجرته فضربت فيما بين الحيرة والفرات . وأرسل إلى وجوه أهل مملكته ، فصنع لهم طعاماً ، ودعا الناس إليه . وقعد هو وعمرو بن كلثوم وخواص الناس في السرادق ، والناس خارجه يأكلون ، وأم عمرو بن كلثوم مع أم عمرو بن هند في القبة . وقد قال عمرو بن هند لأمه . إذا فرغ الناس من الطعام ، ولم يبق الا الطرف فنحي خدمك واستخدمي ليلى ، ومريها أن تناولك الشئ بعد الشئ . ففعلت هند ما أمرها به ابنها ، فلما نودى بالطرف قالت هند لليلى : ناوليني الطبق . فقالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فقالت هند : ناوليني ، وألحت عليها فقالت ليلى : واذلاه ! يا لتغلب . فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه . ونظر عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم ، فعرف الشر فيه ، وقد سمع قول ليلى يا آل تغلب . فنظر ابن كلثوم إلى سيف عمرو بن هند معلقا في السرادق ، ولم يكن ثم غيره ، فثار إلى السيف مصلتا فضرب رأس عمرو بن هند ، فقتله ، ثم خرج فنادى :

يا آل تغلب . فانتهبوا ما له وخيله ، وسبوا النساء ، ولحقوا بالحيرة . فقال فى ذلك أفنون التغلبى : (١)

لعُمرك ما عمرو بن هند وقد دَعَا   لتخدم ليلى أمَّه بموفَّق

فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتاً   وأمسك من ندمانه بالمخَنَّقِ

* ومن ذكر مقامات العرب وتنويههم بأفعالهم فيها قول زهير بن أبى سلمى ، وكان يجيد المديح . وهو أعذب لفظ ، وأحسن معنى : (٢)

وفيهم مقامات حسانٌ وجوهها   وأنديةٌ ينتابها القول والفِعْلُ

فإن جئْتهم ألفيت حولَ بيوتهم   مجالسَ قد يُشفى بأحلامها الجهلُ

على مكثريهم حق من يعتريهم   وعند المقلين السماحة والبذلُ

تهاميون نجديون كيداً ونجعةً   لكل أناسٍ من وقائعهم سَجْلُ

سعى بعدهم قومٌ لكى يدركوهم   فلم يلحقوهم ولم يليموا ولم يألوا

وما كان من خير أتوه فإنما   توارثه آباءُ آبائهم قبلُ

وهل ينبتُ الخطّىَّ إلا وشيجه   وتُغرس إلا فى منابتها النخلُ

رأيتُ ذوى الحاجاتِ حول بيوتهم   قطيناً لهم حتى إذا نبتَ البقْلُ

هنالك إن يُسْتَخبلُوا المالَ يخبِلوا   وإن يُسألوا يعطوا وإن ييسروا يُغْلو

---

(١) أفنون التغلبى : هو صريم بن معشر بن ذهل من بنى تغلب بن وائل شاعر جاهلى مشهور . والبيتان أوردهما محققا المفضليات فى ترجمته بحاشية القصيدة رقم ٦٥ المفضليات طبع المعارف وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ١ /٦٠

(٢) ديوانه ص ٩٦ :

يقول فيها :

إذا لقحتّ حربٌ عوانٌ مضرةٌ ضروسٌ تهر الناسَ أنيابها عُصْلُ

قضاعيةٌ أَو أُختها مضريَّـــةٌ تحرّق فى حافاتِها الحطبُ الجزل

تَجِدْ هُم على ما خيلتهم أذاءها وإن أفسد المال الجماعات والأَزل

* قال الزبير بن بكار : كانت قريش معجبة بشعر زهير ، وهو جار بينهم وسائر فيهم حتى يضربوا به المثل فى البلاغة . ويروى أن وفداً من قريش قالوا : يا رسول الله إنا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء ، وكلام ابن أبى سلمى ، فما سمعنا ككلام نسمعه منك من أحد قط .

* وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : يابنى أحسابكم ! ، فما ضر قوما ما قيل فيهم بعد قول زهير ، ووددت أنه قيل فى قومى : (١)

على مكثريهم حق . . . . البيت

وما ينفع قوماً ما مدحوا به بعد قول الأعشى وماسرنى أنه فى قومى وأن الدنيا لى بأسرها » : (٢)

يبيتون فى المشتى ملاءً بطونهم وجاراتهم غرثى يبتن خمائصا

* وقالت بنت لسنان بن أبى حارثة لما رأت بنتاً لزهير فى بعض مجامع النساء ، وإذا لها شارة حسنة : قد سرنى ما أرى من هذه النعمة . فقالت بنت زهير : لعمرى إن أكثر ذلك لمن فضلكم وإحسانكم ، فقالت : بل والله لكم الفضل علينا أعطيناكم ما يفنى ، وأعطيتمونا ما يبقى .

---

(١) الأغانى ط الثقافة ٣١٤/١٠ « قال عبد الملك بن مروان : ما يضر من مدح بما مدح به زهير » آل أبى حارثة من قوله :

على مكثريهم رزق من يعتريهم

(٢) ديوان الأعشى ص ٥٨ .

* معنى قوله : على ما خيلت هم أذاءها .

أى على ما شبهت ، أى هم الذين يقومون بها ويديرونها . ويقال : هو أذى المال إذا كان يدبره . وقوله : « وإن أفسد المال الجماعات والأزل » . يقول : إن حلل الناس أموالهم لا يسرح وجدتهم ينحرون ، وإن اشتد أمر الناس حتى يضيق وجدتهم يوسعون .

« قضاعية أو أختها مضرية » أى حرب منكرة . وقيل بل قضاعة بن معد ومضر بن نزار بن معد ، تهاميون ، نجديون . يقول : يأتون نجداً ، لايمنعهم بعد المكان أن يغزوه أو ينتجعوه ، سجل : القمة . يريد عزهم وغلبتهم . والقطين : الحشم والأهل . وجمعه : قطن .

ويروى : وإن يستخولوا . والاستخوال أن يملكوهم إياه . والاستخبال أن يعير الرجل الرجل إبلا ، فيشرب ألبانها ، وينتفع بأوبارها ، فاذا أخصبت ردها . .

وقوله : « يغلو » لا ينحرون إلا غالية .

* وقال عمرو بن الأطنابة الأنصارى : (١)

---

(١) شاعر أنصارى من الخزرج ، نسب إلى أمه ، وله أبيات مشهورة استشهد بها معاوية فى صفين وكانت حدثته نفسه بالهرب ، فذكرها ، فتماسك وثبت فى القتال . والإطنابة أمه . امرأة من بنى كنانة بن القيس من قضاعة ، واسم أبيه زيد مناة راجع فى الإبيات المذكورة الزهرة القسم الثانى ص ٢٠٩ بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائى والدكتور نورى حمودى القيسى . طبع بغداد « سلسلة كتب التراث »

وراجع ديوانه ط الدكتور الأسد .

وراجع فى ترجمته : الأغانى ط . دار الكتب ١٢١/١١ وسمط اللآلىء ٧٧٥ معجم المرزبانى ٢٠٣ . وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء — نوادر المخطوطات بتحقيق عبد السلام هارون طبع لجنة التأليف ص ٩٥ .

إنى من القوم الذين إذا ابتدوا ... بدءوا بحق الله ثم النائـــل

المانعين مـــن الخنا جاراتهم ... والحاشدين على طعامٍ نازلِ

والخالطـــين فقيرهم بغنيهم ... والباذلينَ عطاءهم للسَّائـلَ

والضاربين الكبش يبرقُ بيضهُ ... ضرب المحجر عن حياض الآبِل

والقاتلين لدى الوغى أقرانهم ... إن المنيَّةَ من وراء الـوائل

والقائلين ولايعــابُ كلامهم ... يوم المقامةِ بالقضاء الفاصِلِ

* قال الزبير بن بكار : كانت قريش فى ملك ضابط كمملكة فارس ، وما لها ملك وما كان ذلك إلا بأحلامها . وكان يقال لها : قطين الإله ، وقطين الله ، وأهل الله ، وآل الله . قال عبد المطلب بن هاشم :

لَاهُمَّ إن المرء يمنع جارَهَ ... فـــامنـــع حــلالَكْ

أى امنع أهل بيتك الحرام ، يريد مكة حين قدمها صاحب الفيل ، فأهلكهم الله عز وجل ، قال أبو اليقظان : قال النبى عليه السلام : رأيت جدود العرب ، فرأيت جد بنى عامر بن صعصعة جملا أحمر يأكل فروع الشجر . وسئل عن بنى عامر بن صعصعة فقال جملا أزهر ينفاج من أطراف الشجر وسئل عن غطفان فقال : زهرة تينع .

ومما قال أبو اليقظان : هجان العرب قريش ، وعامر بن صعصعة ، وحنظلة بن مالك. الأزهر : الأبيض .

* وقال ابن قيس الرقيات يمدح :

معقل الحلم من قريش إذا ما ... فاز بالحلم معشر آخرونا

لايزنّون فى العشيرة بالسوءِ ... ولا يفسدون مـا يصنعونا

* وقال أبو يوسف (سفيان) بن الحارث : (١)

لقد علمت قريش غير فخرٍ   بأنّا نحن أجودهم حصانا

وأكثرهم دروعاً سابغاتٍ   وأمضاهم إذا طعنوا سنانا

وأدفعهم عن الضراء منهم   وأبينهم إذا نطقوا لسانا

وقال كثير يمدح عبدالملك بن مروان :

من الغفر البيض الذين إذا انتجوا   أقرَّتْ لنجواهم لُؤَى بن غَالبِ

يحيّون بسّامينَ طوراً وتارةً   يحيُّونَ عبّاسين شُوسَ الحواجِبَ

يردُّون بعدَ الله فى الرأيِ أمرَهم   إلى واسع المعروفِ جزلِ المواهبِ

إمام هدى قد شدَّت الحربُ أزرَهْ   وقد أحكمته ماضياتُ التجاربِ

وقال العمانى فى بعض خلفاء بنى هاشم :

نمته العرانين من هاشم   إلى النسب الأوضح الأصرح

إلى نبتةٍ فرعها فى السما   ء ومغرسُها سُرَّةِ الأَبطحِ

---

(١) هكذا فى الأصل ولعل صحته أبو سفيان بن الحارث ، وهو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . توفى سنة ٢٠ هـ . راجع فى ترجمته معجم المرزبانى ، وطبقات ابن سلام ٦١ .

* وقال القطامى – واسمه عمير بن شيم (١) – وذكر باديتهم ففخر بها :

ومن تكُنْ الحضارةُ أعجبتهُ فأىُّ رجال باديةٍ ترانا
ومن ربط الجحاش فإنَّ فينا قناً سُلْباً وأفراساً حِسَانـــا
وكنَّ إذا أغرنَ على هلالٍ(٢) وضبةَ إنه من حانَ حَانا
وأحيانا على بكرٍ أخينـــا إذا ما لم نجد إلاَّ أخانـــا

* روى أن سليمان بن عبدالملك أتى أرضاً له فأمر بعمارها، وانتهى إلى موضع منها غليظ فنزل الناس ، وبقى سليمان على دابته ، فالتفت إلى يزيد بن المهلب فقال له : ارتدف . فأبى يزيد . فقال سليمان : أما والله أن لو فعلت لكنت أكرم من الذى أردفه النعمان . فقال : يا أمير المؤمنين أقلنى . قال : لاتعلون والله أبداً . وأنشد :

لاينكتون الأرض عند سؤالهـــم لتَطلُّبِ العَلاَّتِ بالعيـــدان
بل يبسطون وجوههم فترى لها عند السؤالِ كأحسن الألوان
وإذا دُعُوا لنزال يوم كريهـــةٍ سَدُّوا فجاج الأرض بالفرسانِ
قومٌ إذا نزل الغريب بدارهم رَدُّوه ربَّ صواهِلٍ وقيانِ (٣)

---

(١) شاعر أموى من بنى تغلب ، مدح خلفاء بنى أمية ، راجع ترجمته فى الأغانى ١١٨/٢٠ والشعراء . والقطامى لقب غلب عليه . وهو شاعر مقل ، كان نصرانيا فأسلم ، وكان حسن التشبيب ، مدح زفر بن الحارث الكلابى ، وكان أسره فى الحرب ، ومنعه من أن يقتل ، ومن عليه بمائة من الابل .
والأبيات فى حماسة أبى تمام

(٢) فى الحماسة (على جناب) واختلاف فى رواية البيتين الثالث والرابع .

(٣) الأبيات فى لباب الآداب منسوبة الى « عربى » وعلى غير الترتيب هنا . وهى خمسة.

* قال الزبير بن بكار : مر سعيد بن العاص بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان عمر قتل يوم بدر العاص بن هشام بن المغيرة ، وهو خال عمر ، فسلم سعيد مقصراً يظن أنه قتل أباه ، ففطن له عمر ، فقال يا ابن أخى ، والله ما قتلت أباك ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام . ورأيت أباك يبحث التراب كأنه ثور ، فصددت عنه ، وحمل عليه على فقتله ، ومابى أن أكون ، أعتذر من قتل مشرك . فقال سعيد : لو قتلته كنت على الحق ، وكان على الباطل . فعجب عمر من قوله ولوى كفيه ثم قال : قريش أفضل الناس أحلاماً ، وأعظم الناس أمانة ومن يرد بقريش سوءاً يكبه الله لفيه .

* وقال حباب بن المنذر بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر : ما قتلنا إلا عجائز صلعاً .

فقال النبى (صلى الله عليه وسلم) يا ابن أخى ، أولئك الملأ من قريش لو أمروك لأطعتهم ، ولو شهدتهم لحقرت أفعالك معهم .

* ومر صلى الله عليه وسلم يوم حنين بعثمان بن عبدالله بن ربيعة الثقفى ، وكان على بنى مالك ، وهو مقتول فقال : أبعده الله ، إنه كان يبغض قريشا .

* وبعث صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد إلى مكة قاضيا ، وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وألبسه قباء أسود ، وختمه بخاتم ذهب . ولم يلبس أحد قباء أسود ولاتختم بالذهب أحد من المسلمين قبله . وقال له : هل تدرى إلى من أبعثك ؟ . أبعثك إلى أهل الله ثم وصاه صلى الله عليه وسلم بهم .

* وممن ساد صغيراً محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفى . ولاه الحجاج قتل الأكراد بفارس ، فأبادهم ، ثم ولاه السند والهند ، وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعـر :

إنَّ السماحة والمروءةَ والندى — لمحمدَ بنِ القاسم بن محمدِ
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة — ياقرب سورة سُؤددٍ من مولدِ

وقتله معاوية بن يزيد بن المهلب . وذلك أن حبيب بن المهلب لما ولى السند قدم على مقدمته رجلا من السكاسك ، ورجلا من عك ، فأخذاه فحبساه فقال :

أتنسَى بنو مروان سَعيي وطاعتي ... وأنى على مانابنى لصبـــــورُ

فتَحْتُ لهم ما بين سابُورَ بالقنَـا ... إلى السند ، منهم زاحفٌ ومغيرُ

وما دخلتْ خيلُ السَّكاسِكِ عسكرى ... ولا كانَ من عكٍّ علىَّ أمـيرُ

فلو كنتُ أزمعتُ الفرارَ لقُرّنتْ ... إناثٌ أُعدّتْ للنوى وذكورْ

فبعث إلى العراق فحبس بواسط ، ثم ضرب عنقه معاوية بن يزيد بن المهلب (١)

* وممن ساد صغيراً مخلد بن يزيد بن المهلب.قال فيه حمزة بن بيض :(٢)

بلغت لعشر مضت من سنيك ... ما يبلغ السـيد الأشـيبُ

فهمُّك فيها جسامُ الأمـــو ... ر ، وهمُّ لِداتِك أن يلعبُــوا

واصبح مخلد عند عمر بن عبدالعزيز فيما طلب به يزيد أبوه ، فحاجه ودفع عن أبيه ما كان يطلب به ، ثم مات بعقب ذلك ، فقال عمر : لو أراد الله تعالى بأهل ذلك البيت خيراً لأبقى لهم ذلك الغلام .

---

(١) فى الهامش : وذلك غير معروف فى التاريخ ، بل المذكور فيه أنه فتح ما بقى من السند ، وشرع فى فتح الهند فمات فى السند ، وكتب الحجاج بوفاته إلى الوليد بن عبدالملك ، وذكر أنه وجد معه ثلاثين ألف دينار ، وقد وضعها فى بيت مال المسلمين . . إلخ

(٢) هو حمزة بن بيض الحنفى شاعر أموى . لقى وهو شاب الفرزدق بالبصرة ، ودار بينهما حوار . راجع الأغانى ١٦/٢٠٦ وطبقات إبن سلام بتحقيق محمود شاكر ١/٣٥٩ والأمتاع والمؤانسة ٣/١٨٥

* وقال عمر بن عبدالعزيز لأبى مجلز : ما تقول فى فلان ؟ . فقال : يكافئ الأكفاء ويعادى الأعداء ، ويفعل ما يشاء . وقيل لعبد الله بن الأهتم : ما السرور ؟ . قال : رفع الأولياء ، وحط الأعداء ، وطول البقاء مع القدرة والنماء .

* ومر عثمان بن عفان رضى الله عنه على مجلس بنى مخزوم ، وفيهم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فوقف عليهم ثم قال : إنى ليسرنى ما أرى من جمالكم وعددكم . فقال بعضهم : فما يمنعك يا أمير المؤمنين أن تزوج بعضنا ؟ فقال : إن شاء عبدالرحمن فعلت : قال عبدالرحمن : فانى أشاء . فزوجه مريم بنت عثمان .

* وقال عبدالله بن عمرو بن العاص : ثلاثة من قريش أحسن قريش أخلاقا وأصبحها وجوها ، وأشدها حياء . إن حدثوك لم يكذبوك ، وإن حدثتهم بحق أو بباطل لم يكذبوك : أبو بكر الصديق ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعثمان بن عفان رضى الله عنهم أجمعين .

* وقال النابغة الذبيانى :

لله عينا من رأى أهـل قبـةٍ ... أضرَّ لِمن عادَى وأكثر نافعَا

وأعظمَ أحلاماً وأكثر سَيِّـداً ... وأفضل مشفوعاً إليـه وشافِعَا

غداةَ غدَوا فيهم ملوكٌ وسوقةٌ ... يوصونَ بالافعالِ أروعَ بارعَا

متى تلْقَهُمْ لاتَلْقَ للبيتِ عورةً ... ولا الضَّيفَ ممنوعاً ولا الجارَ ضَائعَا

الملوك أهل بيت المملكة ، والسوقة : كل من ينساق للملوك . وليس هو اسما يلزم أهل الأسواق والتجار .

* وأما أهل اليمن فالتبابعة والعباهلة ليس فوقهم أحد . ثم المقاول وهم الأقيال والأقوال . واحدهم قيل ومقول . وهم ستون رجلا . ثم المثامنة وهم ثمانون رجلا ، فكانوا إذا مات تبع وضعوا الشورى فى الأقيال ، فاذا أخرجوا

واحداً من الأقيال فجعلوه تبعاً أدخلوا واحداً من المثامنة فجعلوه قيلا ، ثم نظروا فيمن بقي من أهل بيت الملك ، فأدخلوا فى المثامنة واحداً منهم . وكانت علامة الملوك التتويج .

قالت الخزرج للنبي صلى الله عليه وسلم فى عبدالله بن أبى بن سلول : والله يا رسول الله لقد جئتنا حين نظمنا له الخرز لنتوجه . أى فهو يحسدك لما زال عنه . وكان منافقا ، رأساً لهم .

قال عبد الكريم (١) : ومن أحسن ما ينشد فى دار مقامة القوم من الشعر الجامع لخصال المدح قول حسان بن ثابت الأنصارى فى آل جفنة الغسانى : (٢)

لِلهِ درُّ عصابةٍ نَادمْتُهـــا   يوماً بِجَلِّقَ فى الزَّمانِ الأَوَّلِ

يُغْشَوْنَ حتىَّ ما تهِرّ كِلابُهُمْ   لا يَسأَلونَ عن السوادِ المقبلِ

أَولادُ جفنةَ حولَ قبرِ أَبيهمُ   قبر ابن مارية الكريم المفضلِ

بيض الوجوه كريمةٌ أَحسابُهم   شُمُّ الأُنوفِ من الطراز الأَول

يمشون فى الزرد المضاعفِ نسجهُ   مشى الجمالِ إلى الجمال البُزَّلَ

يَسْقُونَ من وَرَدَ البريصَ عليهمُ   كأْساً تُصَفَّقْ بالرَّحيق السَّلسَلِ

قوله : « حول قبر أبيهم » أى هم أرباب مدائن وقصور ، وقرار ، لا ينتجعون من عدم ، ولايرتحلون من ضيم ، وأنهم حول قبور آبائهم ومنازل أوائلهم ودار عزهم .

ويقال إن معنى قوله : على قبر أبيهم مقيمون على مآثره وسنته . والأول أصح . وقوله : «ابن مارية» . للشاعر أن يسمى الملك ويدعوه باسم أمه فى الشعر

---

(١) هو عبد الكريم النهشلى صاحب الكتاب .

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ١٧٩ ورواية البيت السادس (بردى يصفق بالرحيق السلسل) والبريص نهر بدمشق .

فى الشعر . وباسمه بغير كنية . وليس ذلك بغير الشعر بجائز إلا ضرورة على وجه الاحتقار .

وهذا من فضل الشعر .

وقوله : « بيض الوجوه » : يريد أنهم متهللون عند السؤال ولم يقع عليهم بشئ فيغير ألوانهم . ثم قال : الكريم والكرم اسم محيط بجميع أسباب الخير . ثم قال : لا ، بل هو مفضل .

وقوله : « يغشون حتى ما تهر كلابهم » أى قد عرفت الضيفان لدوامهم على القرى كما قال ابن هرمة : (٣)

يكادُ إذا ما أَبصَرَ الضَّيفَ كلبُهُمْ   يكلِّمهم من حبِّه وهو أعجمُ

وقال غيره :

وكلْبُكَ آنسُ بالزائـــر   ينَ من الأُمِّ بابنتها الزائرَهْ

وقوله : « لا يسألون عن السواد المقبل » أى لايخلعهم السواد الأعظم . ثم قال : هم ملوك يسقون المريض مكان اللبن ، أى الخمر المصفقة بالمسك أو جنى النحل . ثم قال : « شم الأنوف » . يريد أنهم أباة للضيم منكرون للخسف . والإنسان إذا أنف رفع أنفه . شبهوا ذلك بالشمم ، وهو ارتفاع طرف الأنف .

* وقال أبوسفيان لما أخبر أن النجاشى زوج ابنته أم حبيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : كيف يفتات عليك فى ابنتك بغير أمرك ؟ ذاك الفحل لا يقدع أنفه . أى يكف .

* وقال أبوسفيان للنبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : كأنك أردت بقريش سوءاً . قال : بل هذا يوم يرفع الله به قريشا . قال : فما بال سعد بن عبادة يمضى بلوائه قدماً وهو يقول :

اليـــومَ يومُ الملحمَـــهْ　　　اليــومَ تُستَحلُّ المحرَمَهْ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض قريش : الحق سعداً وانزع اللواء من يده فانه يضاهى قول يهود .

* ودخـــل عوف بن محلم الشيبانى على ابنته أم إياس وقد انكحتها أمها مارية بنت كثير بن زهير التغلبى من حجر بن عمرو آكل المرار ، وكان عوف قدم من غزو له فأنكر هذه القباب والبيوت فسأل امرأته عن القصة ، فأخبرته أنها زوجت ابنته . قال : وإلهى لئن كنت عدوت حجر بن عمرو لأصلبنك على أطول شجرة بهذا الوادى . قالت : إنه ملك . ولا أدرى أحجر هو أم لا ؟ فتولج عليها القبة فلما رآه قال : إى ، ورب الكعبة .

ولعوف بن محلم الشيبانى يقول المنذر بن ماء السماء : لا حر بوادى عوف . وذلك أن المنذر كان يطلب زهير بن أمية الشيبانى بذحل ، فمنعه عوف بن محلم ، وأبى أن يسلمه ، فعندها قال المنذر : لاحر بوادى عوف . وقيل معناه : إن كل من صاد فى ناحيته خضع وذل . وقيل إنه كان يقتل الأسرى ولا يعتقهم .

* وقالت امرأة عقيل بن أبى طالب وهى بنت عقبة بن ربيعة : لا يحبكم قلبى يابنى هاشم أبداً . أين أخى ؟ ، أين عمى ؟ ، أين أبى ؟ . أين فلان ؟ تعدد آباءها وقومها . كأنهم سيوف الذهب . وكأن أعناقهم أباريق الفضة ، ترد أنوفهم الماء قبل شفاههم .

وقول حسان : « من الطراز الأول » يريد أنهم ممن لم يتغير شبهه بسوء الولادة ، ولم تبدله أرحام غير الأكفاء ، وأنهم على ذلك الخلق الأول والشيم المعروفة ، لم يتحولوا عنها .

* ونظير أبيات حسان فى جمعها وجوه الممادح شعر النابغة فى جمعه وجوه المقابح فى هجائه للنعمان بن المنذر :

خبرونى بنى السقيفة مما يمنع فقعاً بقرقران نزولا

قبح الله ثم ثنَّى بلعـنٍ وارث الصائغ الجبانَ الجهولا

من يضرّ الأُدنى ويعجز عن ضرِّ الأَقاصى ومن يخون الخليلا

يَجمعُ الجيش ذا الأُلوف ويغزو ثم لا يـرزأُ العـدوّ فتيـلا

تدبر هذه الأبيات . فانك تجدها غاية فيما تكره العرب وتتشاءم به . ألا ترى كيف جمع فى بيت واحد القبح ، وفيه الاستيلاء على جميع ما يكره ويستشنع ، واللعن وهو النفى والطرد ، ثم جعاه موضعاً لئيم الخال . والعرب تتمادح بالخال .

قال الفرزدق يفخر بخاله . (١)

خالِي الذى غصب الملوكَ نُفوسَهمُ وإليه كـان حِباءُ جفْنَةَ يُحمَلُ

وأم النعمان بن المنذر كانت سلمى بنت عطية الصائغ اليهودى من أهل فدك . ثم قال : الجبان الجهول ، وهما من شر ما يقذف به . قال الشاعر .

جهلاً علينا وجبناً عن عدوّكُم لَبِئْسَتِ الخلّتان : الجهلُ والجُبن

وكان يقال : شر أخلاق الملوك الجبن عن الأعداء الأقوياء ، والقسوة على الضعفاء ، والبخل عن الإعطاء . قال بعض الشعراء :

الجبنُ عارٌ ، وفى الاقدام مكرمةٌ ومن يفرّ ينجو من القَدَرِ

لا تبخلَنَّ ولا تجزعْ فإنهما ليسا يزيدانِ فى مالٍ ولا عُمرِ

ثم جعله عاجزاً ضعيفاً يضر الأدنى ، ويقصر عن ضر من بعد منه ، خائناً لخليله .

* قال الشاعر يمدح رجلا بالأمانة :

لم تره جارةٌ يمشى لساحتِهـا لـريبةٍ حين يخـلِي بيتَهُ الجارُ

مثل الردينىّ لم تدنس عمامتُه كـأنه تحت طىّ البُرد أسوار

---

(١) ديوان الفرزدق ص ٧١٩ وروايته (وإليه كان حباء جفنة ينقل)

والخيانة تجمع الغدر ، وقلة الوفاء ، وخيانة الجار فى أهله ، والتقصير والعجز .

قال بعض الشعراء يذكر العفاف :

وبتنا خـلاف الحىّ لانحن منهم ولا نحن بالأعـداء مختلطان

وبات يقينا ساقطَ الطلِّ والندى من الليل بُرْدَا يمنَةٍ عَطِـران

نذود بذكر الله عنَّا غوى الصِّبا إذا هم قلبا نينـا يـردانِ

ثم وصفه (١) بالخيبة فى مغازيه ، وقلة الفوز والظفر ، وحرمان التوفيق ، وتأخر الإقدام . فسبحان من يسره لجمع هذه المخازى .

ولقد نعلم من جمع أكثر منها وأخزى بمن هو أشبه الناس بالنعمان خلقاً وأفعالا فى المساوىء ، ويزيد عليه بأشياء آخر . قال بعض الشعراء للقناع ، وهو الحارث بن عبدالله بن أبى ربيعة أخو عمر بن أبى ربيعة الشاعر ، وقيل له القناع (١) لأنه رأى مكيال أهل البصرة صغير المنظر يحمل دقيقاً كثيرا ، وكان غير عليهم المكاييل ، فقال : إن مكيالكم هذا لقناع . والقناع الذى يقنع ما فيه أى يستر ، ويقال للعنقة : القنع ، لأنه يحبس رأسه . فقال الشاعر يذكر تخلفه :

سارَ بنا القنَاع سيرًا نكـرًا يسير يومـاً ويقـيم شهـرَا

يصفه بقلة الإقدام على الخوارج ، وأن تركه المناجزة عن جبن وتقصير لا عن حزم وتدبير . وبلغ من تقصيره أنه لما لامه إبراهيم بن الأشقر على

---

(١) يعنى النابغة الذبيانى فى هجاء النعمان .. الأبيات السابقة .

(٢) القباع : فى لطائف المعارف للثعالبى ص ٣٨ قال : لما ولى الحارث بن عبد الله ابن أبى ربيعة البصرة نظر يوما إلى مكيال من مكاييلها فقال : إن مكيالكم هذا لقباع : أى واسع ، فلقب بالقباع حتى ساد ذكره ، وغلب على اسمه فقيل فيه :

أمير المؤمنين جزيت خيراً أرحنا من قباع بنى المغيرة

القعود عن الخوارج خرج إلى النخيلة فى ستة آلاف فارس ، وأقام بين دباها ودبيرا خمسة أيام فقال الشاعر فيه :

إنَّ القِناعَ سارَ سيرًا مَلْسَا   بين دباها ودبيـــرا خمْسَــا

وقتلت الخوارج امرأة بحذائه ، ليس بينها وبينهم غير الجسر ، وقتلوا أباها بين يديها . وكانت تستغيث بالقناع هى وجّماعة من النساء قتلن معها والناس يتفلتون للخروج ، والقناع يمنعهم حتى رحلت الخوارج ورجع بالناس إلى الكوفة دون قتال ، ومضوا موفورين .

وكان الحارث بن عبدالله يجلس هو وعمرو بن عبدالله بن صفوان ، ما يكادان يفترقان . وكان عمرو يبعث إلى الحارث فى كل يوم بقربة من ألبان إبله فاختلف بينهما ، فأتى عمرو أهله فقال : لاتبعثوا إلى الحارث باللبن ، فانا لا نأمن أن يرده علينا . وانقلب الحارث إلى أهله فقال : هل أتاكم اللبن ؟ . قالوا : لا . فلما راح الحارث مر بعمرو بن عبدالله فقال : يا هذا لا تجمعن علينا الهجرة وحبس اللبن . فقال : أما إذا قلت هذا . فوالله لايحملها إليك غيرى فحملها من داره إلى دار الحارث وبينهما بعد كثير .

* وكان حمزة بن عبدالله بن الزبير من أجود الناس على جبن فيه وضعف . وأمه تماضر بنت زياد بن منظور بن سياد ، من بنى مازن بن فزارة . وكان يقال فيه : اعجب لأجود الناس من أبخل الناس ، ولأجبن الناس من أشجع الناس .

ومدحه الفرزدق فقال : (١) .

---

(١) ديوان الفرزدق ط الصاوى لا توجد به الأبيات ، وأورد ابن سلام فى الطبقات خبرا عن وساطة حمزة بن الفرزدق وزوجه نوار ١/٣٣٣ طبعة محمود شاكر بمطبعة المدنى بالعباسية سنة ١٩٧٤

ياحمزَ ،هل لكَ فى ذى حاجةٍ عرضت انصاره بمكانٍ غير ممطـــور
وأنت احجى قريش أن تكون لها وأنت بين أبى بكـــر ومنظـور
بين الحوارىّ والصـــدّيق صاحِبه نَبتٌّ فى طَيِّبِ الاسلام والخيرَ

وقال فيه :

مافَازَ فى بَدْرٍ ويوم حُنينهـــا إلاَّ الفوارسْ من بنى العوَّام
أسْلٌ من المرَّانِ فى أيديهم قامت بهنَّ دعائِمُ الإسلامِ

وقال أيضا :

ألم ترنى شجيت بآل حرب وساغَ بنو صفيةَ فى لهاتى
وغرٍ كالسلام بعثتُ منها غوادىَ فى البلاد مشهَّراتِ
نَزَعتُ لمصعب منها ذنوباً مـــذلَّلةً بأفـــواهِ الســرَّاةِ
أليس أبوك فارسَ يوم بدر وأيام النبىِّ الصالحـاتِ

ولبعضهم :

ليت شعرى ولليالى صروفٌ هلْ أرى مرةً بقيعَ الزبير
ذاكَ مغنىً ألـــذُّه وقطينٌ تفرحُ النفسُ أن أراهم بخيرِ

* وفى ذكر العمائم العرب تقول : معمم.أى مناط به أمر العشيرة فيستحق أن يتعمم . وسيد عممٌ : أى ضخم تام .

* وأنشد عبدالملك يوماً وعنده عرار بن عمرو بن شاس ، ولم يعرفه :

أرادَت عرارا بالهوان ومن يُردْ عرارًا لعمرى بالهوانِ فقد ظَلَمْ

فقال : أتعرف عرارا يا أمير المؤمنين ؟ . قال : لا . قال : فأنا عرار بن عمرو . فأحسن إليه . وكان عرار من أمة سوداء ، وكانت امرأته الحرة تهينه .

* وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص إذا اعتم لم يعتم معه أحد من بني عبد شمس ، فلذلك قال الشاعر :

أَبو أُميمة من يعتمَّ عمتـه ... يُجْلَدْ ، ولو كان ذا أهلٍ وفي ولَدِ

* وقال أبو قيس بن الأسلت : (١)

فكان أَبو أميمة قد علمتم ... بمكة غير مهتضم ذميم

إذا شدَّ العمامة ذات يوم ... وقام إلى المجالسِ والخصوم

فقد حرمت على من كان يمشي ... بمكة غير مدّخلٍ سقيمَ

وكان البحترى غداةَ جمع ... يدافعهم بلقمان الحكيمَ

بأَزهر من سراةِ بني لؤيٍّ ... كبدر الليل راق على النجومَ

وحُطْتَ ذوائب الفرعين منها ... وأَنت لبابُ سرهم الصميمِ

* وقال غيره :

اذا سَفَرُوا بعدَ التهجُّدِ والسُّرى ... جَلَوا عن عِرابِ السنّ بِيضِ الصحائِفِ

أي حلوا عمائمهم عن وجوه تعرب سنها عن عتقهم وكرم أصولهم ، كما قيل في المثل : « إن الجواد عينه فراره » . والصحائف صحائف وجوههم .

---

(١) أبو قيس بن الأسلت من شعراء الأوس بالمدينة ، ذكره ابن سلام في طبقاته ٢١٥/١ ط محمود شاكر وروى أنه أقبل يريد النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الله بن أبي : خفت والله سيوف الخزرج : قال : لا جرم ، والله لا أسلم حولا ، فمات في الحول .

* وقال أبو يعقوب الخريمى : (١)

إذا شدُّوا عمائمهم لووهـا على كرمٍ وإن سَفَرُوا أناروا

يبيع ويشترى لهمْ سواهُمْ ولكنْ بالطعانِ هم تجارُ

إذا ما كنت جارَ بنى خريمٍ فأنتَ لِأكرمِ الثقلينِ جارُ

قال الجاحظ : كان أبو يعقوب الخريمى يدعى الأعور ، ثم عمى قبل موته بسنين وهو يدعى الأعور . وهو مولى خريم الناعم ، وهو من المشهورين بالنسب إلى مولاه . وكثير من الموالى وغيرهم لا ينسب إلا بما غلب عليه . ، وأكثر منه فشهر به ، وربما غلب عليه غير نسبه .

منهم أبو مسعود البدرى ، ولم يشهد بدراً ، وهو صاحب نزل ماء بدر وإسماعيل السدى كان يبيع الخمرة فى سدة المسجد . ومنهم رياش [الجذامى] مولى محمد بن سليمان ، وليس لمولاه . ولكنه من جذام ، وكان منقطعا إليه .

ومنهم سعيد بن زير [الجعفرى] مولى جعفر ، وهو من بنى كلاب منقطع إلى جعفر بن سليمان . واليزيدى النحوى منقطع إلى يزيد بن منصور الحميرى ، وأبو على الجرمازى . وليس بجرمازى ، وإنما كان ساكنا فى طرف بنى الجرماز .

وأبو حسان الزيادى قاضى فارس ، وليس من آل زياد ، وإنما جده كان منقطعاً إلى زياد .

وسليمان التيمى مولى لبنى قيس بن ثعلبة ، وكان نازلا فى بنى تيم وأحمد الطحيمى الزاهد مولى لبنى ثعلبة بن يربوع ، وأخوه محارب من صليبة بنى الطحيم .

والحكم بن عمر العقارى صاحب خراسان ، وعتبة بن غزوان هو من

---

(١) فى ديوانه جمع وتحقيق على جواد الطاهر ومحمد حيار سعيد طبع دار الكتاب بيروت سنة ١٩٧١ ص ٦٩ . والبيت الأول « إذا لبسوا عمائمهم ثنوها »
والبيت الثانى عجزه « ولكن بالسيوف هم تجار »

بنى مازن بن منصور أخى سليم وصفوان بن محرز المازنى الذى بكى حتى ذهبت عينه . هو من غسان أخى مازن بن منصور .

وواصل بن عطاء الغزّال رئيس المعتزله انه لما كان يجلس إلى أبى عبدالله الغزال مولى قطن الهلالى . وأبو سلمة الخلال ليس بخلال ، وإنما كانت داره فى الخلالين . وله حوانيت يباع فيها الخل .

ومثله خالد الحذاء . كان يجلس إلى رجل حذاء .

وممن عمى بعد عوره أو عشاه ، فبقى على مانسب إليه أولا الأعشى الشاعر والأخفش النحوى ، وأبو يعقوب الخريمى ، وخريم الناعم المرى من ولد خارجه بن يسار صاحب الحمالة بين عبس وغطفان (ذبيان) ، وهو بيت بنى مرة . وخريم الذى يقول ، وقد قيل له : ما النعمة ؟ قال : الأمن ، فانه ليس لخائف عيش ، والغنى ، فانه ليس لفقير عيش ، والصحة فانه ليس لسقيم عيش ثم لا مزيد بعد هذا . وإنما سمى الناعم لأنه كان يلبس البالى فى الصيف والجديد فى الشتاء .

* أتى الحجاج بأسارى من الترك ، فأمر بقتلهم ، فقال له رجل منهم : أطلب إليك أيها الأمير حاجة ليس عليك فيها مؤنة . قال : ما هى ؟ قال : تأمر رجلا من أصحابك شريفا يقتلنى ، فانى رجل شريف . فسأل عنه أصحابه فقالوا كذلك هو ، فأمر خريما الناعم المرى بقتله ، فلما أقبل نحوه ، وكان دميما أسود أفطس صرخ الرجل فقال الحجاج : سلوه ما له ؟ . قال : طلبت إليك أن تأمر بقتلى رجلا شريفاً فأمرت هذا الخنفساء ؟ ! ..

فقال الحجاج : إنه لجاهل بما تبتغى غطفان يوم أضلت . أراد قول زهير فى خارجة بن سنان :

إن الرزيَّةَ لا رزيـــــةَ مثلهـا   ما تبتغى غطفانُ يوم أَضَلَّتِ

يبغون خير الناسِ كما واحداً عظمت رزيتُه الغـداةَ وجلَّتِ

إن الرّكابَ لتبتغى ذا مِـرَّةٍ بجنوب نخل إذا الشهور أَهَلَّتِ

* يقال عن خارجه إنه كبر وإنه ضل بنخل فلم ير بعد . ولما حضرت أمه الوفاة وهى حامل به قد أتمت قالت : إنى لأجد مس الجنين فى بطنى حيا فأتونى بحديدة ، فأتوها بها فبقرت بطنها بنفسها ، وقالت : استوصوا به خيراً فانه أبيض طوال ، وماتت ، فسمى خارجة البقير . وهو الذى رهن قوسه فى دماء عبس وذبيان بألف ناقة ، وأشترك معه أبوه وابن عمه الحارث بن عوف بن حارثة . ففيهما يقول زهير :

فرحت بما خُبِّرتُ عن سيديكم وكانَا امرأين كل أمرهما يعلو

تداركتما الأَحلاف قد ثُلَّ عرشها وذبيان قد زلَّتْ بأَقدامها النَّعْلُ

فأَصبحتما منها على خير موطنٍ سبيلكما فيها وإن أحزنوا سَهْلُ

فأديا ألف ناقة هو وابن عمه ، وأديا بعد ذلك مائتى ناقة فى القتيلين اللذين قتلهما ابنا ضمضم بعد الصلح ، ففى ذلك يقول شبيب بن البرصاء :

ونحن رهنَّا القوسَ فى حربِ داحسٍ بأَلفٍ وزيدت بعدها مائتانِ

باب
فى ذكر بيوتات العرب

بيوتات العرب ثلاثة ؛ فبيت قيس فى الجاهلية فزاره ومركزه بنو بدر . وبيت ربيعة شيبان ، ومركزه بنو ذى الجدين . وبيت تميم بنو عبدالله ابن دارم ، ومركزه بنو زرارة . هذا قول أبى عبيدة . وقال أبو عمرو بن العلاء ثم ثلاثة من بنى دارم : آل خالد بن سلمى بن جندل ، ثم يليه بيت بنى صعصعة من بنى مجاشع ، وبيت بنى رياح آل عتاب بن هرمى بن رياح كانوا أرداف الملوك. وبيت بنى ثعلبة بن يربوع آل شهاب بن عبد قيس ، وبيت بنى عمرو بن تميم ، بيت بنى عاصره من بلعنبر ، ومن بنى سعد بيتان . بيت بنى علاق وبنى شهاب ، وبيت بنى شيبان بن خالد منهم قيس بن عاصم . وكان النبى صلى الله عليه وسلم بعث عاصره بن سمرة على الصدقات .

وقال أبوعمرو : بيت بنى سعد اليوم آل الزبرقان بن بدر من بنى بهدلة بن سعد ، وبيت بنى ضبة بنو ضرار بن عمير وهو الرديم . وبيت بنى عدى بن عبد مناة آل شهاب من بنى ملكان ،وبيت اليتم آل النعمان بن جساس . قال ابن الكلبى : كان أبى يقول : العدد من تميم فى بنى سعد والبيت فى دارم ، والفرسان فى يربوع . والبيت من قيس فى غطفان ثم فى بنى فزارة ، والعدد فى بنى عامرو الفرسان فى بنى سليم .

والعدد من ربيعة والبيت والفرسان فى بنى شيبان . وكان يقال : إذا كنت من تميم ففاخر بحنظلة وكاثر بسعد وحارب بعمرو .

وإذا كنت من قيس ففاخر بغطفان وكاثر بهوازن ، وحارب بسليم ، وإذا كنت من بكر ففاخر بشيبان . وحارب بشيبان ، وكاثر بشيبان .

قال أبو عبيدة : ليس فى العرب أشرف ولا أعد ، ولا أكثر فرسانا من بكر وتغلب ابنى وائل والعدد من ربيعة وفرسانها . والبيت فى بنى شيبان ، وليس كذلك أحد من العرب لأن البيت من تميم فى دارم . والعد فى سعد ، والفرسان فى يربوع ، والبيت من قيس فزاره وليست باعد قيس . ولا أكثر فرسانا .

قال : وليس فى العرب أربعة إخوة أنجب ولا أعد . ولا أكثر فرسانا من بنى ثعلبة بن عكابة . وكان يقال له الأعز والحصن ، وبنوه شيبان وذهل وقيس ، وتيم الله .

قال : وفارس غطفان الربيع بن زياد العبسى . وفاتكها الحارث بن ظالم ، وحكمها هرم بن قطبة . وجوادها هرم بن سنان المرى . وشاعرها النابغة الذبيانى .

وفارس بنى تميم عتيبة بن الحارث اليربوعى ، قتله ذؤاب بن ربيعة الأسدى

وفارس عمرو بن تميم طريف بن تميم العنبرى .

وفارس دارم عمرو بن عمرو بن عُدس ، وفارس بنى سعد فدكىّ بن أعين المنقرى . وفارس الرباب زيد الفوارس الضبى .

وفارس قيس عامر بن الطفيل ، وفارس ربيعه بسطام بن قيس

فاذا اختلف الناس فى عامر وبسطام وعتيبة أيهم كان أشرف؟ احتج كل فارس منهم بعثرة الآخر ، فقالوا : بسطام فر عن قومه يوم البطالى ، وأسره عتيبة بن الحارث يوم الغبيط . وقتله عامر بن خليفة الضبى

وفارس بنى قيس بن ثعلبة أبو مالك حمران بن عبد عمرو بن بشر بن مرثد ومسمع بن شيبان أبو المسامعة .

وفارس تيم الله بن ثعلبة عمرو بن لأى . وفارس غنىّ رياح بن الأسل

وفارس باهلة شقيق بن جَزْءٍ القيني .

وكان دريد بن الصمة فارس عجز هوازن .

قال ابن سلام : فارس اليمن عمرو بن معدى كرب الزبيدى . وشاعرها امرؤ القيس بن حجر الكندى وبيتها فى كندة الأشعث بن قيس لا يختلف فى هذا ، وإنما الاختلاف فى مضر. قال : وإنما الشرف ما كان قبل النبى عليه السلام ثم اتصل بالإسلام .

* لقى المغيرة بن شعبة أعرابيا من بنى تيم الله بن ثعلبة يقال له ابن لسان الحمرة فقال له : كيف علمك بربيعة ؟ . قال : أعلم الناس بهم . قال : ما تقول فى قومك ؟ . قال : رعاة الغنم . قال : فما تقول فى بنى ذهل ؟ . قال : سادة نوكا . قال : ما تقول فى شيبان ؟ . قال : ساداتنا وسادة غيرنا . قال : فبنو قيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاوروك سرقوك . وإن ائتمنتهم خانوك وإن حدثوك كذبوك . قال : فما تقول فى بنى حنيفة ؟ . قال : يطعمون الطعام ويضربون الهام . قال : فما تقول فى عجل ؟ . قال : أحلاس الخيل . قال : فبنو يشكر ؟ قال . صريح تحسبهم موالى . أى فيهم حمرة . قال : فما تقول فى عنزة ؟ . قال : خدعا وعفوا قال : فبنو ضبيعة قال : لا يلتقى بهم السيفان من لؤمهم .

وكانت الحكومة فى قيس والحمالات والملمات والأحلام والعقل فى بنى مازن بن فزارة . ومنهم هرم بن قطنة بن سيار ، وهو صاحب الحكومة ، مسافر بن علقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل .

* قال أبو عبيدة : سأل معاوية شيخا من بقايا العرب : أى العرب رأيته أفخم شأنا ؟ . قال : حصن بن حذيفة ، رأيته متوكئا على فرسه يقسم فى الحليفتين أسد وغطفان .

* وقال حاتم الطائى :

إن كنت كارهة معيشتنـــا هـــا انـــا فحـــلِّى فى بـــنى بـــدْرِ
الضاربين لـــــدى أعنتهم والطـــاعنين وخيلهم تجـــرى
جاورتهم زمـــن الفـساد فنـ ـــعم القوم فى اللأْواءِ والعُسْـرِ
صبرٌ على حاب اللقاح معــا جيف العِضَالِ أعفَّـــةُ الفَقْـرَ
فبعثث بالمـــاءِ النميـــر فلم أُترك ألاطمُ حَمْـــأَةَ الحُمْـــرِ
ودعيت فى أولى الندىّ ولـــم ينظـر إلىّ بـــأَعَيـــنٍ خُـــزْرْ

ورد أسيار بن عمرو ولد النعمان بن المنذر أو الأسود بن المنذر الذى قتله الحارث بن ظالم المرى ألف بعير. حمل ذلك ابن النعمان فقال الشاعر :

لعسر مـــا بين المـــلوك سعـــى بهـــا ليجمدَ سيَّارُ بن عمرو فأَسرعا

باب
فى ذكر اللباس والطيب

أنشد الطائى :

يمشون فى حُلَلِ الملــوك عليهم	والمسك فى عطفٍ لهــم ومــآزر
قد اليمانية القــواطع قدهم	ليسوا بمتــائى البطــون ضباطر
بأولاك يفخر بعدهم أبنــاؤهم	أصحــاب ألوية وركب منابِرِ

وكان ابن عمر يستجمر بعود غير مطرى ، ويجعل معه الكافور ، ويقول : هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجمر .

وكانت ملحفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى يلبس فى أهله مورَّسه .

* وقال آخر : رأيت على رأس ابن الزبير ما لو كان لى لكان رأس مال . وكان ابن عباس يطلى رأسه بالمسك ، فاذا مر بالطريق قال الناس : مر ابن عباس أم مر المسك. وقال هشام بن عروة : كان عمر من أجود الناس غالية .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير طيب الرجال ما ظهرت ريحه وخفى لونه ، وخير طيب النساء ما ظهر لونه وخفيت ريحه . ويقال : مسكٌ مروح من قوة ريحه إذا قوى بغيره ، كما يقال عود مطرى . قال الشاعر :

خودٌ يكون بها القليل تمسه	من طيبها عبقاً يطيب ويكثر
شكر الكرامة جلدها وصفاها	إن القبيحة جلدها لا يشكر

ولامرئ القيس :

خليليّ مرّابى على أم جندب ... نقضىّ لباناتِ الفؤادِ المعذب
ألم تريانى كلما جئت طارقاً ... وجدتُ بها طيبا وإن لم تطيَّبِ

وقال البحترى :

إذا خطرت تأرَّج جانباها ... كما خطرتْ على الروض القَبُول
ويحسنُ دلُّها والموتُ فيه ... كما يستحسن السيف الصقيل

وله أيضا :

يذكر نيلك والذكرى عناءُ ... مشابه فيه بيّنةُ الشكولِ
نسيم الورد فى ريح شمالٍ ... وريح المسكِ فى راحٍ شمولِ

ولغيره :

لم أَلقَها قطُّ إلا وهىَ عاطِرةٌ ... وما تعطَّرُ إلاَّ فى الأَحَايِين
حتى كأنَّ إله الناسِ صوَّرها ... من ماءِ عنبرةٍ والخَلْقُ من طِيَن

وقال أبو العباس المكى الأعمى ، مولى بنى الدؤل فى بنى أمية :

ليت شعرى من ابن رائحة المسك ... وما إن إخال بالخيفِ أُنْسِى
حين غابت بنو أمية عنها ... والبها ليلُ من بنى عبد شمسِ
خطباءٌ على المنابر فرسانٌ ... عليها ، وقالةٌ غيرُ خُرْسِ
لا يعابون صامتين وإن قالوا ... أصابوا ولم يقولوا بلبس
بحلومٍ إذا الحلوم استخفتْ ... ووجوهٍ مثل الدنانير مُلْسِ

وله فيهم :

فكدت ووافيت الجمار عشيَّةً ولم تبْد لى إلاَّ ليالٍ قلائِلُ
أَموتُ أَسىً ثم ارعويت لصاحبى فقلت له أَين القرومُ الجحافِلُ
شهدتُ لقد وافت معدٌّ بقلة وذ ويمن أو ما أرى ما أحاولُ
أَبادوا فما تُرَى جمارًا حصاهم أم امست خلت من عبد شمس المنازلُ

يعنى منازل الحج بمنى

* كان ابن الزبير قد كسا من كان بمكة من الشعراء ، ولم يكس أبا العباس الأعمى لقربه من بنى أمية ، واتصاله بهم ، فقال :

لم تر عينى مثل قوم تحمّلوا إلى الشام مظلومين منذُ بُريتُ
أَبرَّ بأَيمانٍ وأَوفى بذمةٍ وأعلمَ بالمسكين حيث يبيتُ
كستْ أَسدٌ إخوانها ولو اننى بحضرةِ إخواني إذاً لكسيتُ

فبلغ قوله عبدالملك ، فأمر له بكسوة ، وأمر من كان من أهل بيته وبنى عمه ووجوه بنى أمية أن تبعث إليه كل واحد بكسوة ففعلوا .

* كان رجل يقول انى بعشرة آلاف إنسان فمات فلما حُمل على نعشه صَرَّ النعش ، فقال رجل كان حاضرا :

وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه أصلاب قوم تقصَّفُ
وليس فتيقُ المسك ما تجدونه ولكنه ذاك الثناءُ المخَلَّفُ

* نظر رجل إلى هلال بن أحور التميمى وقد أطافت به بنو تميم فقال : أنظروا إليهم كأنهم إنما طافوا بعيسى بن مريم ، فقال له رجل من بنى تميم . هذا عيسى صلى الله عليه كان يحيي الموتى . وهذا يميت الأحياء ، وذلك حين قدم من أرض السند بعد أن قتلت تميم الأزد وبنى المهلب .

* وذم رجل الأشتر النخعى فقال له رجل : أسكت وإن جفانه هزمت أهل الشام ، وموته هزم أهل العراق .

باب

يذكر فيه ماقيل فى الجمال وحسن الوجوه

قال الشاعر :

إن المهالبةَ الكـرام تحمَّلـوا ... دفع المكـارهِ عن ذَوِى المكـروهِ
دانوا قديمهم بحسن حديثهم ... وكريم أخَلاقٍ بحسن وجـوهِ

وقال آخر :

آلُ المهلَّبِ قومٌ خُوِّلُوا شَرفـاً ... ما نالَه عربىٌّ لا ولا كـادا
لو قيلَ للمجْدِ حُذْ عنهم وخَلِّهمُ ... بما احتكمْتَ من الدُّنيا لما جادا
إنَّ المكارمَ أرواحٌ يكـونُ لهـا ... آل المهلب دون الناسِ أجسادا

* وقال أبو بكر رضى الله عنه يوم السقيفة للإنصار : نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً ، وأوسطهم داراً ، وأكرمهم أحساباً ، وأحسنهم وجوهاً وأكثر الناس ولادة فى العرب ، وأمسهم برسول الله صلى الله عليه وسلم رحما . أسلمنا قبلكم ، وقدمنا فى القرآن عليكم ، وأنتم إخواننا فى الدين وشركاؤنا فى النبىّ ، وأنصارنا على العدو ، آويتم وأنسيتم فجزاكم الله خيراً . نحن الأمراء وأنتم الوزراء . لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش ، وأنتم خليقون ألا تنفسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم من خير .

* قال بعض آل الزبير : جلست فى مجلس بالبصرة فنسبنى شيخ من أهلها فانتسبت له فبكى ثم قال : كأنى أنظر إلى مصعب بن الزبير على منبر

هذا المسجد ، وهو كأجمل الفتيان والفرزدق قائم بين يديه ترعد فرائصه وهو يقول : (١)

عجبتُ لأقوام تميمٌ أبـوهمُ ... وهم بعـد فى سعدٍ عظام المبَاركِ

وكانوا أعزَّ النّاسِ قبل مسيرهم ... مع الأزدِ مصفرًّا لحاهَا ومالكِ (٢)

فما ظنكم يابن الحوارىِّ مُصْعَبٍ ... إذا افترَ عن أنيابه غير ضاحكِ

ونحن نفينا مالكاً عـن بلاده ... ونحن فقـأْنا عينـه بالنيـازِكِ(٣)

يعنى مالك بن مسمع من بكر بن وائل . وهو سيد بكر بالبصرة . ويقال : إذا غضب مالك غضب له مائة ألف سيف لايسألونه فيم غضب . وطردته بنو تميم من البصرة حين انهزمت المروانية عن وقعة الجفرة ، وفقأوا عينه ، فلحق بنجدة بن عامر الحنفى ، فأكرمه ، وأقام عنده حتى هلك مصعب ، فرجع إلى البصرة ، وأعطاه نجدة مائة من الإبل . فقالت له الحوارج : أتعطى رجلا منافقاً . قال : أردت أن أتألفه . وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم .

والذى تولى قتل مصعب عبيدالله بن زياد بن طيبان ، وكان يطلبه بثأر أخيه الثانى ابن زياد ، وكان أخذ فى سرق ، فأمر به صاحب الشرطة فضربه فمات .

دخل عبدالله بن الزبير الأسدى على مصعب بن الزبير ، فقال له : أنت الذى تقول :

---

(١) ديوانه ٢ ص ٦٠٠ ورواية الشطر الثانى (وهم فى بنى سعد عراض المبارك)

(٢) روية البيت الثانى :

وكانوا سراة الحى قبل مسيرهم ... مع الأسد مصفرا لحاها ومالك

(٣) رواية الديوان (عن بلادنا) . ويتقدم البيت فى الديوان سابقه هنا

إلى رجبٍ أَو غُرَّةِ الشهر بعــدَهُ   توافيكم حمرُ المنــايا وسودُهــا
ثمانــونَ ألفا دينُ عثمانَ دينُهــا   مسوّمةٌ جبريــلُ فيهــا يقودُهــا

وكان مع المختار بن أبى عبيد، ففزع الأسدى فقال : نعم أمتع الله بك فعفى عنه ووصله . فقال :

جَزَىَ الله عنا مصعباً إنَّ فضلَهُ   يعيشُ به الجانى ومن ليس جانيا
ويعفو عن الذَّنب العظيم اجترامُه   ويَوليك بالإحسانِ ما لستَ ناسِيَا

ثم إن بصر عبدالله الشاعر ضر بعد ذلك ، فلقى عبيدالله بن زياد بن طيبان فسمع كلامه فعرفه ، فأدركه وقال له : أنت قتلت مصعب . وأنشده :

أَبا مطر شلَّت يمينٌ تفــرّعتْ   بسيفك رأس ابن الحوارىّ مصعب
ولا ظفرت كفاك بالخير بعدهُ   ولا عِشت إلاَّ فِى (بوار مخيَّب)
قَتلْتَ فتىً كانتْ يداهُ بفضلِه   تسُحّانِ سحَّ العَارضِ المتصوِّب
أغرَّ كضوء البدرِ صورةُ وجهه   إذا ما بدا فى الجحفلِ المتكتّبِ

قال : نعم والله ، فما أفلحنا بعده ، ولا أنجحنا ، فهل توبة ؟ . قال له ابن الزبير : سبق السيف العزل

* هذا مثل « قاله ضبة بن أد ، وكان له أبنان ، سعد وسعيد ، فخرجا فى طلب إبل لهما ، فرجع سعيد ، فكان ضبة كلما رأى شخصاً مقبلا قال : أسعد أم سعيد ؟ . فذهبت مثلا . وبينا ضبة يسير ومعه الحارث بن كعب فى الشهر الحرام إذا بهما على مكان فقال الحارث : أترى هذا الموضع فانى لقيت به فتى من صفته كذا وكذا فقتلته ، وأخذت هذا السيف منه . فاذا هى صفة سعيد . فقال له ضبة : أدن السيف أنظر إليه . فناوله فعرفه

ضبة ، فقال عند هذا إن الحديث شجون وفتنة . فذهبت مثلا ، فضربه بالسيف ، فقتله ، فلامه الناس وقالوا : قتل رجلا فى الشهر الحرام . فقال : سبق السيف العذل . وفيه يقول الفرزدق : (١)

فلا تأمَنَنَّ الحرْبَ إنَّ اقتحامها   كضبَّةَ إذْ قَال : الحديثُ شجونُ

« وكان يقال إن مصعب كان أشبه الناس سيرة بسيرة السلف الصالح . ووصفه عبد الملك بن مروان فقال : فى كلامه زكانة وكانت عنده عقيلتا قريش سكينة وعائشة ، ثم هو أكبر الناس مالا . جعلت له الأمان ، وضمنت له أن أوليه العراق ، وعلم أنى سأفى له لصداقة كانت بينى وبينه . فأبى وحمى أنفاً ، وقاتل حتى قتل . فقال له بعض من كان حاضراً إنه كان يصيب الشراب . قال : ذلك قبل أن يطلب المروءة ، وأما منذ طلبها . فلو ظن أن الماء ينقص من مروءته ماذاقه .

ولما قتل عبد الملك مصعبا ، وجه أخاه بشرا على الكوفة ، وجعل معه روح بن زنباع وزيرا . وكان روح عالماً داهية ، غير أنه من أجبن الناس وأبخلهم . فلما رأى أهل الكوفة بخله خافوا أن يفسد عليهم أميرهم . وقد كانوا عرفوا جبنه ، فكتبوا على بابه ليلا :

إنَّ ابنَ مروانَ قد حانتْ منيَّتْه   فاحتلْ لروُحِك يارَوْح بن زنباع

فلما أصبح رأى ذلك ، فلم يشك أنه مقتول ، فاستأذن بشراً فى الشخوص فأذن له فخرج حتى قدم على عبدالملك ، فقال له : ما أقدمك ؟ . قال : يا أمير المؤمنين تركت أخاك مقتولا أو مخلوعاً . قال : وكيف عرفت ذلك ؟ فأخبره الخبر ، فضحك عبدالملك وقال له : احتال عليك أهل الكوفة ، حتى أخرجوك عنهم .

---

(١) ديوانه ٨٧٣/٢ وروايته : (... إن اقتحامها) وهو من أبيات قالها للخيار بن سبرة المجاشعى .

* وقال الحارث بن ضابئ البرجمي يذكر فعل مصعب بن الزبير :

فكرَّ كما كرَّ الحواريُّ يبتغي إلى الله زُلْفَى أن يكرَّ فيقتلا

الحواري مأخوذ من التنوير ، وهو التبييض . وكان حواريو عيسى عليه السلام قصارين يحورون الثياب .

* والحور شدة سواد السواد من العين ، وشدة بياض البياض . وقال آخر : الحور القجل . وقال آخر يمدح :

رأيتكم بقيـة آل حـرب وهضبتها التي فوقَ الهضاب
يذكرني مقامي في ذراكمْ مقامي أمس في ظلّ الشبابِ

وقال البحتري : (١)

بني أَحْوَذيٌّ يَغْمُر السيفَ مُوقعاً ببسْطَته ، والسيف وافي الحمَائل(٢)
تضيقُ الدُّروعُ التُّبَّعيَّاتُ عنهمُ على كُلِّ رحْبِ الباعِ سَبِطْ الأَناملِ
أَوائل قومٍ يَسكُنُ الثغرُ إنْ مَشَوا على أَرْضِه والثَّغْرُجَمّ الزَلازلَ
فكم فيهمُ من مُنْعِم مُتَطوِّلٍ بآلائه أَو مُشرفٍ مُتَطاولِ
إذا سُئلُوا جاءَت سيول أَكفِّهمْ نَظَائرَ جمَّاتِ التِّلاعِ السَّوائلِ
خليقُونَ سرُّوا أَنْ تلين أَكفُّهم عرَائكَ أَحداثِ الزمَانِ الجلائلِ

قال أبو عبيدة : سارت بنو سعد إلى بني بكر بن وائل ، وكانت فيهم جارية عاشق فاكتلأت تنظر ، فرأت رجلا معتجزاً بسيفه يرد متنكباً قوسه ، فلاحت لها صفحة القوس فأنتبهت أباها وقالت : ياأبت إني رأيت متن سيف أو صفحة قوس على موضع السلاح في الشمال من رجل أحلى الجبين ، براق الثنايا ، كأن عمامته ملونة بسحرة . فقال : يابنية إني لأبغض الفتاةالكلوم

---

(١) ديوانه ٣ــ١٨٥ بتحقيق الصيرفي من قصيدة يرثي أبا العباس بن ميكال .

(٢) رواية الديوان : (يغمر السيف وافيا) .

العين قالت : والله ماكذبتك . فصاح فى قومه فأنذرهم ، فقالوا : مانبه أبنتك فى هذه الساعة إلا أنها عاشق . فاستحى الشيخ وانصرف ، فقالت أبنته : ارتحل فان الجيش مصبحك ، فوقعت بنو سعد ببكر بن وائل ، فقتلوا منهم ، وملأوا أيديهم من السبى .

* عاد إلى ذكر حسن الوجوه . قال الشاعر :

كأن دنانيراً على قسماتهم وإن كان قد سف الوجوه لها

وقال مرقش : (١)

النَّشْرُ مِسكٌ والوُجُوهُ دنَـا نيرٌ وأطرافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

وقال آخر :

وجوهٌ لو ان المغْلسين سروا بهـا صَدَعْنَ الدُّجَى حتى ترى الليل ينجلى

يقوله فى صفة نساء ، ولو مدح به رجالا لكان عجيبا .

* وقال القطامى : (٢) (يصف نوقا)

يمشين رهواً فلا الأَعجازُ خاذلـةٌ ولا الصدورُ على الأَعْجازِ تتكِلُ

ولو وصف به نساء لكان عجيباً .

وقال أبو الطمحان القينى : (٣)

---

(١) المفضليات ٢ ـ ٣٨ المفضلية رقم ٥٤ بتحقيق أحمد محمد شاكر وهو المرقش الأكبر .

(٢) ديوان القطامى ص ٢٦ .

(٣) أبو الطمحان القينى . حنظلة بن الشرقى . أحد بنى القينى من قضاعة . كان شاعرا فارسا صعلوكا مخضرما . أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان تربا للزبير بن عبد المطلب فى الجاهلية ونديما له : ذكره أبو حاتم فى المعمرين ويعد من الشعراء المطبوعين . أورد الأبيات فى الحماسة الجزء الثانى مع نقص وخلاف .

فكم فيهم من سيد وابنِ سَيِّــد وفىٌّ بعقد الخارجين يفارقُــه
يكادُ الغمامُ الغر يرعدُ إن رأى وجوه بنى لام وينهَلُ بارقُــه

وقال : (١)

فإنى من القوم الذين هُمُ هُمُ إذا مات منهم سيد قام صاحبُه
كواكب مجدٍ كلما غارَ كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوى إليه كواكبُه(٢)
أضاءتْ لهم أحسابهم ووجوههم دُجَى الليل حتى نظم الجزعِ ثاقبُهْ
ومازالَ منهم حيث كانوا مسوّدٌ تسيرُ المَنَايا حيثُ سارَتْ كتائبهْ

وقال الحريمى :

إذا قمرٌ منها تغوَّرَ أوخبَا بَدا قمرٌ فى جانب الأُفق يلمعُ

أراد (أبو الطمحان) المبالغة لأن الجزع بالليل يخفى على ناظمه .

* ومن حديث ابن أبى هالة يصف النبى عليه السلام : « كان فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر . أطول من المربوع ، وأقصر من المشذب ، عظيم الهامة رجل الشعر ، إن تفرقت عقيقته فرق ، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفره . أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن . بينهما عرق يدره الغضب . أقنى العرنين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، أشنب ، مفلج الأسنان ، رقيق المسربة ، كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادن متماسك ، سواء البطن والصدر عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، أنور المتجرد ، طويل الزندين ،

---

(١) الحماسة ٢–٢٧١ ثلاثة أبيات منها مع اختلاف فى الرواية .
(٢) روايته فى الحماسة :
(إذا قيل أى الناس خير قبيلة وأصبر يوما لا توارى كواكبه

رحب الراحة ، شثن الكفين والقدمين . سائل الأطراف خمصان الإخمصين ، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء . إذا نال قلعاً يخطو تكفياً . ويمشى هوناً . ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف . نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء . جل نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ، يبدأ من لقى بالسلام ، جل ضحكه التبسم ، ويفتر عن مثل الغمام .

* وقال الحارث بن دوس الإيادى :

امرؤ القيس بن أروى مقسم إن رآنى لايرينى بقيد

فتحلل قلت قولا باطلاً إننى يمنعنى سيفى ويد

ورجال حسن أوجههم من إياد بن نزار بن معد

إياد تنتسب فى اليمن ثم فى النخع ثم فى مذحج ، وقد نسبوا أيضا إلى قضاعة ويقال هم جشم من بنى دعمى بن إياد . وقالت أخت الأشتر مالك بن الحارث النخعى :

أبعد الأشتر النخعى آسى على ميتٍ وأقطع بطن واد

نؤاخى مذحجاً بإخاءِ صدقٍ وإن نسبت فنحن إلى إيادِ

ثقيفٌ عمنا وأبو أبينا وإخوتنا نزار أولو السدادِ

يقال إن ثقيفاً من إياد ، وولد نزار غير مدافع مضر وربيعة وإياد وأنمار . وقال لهم فى حياته هذه القبة الحمراء وما أشبهها من قباب لمضر . فسموا مضراً الحمراء . والخباء الأسود والفرس الأدهم لربيعة . فسموا ربيعة الفرس . وهذه الخادم الشمطاء وما أشبهها من مال لإياد ، فأخذ الخيل الباق ، وما أشبه ذلك .

وهذه الندوة والمجلس لأنمار ، فان أشكل عليكم شئ فتحاكموا إلى « أفعى نجرات » ويقال إنما وصى لمضر بالحمار ولربيعة بالفرس والقدر ، ولأنمار بالخباء والحرث ، ولأياد بالنعم .

* وقال يحى بن منصور الذهلى :

نزارُ كان أَعلم حين أَوصى ... لأَىّ بنيه أَوصى بالحمار

وأَيُّهمُ أَحقُّ بكل طرفٍ ... موج فى الرفاقِ وفى الحيارِ

وكل من بالعراق من إياد دخلوا فى النخع . وكل من بالشام مقيم على نسبه فى نزار ، وكان أحمد بن أبى دؤاد الإيادى مقيما على نسبة فى نزار وكان شديد التعصب مع شرفه وإنصافه ، وينكر أن يقال إن إياداً من اليمن واتصل بأحمد أن حبيباً الشاعر نال من مضر ، وزعم أن إياداً من اليمن وكان الطائى متعصباً لليمن ، شديد الغلو فى ذلك ، فغضب عليه ابن أبى دؤاد ، فقال حبيب يعتذر إليه من قصيدته التى أولها :

سَقَى عهدَ الحِمَى سَيْلُ العِهادِ (١)

فإن يَكُ فى بنى أُدٍّ جناحِى ... فإن أَثيث ريشى من إيادِ

هُمُ عظمُ الأَثافى من نزارٍ ... وأَهلُ الهضبِ (٢) منها والنجادِ

وأين يجوز عن قصد لسانى ... وقلبى رائحٌ برضاك غادِى (٣)

ومما كانتْ الحكماءُ قالتْ ... لسانُ المرءِ من خدم الفؤادِ

أَتى خبرٌ كأَن القلب أَمسى ... يُجرُّ به على شوكِ القتادِ

بأَنى نلتُ من مضرٍ وخبَّتْ ... إليك شكيّتِي خبَّ الجوادِ

وما ربعُ القطيعة لى بربع ... ولا نادى الأَذى منى بنادى

---

(١) ديوان أبى تمام ص ٧٨ طبعه محمد جمال بمصر وسيل العهاد أمطار الربيع بعد الوسمى .

(٢) فى الأصل الفضل وصححت من الديوان وهى الأليق بالسياق .

(٣) يأتى البيت الثالث متأخراً عن البيتين الآخرين فى الديوان .

وليست رغوتى من فوقِ مـذقٍ ولاجمرى كمينٌ فى الرَّمَادِ (١)

وقدماً كنتُ معسول الأَمـانى ومأدوم القوافى بالسـداد

وقد جازيت بالإحسانِ شـراً إذاً وصبغتُ عرفك بالسوادِ (٢)

وكيفَ وعتب يومٍ منك فـذّ أشد علىَّ من حرب الفسـادِ

وكان الشكر للكرماءِ فضـلاً وميـداناً كميـدانِ الجيـادِ

يَثبّتُ أن قولاً كـان زوراً أَتى النعمانَ قبلَك عـن زيـادِ

فأَرْث بن حىّ بـنى جـلاحٍ شبا حـربٍ ، وحىّ بـنى مصادِ

وغادر فى صدور الدهر قتلىً بـنى بـدرٍ على ذاتِ الإصَادِ(٣)

ولو كشفتنى لوجدت خـرقاً يصـافى الأكـرمين ولا يصادى

جديراً أن يكُرَّ الطـرفَ شزْراً إلى بعض المـواردِ وهـو صادِ

وقال من قصيدة أخرى :

لزِمُوا مركز الندى وذُرَاهُ وعَدَتنَا عن مثلِ ذاكَ العَوَادِى (٤)

غَير أنَّ الرُّبى إلى سبـلِ الأنـواءِ أَدْنى ، وَالخطُّ خطُّ الـوهـادِ

بعـدمـا أَصْلَتَ الـوشاةُ سُيوفاً قطَعَتْ فىّ وهى غـيرُ حِـدَادِ

---

(١) البيت فى هامش الأصل أمام البيت الذى سبقه ، ويأتى فى الديوان متأخرا .

(٢) روايته فى الديوان (لقد جازيت بالإحسان سوءا)

(٣) ذات الأصاد موضع .

(٤) من قصيدة له فى مدح ابن أبى دؤاد مطلعها :

سعدت غربة النوى بسعاد

ص ٧٥ ديوانه المذكور

فنفى عنكَ زخرفَ القـولِ سمعٌ ... لم يكن نهـزةً لغير السداد (١)

ضُرب الحلمْ والـوقـارُ عليـه ... دونَ عُورِ الكـلام والأسداد

وحوانٍ أبت عليهـا المعـالى ... أن تُسمَّى مطيَّـةَ الأحْقـادِ

حمل العبءَ كـاهـلٌ لك أمْسى ... لخطـوب الـزمانِ بالمرصادِ (٢)

عاتقٌ معتقٌ من الهـونِ إلاَّ ... مـن مقاساةِ مغـرمٍ أو نجادِ

للحمـالاتِ والحمـائلِ فيه ... كلحـوب المـوارد الأعـدادِ (٣)

مَليَتْك الأحسابُ أىَّ حيـاةٍ ... وحيَا أزمـةٍ وحيـةِ وادِ

لو تراخت يداك عنىّ فواقـاً ... أكلتنى الأيـام أكل الجـرادِ (٤)

كادت المكـرماتُ تنهـدُّ لولا ... أنَّهـا أُيّدتْ بحـىٍّ إيـادِ (٥)

قال أبو بكر الصولى : كان أبن بى دؤاد أظرف الناس لساناً ، وأحضرهم جواباً ، فى بلاغة وإيجاز ، وأحسنهم نزوعا ببيت فى موضعه أو آية فى مكانها وكان كريما . جواداً مشرفاً عند المعتصم والواثق .

* قال أبو عبدالله النديم(٦) : لقد رأيت الملوك فى مجالسها وخولها ومجامعها. فما رأيت آدب من الواثق . لقد خرج علينا ذات يوم وهو يقول : لعمرى لقد عرّض عرضه لمن عرّضه لقول الخزاعى :

---

(١) يسبق البيت بالديوان قوله :

من أحاديث حين دوختها ... بالرأى كانت ضعيفة الإسناد

ورواية البيت فى الأصل : (.. أحرف القول) ، والعجز فى الديوان(لم يكن فرصة)

(٢) فى الأصل : « حمل العبءكاهل لك ماز ال كصرف الزمان بالمرصاد »

(٣) فى الأصل « ..كالحوم الموارد ..» ولا معنى له . ولحوب — بالباء . وضوح ، والأعداد : المياه التى لا تنقطع .

(٤) هكذا فى الأصل . والديوان (.. يداك عنها) ، « أكلتها الأيام »

(٥) يرد البيت بعد سابقه بأبيات .

(٦) فى زهر الآداب : قال عبد الله بن حمدون النديم ٣–١١٥ . ط . زكى مبارك .

خليليَّ ماذا ارتجى من عدى امرى طوَى الكشح عنى اليوم وهو مكينُ
وإنَّ امرءًا قد ضنَّ عنى بمنط ـقٍ يسدُّ به فقرِى إذًا لضنين

فانبرى إليه أحمد بن أبى دؤاد ، كأنما نشط من عقال يسأله فى رجل من أهل اليمامة فأسهب وأطنب ، وذهب فى القول كل مذهب ، فقال له : يا أبا عبد الله : لقد أكثرت فى غير كثير ولا طيب .

فقال : يا أمير المؤمنين . إنه صديقى . وقد قيل :

وأهونُ ما يعطى الصديقُ صديقَه مـن الهَيِّـن المـوجـودِ أنْ يتكلَّماَ

فقال له : وإيش (١) قدر اليمامى أن يكون صديقك ، وإنما أعظم حالاته أن يكون من عرض معارفك ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه قد شهرنى بالاستشفاع بى عندك وجعلنى بمرأى ومسمع من الرد والإسعاف ، فان لم أقم هذا المقام ، وإلا كنت كما أنشد أمير المؤمنين :

خليلىّ ماذا أرتجى البيت

فقال الواثق : يا محمد بن عبدالملك ، بحياتى عليك إلا عجلت لأبى عبدالله حاجته يسلم من هجنة المطل ، كما سلم من هجنة الرد .

* واعتل ابن أبى دؤاد فعاده المعتصم ، وقال له : إنى نذرت إن عافاك الله أن أتصدق بعشرة آلاف دينار . فقال له : فاجعلها يا أمير المؤمنين لأهل الحرمين ، فقد لقوا من غلاء الأسعار عنتاً . فقال : نويت أن أتصدق بها ها هنا . وأنا أطلق لأهل الحرمين مثلها . ثم نهض . فقال له أحمد : أمتع الله الإسلام وأهله ببقائك يا أمير المؤمنين . فانك كما قال منصور النمرى لأبيك الرشيد :

إنَّ المكارم والمعـــروف أنـديةٌ أحلَّكَ الله منها حيث تجتمعُ

---

(١) فى زهر الآداب : (وما قدر اليمانى . .)

فقيل لأمير المؤمنين : إنك لاتعود إخوتك ، وكبراء أهلك ، وقد عدت أحمد . فقال : وكيف لا أعود رجلا ماوقعت عينه على قط إلا ساق إلى أجراً ، وأوجب لى شكراً .

* وقال أبو العيناء (١) : قلت لابن أبى دؤاد فى شأن قوم من أهل البصرة تألبوا على إنهم قدموا من البصرة إلى سر من رأى يداً على . فقال : يد الله فوق أيديهم . فقلت إن لهم مكراً . فقال : (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) . فقلت : إنهم كثير . قال : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) . فقلت : لله در القاضى ، هو والله كما قالت الصموت الكلابية :

لِلهِ درّك أيُّ جُنــةِ خــائفٍ ... ومتــاع دنيــا أنت لـلحـدثانِ
متخمطٌ يطأُ الرجالَ بحليه(٢) ... وَطْءَ الفنيق دوارج القِردَان (٣)
ويكُبُّهم حتى كأَن رءوسهــم ... مأمومةٌ تنحــطُّ للغــربـانِ
ويفرّج البابَ الشديدَ رتـاجه ... حتى يصير كـأنــه بــابـانِ

فقال لأبنه أبى الوليد : اكتبها . فكتبها بيده بين يديه .

وقال للمتوكل وقد نكبه :

أمير المؤمنين اسمــع كــلامى ... فإنَّ العبْدَ يحسِنُ إن أسَــاءَا
دنا منكَ العدُوُّ وغبت عنــهُ ... فنال بقربه مـا كـان شــاءَا
ولو كنتُ الغـريبَ ولم يكنــهُ ... تحامينى ولــم تخش اعتــداءَا

---

(١) هذا الخبر أورده الحصرى فى زهر الآداب ٣-١١٧ بتحقيق الدكتور زكى مبارك مع اختلاف فى اللفظ .
(٢) زهر الآداب : شهامة .
(٣) وتخمط الفحل : هدر ، وتخمط الرجل : غضب وثار . والفنيق : الفحل من الإبل المكرم عند أهله لا يؤذى ولا يركب ، والقردان : القراد

* وصف الجاحظ أحمد بن أبى دؤاد فقال لنا : أحمد بن أبى دؤاد ذو الحلم الفاضل واللسان اللين . والعقل العجيب ، والرأى السديد ، والصدر الرحيب ، والقول الفصل . والجود الغمر ، والعشرة الكريمة . والأخلاق المحمودة ، والعطايا السنية ، والقسمة السوية ، وشيخ العرب ، وسيد الحضر .، وغيث البدو . وقاضى القضاة ، ومقوم الولاة ، ومن قد طبق الأرض عرفاً . وملأ صدور الرجال والأولياء عزاً . ومن جرد القول بالعدل ، وكشف القناع فى التوحيد ، وأقام لكل حالة سويها ، ولكل سوق حقها حتى عرف الحق من كان يجهله ، وأقر به من كان ينكره ، وأحبه من كان يبغضه ، وأنس به من كان يستوحش منه . ودعا إليه من كان ينهى عنه .

* وكان ابن أبى دؤاد من الغلاة فى الاعتزال . وهو الذى حسنه للمعتصم والواثق وحمل الناس على اتباع رأيه فى الاعتزال . وأمر ألا يكون قاض ولا عسس ولا أمير إلا من قال بخلق القرآن . وامتحن العلماء ، وضربهم . ومات بعضهم فى السجون . وأهلك المسلمين . وله مع أئمة الحديث أقاصيص كأحمد بن حنبل ، فانه ضربه وسجنه . والبويطى مات فى السجن . ويحى بن معين أكرهه على مساعدته ظاهرا .

* وقال الأسود بن يعفر : (١)

مـاذا أؤمـل بعد آلِ محـرِّقٍ ... تركُوا منازِلَهـم ، وبعد إيادِ (٢)

أهلِ الخورنقِ والسدير وبـارقٍ ... والقصر ذى الشرفـات من سنداد

نزلوا بـأنْقِرةٍ يسيـلُ عليهـمُ ... مـاءُ الفراتِ يجئُ مـن أطـوادِ

---

(١) هو الأسود بن يعفر النهشلى من بنى نهشل بن دارم من تميم . وهو أحد العشى شاعر جاهلى مقدم فصيح فحل.كان ينادم النعمان بن المنذر ، ولما كبر كف بصره وكان يكثر التنقل فى العرب ، يجاورهم فيذم ويحمد . وله فى ذلك أشعار . قال ابن سلام : وله واحدة طويلة رائعة (لاحقة) بأول الشعر — يريد هذه القصيدة .

(٢) الأبيات من قصيدة فى المفضليات رقم ٤٤ ـــ ١٥ بتحقيق أحمد محمد شاكر

أَرَضاً تخيرَّهـا لِطيب مُقـامِها كعبُ بن مامةَ وابن أمّ دؤادِ(١)
جرت الرياح علىَ محلّ ديارهم فكأنّما كـانوا عـلى ميعـــادِ
فإذا النعيمُ وكـل ما يُلهىَ بـه يومـاً يصيرُ إلى بِـــلىً ونفـادِ

تحل هذه المواضع بالعراق . وهم أول معديين خرجوا من تهامة ، فنزلوا بالسواد وغلبوا على ما بين البحرين إلى سنداد ، والخورنق حتى غلبتهم العجم ، والصقتهم بالجزيرة ؛ وبالجزيرة يومئذ ملك من ملوك العماليق ، فقتلوه ، ونزلوها ، فمنعوها من الفرس والروم . وعاودتهم القتال ، ففرقوا ثلاث فرق ، فرقة بأنقرة ، وبجزيرة الروم ، وفرقة بحمص ، وفرقة رجعت إلى السواد . فأكثروا الفساد على كسرى ، وعاثوا ، فأجلاهم عن جزيرة العرب صاروا إلى ساباط . ثم فعل رجلان من إياد يقال لهما الأحمران ما فعلا ، وكانا عبثا ببعض جوارى شيرين فأخرجهم إلى الجزيرة ، فعبثوا فيها ، فأخرج إليهم كسرى جيشا كان فيه لقيط الإيادى ، فكتب إلى إياد :

سلامٌ فى الصحيفةِ من لقيـطٍ عـلى من بالجزيرةِ مـن إيادِ
فإن الليث كِسْرى قـد أتاكمْ ولا يشغلكم سوق النقـــادِ
أتـاكم منهـمُ سبعـون ألفاً يُزَجُّـون الكتـائِبَ كـالجرادِ
عـلى حنق أتينكُـمْ فهـذا أو انُ هلكُتمُ كـهـلاكِ عـادِ

وكتب إليهم بقصيدته الطويلة التى أولها :

يا دار عبلة من محلتِها الجرعا هاجت لك الشوقَ والأحزان والوجعا
أرْمِى بعيْنِى إذ زالتُ حمُولهم بطنَ السلوطح لا ينظرن من تبعَا
يا لَهف نفسى إذْ كانَتْ أمُوركم شتىَّ وأُبْرِمَ أمرُ الناسِ فاجتمعا

---

(١) هذا البيت يأتى ترتيبه فى المفضليات فى غير موضعه هنا وروايته :
(أرضا تخيرها لدار أبيهم)
(٢) فى المفضليات (مكان)

لم يدع بعضكم بَعضاً لنائبةٍ كما تركتمُ بأعلا بيشَة النُّخَعَا

أحرارُ فارسَ أبناءُ الملوك لهمْ من الجموع جموعٌ تزدهى القلعَا

فهم سِرَاعٌ إليكم بينَ مُلْتقطٍ شوكًا وآخر يجنى الصاب والسَّلَعَا

هو الجلاءُ الذى تبقى مذلَّتُه إنطارَ طائرِكُمْ يوماً وإنْ وقعَا

قوموا قياماً على أطرافِ أرجُلِكم ثم افْرعوا قد ينالُ الأمرَ من فرَعا

وقلِّدوا أمركم للهِ دركمُ رحْبَ الذّراع بأمر الحرب مضطلِعَا

لا مترفا إنْ رخَاءُ العَيْشِ ساعَدهُ ولا إذَا حلَّ مكروهٌ بهِ خَشِعَا

كما زِن بن قنانٍ أو كصاحبه عمرْو الفتى حِينَ لاقَى الحارِثيْنِ معًا

فلما بلغهم احتملوا جميعا حتى دخلوا بلاد الروم .

* وقال البحترى : (١)

أَصابَ الدهرُ دولةَ آلِ وهبٍ ونالَ الليلُ منهم والنهارُ

وما كانوا فأوجههم بدورٌ لمختبط وأيديهم بحارُ

أعارَهُم رِدَاءَ العزِّ حتىَّ تقاضاهُم فردُّوا مَا استعارُوا

* وقال عبدالله بن قيس الرقيات :

لو كان حولى بنو أميـة لم ينطقْ رجالٌ إذا هُمُ نَطَقُوا

إن جلسوا لم تضِق مجالِسُهم أو ركبوا ضاق عنهم الأفقُ

تحبُّهم عُوَّذ النساءِ إذا ما احمرَّ تحت الفوارسِ الحدَقُ

---

(١) من قصيدة له فى آل وهب وقد نكبهم الواثق . ديوانه ٢-٩٥٩ ويختلف ترتيب الأبيات فى الديوان .

وأنكر الكلبُ أهلَه ورأى الشـ ـرَّ وطاح المروَّع الفَرِقُ

فريحهم عند ذاك أذكى من المسك ، وفيهم لحائط ورِقُ

إنما ينكر الكلب أهله للبسهم السلاح عند الفزع ، فتنكر الكلاب حلاهم عند ذلك .

* وقال الأعشى (١) :

فيهم الخصب والسماحة والنجـ ـدَةُ فيهم والخاطب المِصْلاقُ (١)

وأبيّون ما يسامون ضيماً ومكيثون ، والحلوم وثاقُ

وترى مجلسا يَغَصُّ به المحرا ب بالقوم والثياب رقاقُ (٢)

وقال الأعشى أيضا :

جلسوا مجالسهم على أحلامهم رجح العقول مخالفى الأقياد (٣)

وإذا اللقاحُ تروحتْ بِعَشِيِّها رَتَكَ النعامِ عشيَّة الصُّرَّادِ (٤)

وترى القدور كأنها حَبَشِيَّةٌ غبراً ، وقلَّ حلائب الأرفادِ (٥)

حَبَسُوا على أضيافهم فشووا لَهُمْ من شحم مُنقية ومن أكبادِ (٦)

---

(١) الديوان بتحقيق الدكتور محمد حسين قصيدة ٣٢ والمصلاق الشديد الصوت .

(٢) كذا الأصل ، وفى الديوان (.. المحراب كالأسد .. والثياب رقاق)

(٣) جاء هذا البيت فى القصيدة بالديوان متأخرا عن تاليه وروايته :

أخذوا مجالسهم على أحلامهم صمت العشى مجانبى الإفناد

والإفناد الخطأ والخطل فى الرأى والقول .

(٤) فى الديوان (تروحت بأصيلة ..) ورتك النعام : عدوه ، صردت العشية بردت .

(٥) فى الديوان (وإذا القيان حسبتها حبشية) ورواية الأصل أصلح وأجمل .

(٦) رواية الديوان (حجروا على أضيافهم ..) و (من شط منقية ..) ورواية العجز فى الأصل أملح ، ومنقية من الإبل السمينة .

والدهر غيرَّ ذاك يا ابنة مالكٍ ولقد يُغيّر صالحاً بفسادِ (١)

روى أبو حاتم عن محمد بن إدريس قال : حدثنا عبدالجبار بن سنان الحنظلي الرقي قال : حدثنا محمد بن بشير عن أبان بن عبدالله البجلي عن أبان بن ثعلب ، وكان عربانيا ، عن عكرمة عن ابن عباس . قال حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر فسلم ، وكان رجلا نسابة ، وكان مقدماً ، في كل خير ، فقال : ممن القوم ؟ . قالوا : من ربيعة . قال : ومن أي ربيعة أنتم ، أمن هامها أم من لهازمها ؟ . قالوا : بل من هامتها العظمى . قالوا : وأي هامتها العظمى أنتم ؟ قالوا : ذهل الأكبر . قال أبو بكر : فمنكم عوف الذي يقال له لا حر بوادي عوف ؟ . قالوا : لا. قال : فمنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار ؟. قالوا : لا. قال : فمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ . قالوا : لا . قال : أفمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ . قالوا : لا. قال : أفمنكم أخوال الملوك من كندة ؟ . قالوا : لا . قال : أفمنكم أصهار الملوك من لخم ؟ . قالوا : لا. قال أبو بكر : فلستم ذهلا الأكبر ، أنتم ذهل الأصغر . فقام إليه غلام من بني شيبان حين بقل وجهه يقال له دغفل ، فقال :

إن على سائلنا أن نسأله والعبء لا نعرفهُ أو نحمله

يا هذا إنك قد سألتنا فأخبرناك ، ولم نكتمك شيئاً ، فمن الرجل ؟ قال أبو بكر : من قريش . قال له دغفل : بخ بخ أهل الشرف والرياسة . فمن أي قريش أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مرة . قال : أمكنت والله الرامي من صفا الثغرة . أفمنكم قصي الذي جمع القبائل ؟ من فهر ، فكان يدعى

(١) البيت في الديوان سابق على الأبيات قبله بعدة أبيات وروايته هناك : (. والدهر يعقب صالحا . .) .

مجمعا فى قريش . قال : لا. قال : أفمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف قال : لا . قال : أفمنكم شيبة الحمد ، مطعم طير السماء الذى كان وجهه القمر يضئ فى اللياة الظلماء قال : لا . قال : أفمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل الحجابة ؟ . قال : لا . قال : أفمن أهل الرفادة قال : لا. قال : أفمن أهل السقاية ؟ قال : لا. فاجتذب أبو بكر زمام الناقة فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الغلام :

صادف درّ السيل درٌ يدفعه

يهيضه حيناً وحيناً يصدعُـــه

أما والله يا أخا قريش لو ثبت لأخبرتك أنك من زمعات قريش ، ولست من الذوائب . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال على : يا أبا بكر وقعت من الأعرابى على باقعه . فقال : أجل يا أبا حسن ، ما من طامة إلا وفوقها طامة ، والبلاء موكل بالمنطق .

قال : ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار ، فتقدم أبو بكر ، وكان مقدماً ، فى كل خير ، فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبى أنت وأمى ، هؤلاء غرر فى قومهم ، وفيهم معروق بن عمرو ، وقد غلبهم جمالا ولساناً ، وكانت له غديرتان تسقطان على تربته ، وكان أدنى القوم مجلساً من أبى بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ . قال له معروق : إنا لنزيد على الألف ، ولن تغلب ألف من قلة . فقال له أبو بكر : فكيف المنعة فيكم؟ قال : علينا الجد ، ولكل قوم جد . قال له أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟

قال معروق : إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى ، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ، ويديل علينا أخرى ، لعلك آخر قريش ؟.

قال أبو بكر : وقد بلغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ها هو ذا .
فقال معروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك فالى م تدعو إليه يا أخا قريش ؟ .
فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأنى رسول الله ، وإلى أن تأوونى وتنصرونى فان قريشا قد ظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد . فقال معروق : وإلى م تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحسانا ، ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق . ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) .

فقال معروق : وإلى م تدعو يا أخا قريش ؟ . فتلا عليه : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) . فقال معروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأخلاق . ولقد أفك قوم كذبوك ، وظاهروا عليك وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانئ بن قبيصة ، فقال : وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا ، فقال هانئ : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ، وإنى أرى تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك بمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر زلة فى الرأى ، وقلة نظر فى العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً ، ولكننا نرجع وننظر . وكأنه أحب أن يشاركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا ، فقال المثنى : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش فأما تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك فالجواب هو جواب هانئ بن قبيصة وأما أن نأويك وننصر ما فنانا نزلنا بين ضربين اليمامة والسماوة . قال رسول الله صلى الله عليه سلم : ما هذان الضربان . قال : أنهار كسرى ومياه العرب فأما ما كان من أنهار كسرى . فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول وأما ما كان من مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول وإنما نزلنا

على عهد أخذه علينا كسرى لانحدث حدثا ولا نأوى محدثا ، وإنى أرى هذا الأمر الذى تدعو إليه مما تكرهه الملوك . فان أحببت أن نأويك وننصرك مما يلى مياه العرب فعلنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أسأتم فى الرد إذ أفصحتم الصدق ، وإن دين الله لاينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه أرأيتم أن لم يلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم ، وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم ، أتسبحون الله وتقدسونه ؟ .

فقال النعمان بن شريك : اللهم لك ذلك . فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيراً) . ثم نهض النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بيدى فقال : يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق فى الجاهلية ما أشرفها بها ، يدفع الله بأس بعضهم عن بعض ، وبها يتحاجزون فيما بينهم . قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا صدقاً صبراً » .

قوله : عربانياً ، فان هذه الألف والنون يزادان فى النسبة ليفرقوا بها بين العربى اللهجة وبين العربى النسب . وسمى عبدالله بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ذا الجدين لأنه أسر أسيراً شريفاً فقيل له : إنك لذو جد قال : فعندى من هو فوقه ، رجل من كنانة . فقيل له : إنك لذو جدين . وقيل إنه سبق فى سبقين من الخيل ، فقيل له ذاك . والأول أصح . وعوف بن محلم بن ذهل بن شيبان هو الذى يقال فيه : لا حر بوادى عوف . أى لايقرب واديه إلا بذمته . وجساس بن مرة بن ذهل بن شيبان يسمى حامى الديار أى أنه يحمى ما إن ضيعه ازمه منه الذم وهو اللؤم ، وهو الذى قتل كليب بن وائل أخو ربيعة فى نبحة جارته . قال الشاعر :

كليبٌ لعمرى كان أكثر ناصراً وأعظم جرما منك ضُرِّجَ بالدم
رمى ضرع نابٍ فاستمر بطعنة كحاشية البرد اليمانى المسهَّم

وبسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبدالله ذى الجدين . وفى بسطام يقول قابوس الشاعر :

اسبق وفودك إمّا كنت ساقيها وابدأ بكأس ابن ذي الجدَّين بسطام

يُنْمَى به من بني شيبان أسرتها حامى الحقيقة عن أعراضها رامى

مازال قيس بن مسعود ووالده سدا الملوك به أيام أيّامِ

فارضوا بما صنع الرحمن فى مضرٍ وفى ربيعة من تقديم أقوامِ

قد كان بالشام بسطامٌ فقدّمه قبل الوفودِ جهاراً صاحبُ الشامِ

* والحوفزان هو الحارث بن شريك من بنى همام بن مرة ، وجده الصلت بن عمرو . أجمعت على تقديمه بكر ، ولولده شريك . يقال :

ياشريك بن عمرو وهل منِ الموت محاله

يا أخا كل مصاب يا أخا من لا أخاله

وإنما قيل له الحوفزان لأن قيس بن عاصم المنقرى حفزه بالرمح فى وركه فعرج منها .

* وقال جرير يعيب بنى شيبان بإنكاحهم الفرزدق :

غابَ المثنى ولم يشهد نجيّكم والحوفزان ، ولم يشهدْهُ معروقُ

يارب قائلةٍ بعدَ البناءِ بها لا الصِّهر راضٍ ولا ابن القين معشوقُ

والمثنى بن حارثة من بنى ذهل بن شيبان . أجمعت عليه بكر ، فغزا سواد الكوفة ، فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسميه : مؤمر نفسه

ومعروق من بنى شيبان أيضا . وهانئ بن قبيصة من وجوههم . والنعمان بن شريك هو أخو الحوفزان .

والمزدلف هو عمرو بن أبى ربيعه بن ذهل بن شيبان . ولده حارثة ذو التاج . كان على بكر بن وائل حين قاتلوا المنذر بن ماء السماء يوم أوارة

والصّريّان واحدها صرىٌّ يقال: صرِىَ الماءِ والدمع فهو صرٍّ إذا أجتمع ولم يجر. وقوله : بقل وجهه أى خرج شعر وجهه. وصفاها : لونها ، يريد أن مقاتله بادية. والصفا الحجر الصلد الأملس ، والدر : الدفع. ويريد ها هنا دفاع السيل أى شدته. والزمعات واحدتها زمعة ، وهى شبه أظفار الغنم فى الرسغ ، فى كل قائمة زمعتان ، يكون ذلك لكل ذى ظلف. وقيل الزمعة الزائدة من ذوى الظلف.

والنافغة من الرجال هو الداهية. أفصحتم بالرد تبينتموه ، ولم تمجمجوه. يقال للأعجم إذا تكلم بالعربية ، وحسنت لغته : قد أفصح. وللرجل إذا تكلم بالعربية قد فصح.

دخل أعرابى مسجد الكوفة ، فرأى خالد بن سلمة المخزومى فقال له : ممن الرجل ؟! قال : من تيم الرباب. قال للرجل : ما أنت من حنظلة الأكرمين ولا سعد الأكبرين ، ولا عمر و الأشدين ، فسأل الأعرابى عنه فقيل له : مخزومى فقال : واست والله يا خالد من بنى هاشم المرسلين ، ولا من بنى أمية المستخلفين ، ولا من بنى عبد الدار المستحجبين. قال خالد : ولكن من ريحانة قريش. قال الأعرابى : شوه لك ، ما كنت أظنك تتزين بهذا ، إنما أسميتم ريحانة قريش لحظوة نسائكم عند الرجال. فقال خالد : أعطى الله عهدا إن عبت أحداً بعدك.

باب
ومن حكماء قريش فى الجاهلية عتبة بن ربيعة

قالوا : لم يعرف له قط كلمة رفث إلا كلمتان قالهما يوم بدر . قال لأبى جهل بن هشام — لعنه الله — ستعلم يامصفر إسته . وقال حمزة : أنا أسد الله ، وأسد رسوله ، فقال عتبة : أنا أسد الحلفاء .

وقال الفرزدق : (١)

إنَّ الذى سمَكَ السَّماءَ بنى لنـــا ... بيتا دعَائِمُه أعزُّ وأَطْـــوَلُ

بيتا زُرَارةُ محتَـــبٍ بفنائــــــه ... ومجاشعٌ وأَبو الفوارس نهشَلُ

بيتاً بناهُ لنا الإلهُ ومــا بـــنى ... مَلِك السماءِ فإنه لايُنْقَـــلُ

أَحلامنا تزنُ الجبـــال رزَانةً ... وتخَالُنا جِنًّا إذا ما نجْهلُ

يلجون بيْتَ مُجَاشِعٍ وإن احْتَبوا ... تَرزُوَا كأَنَّهم الجبالُ المَثَّـــلُ

يمشون فى حلق الحديد كما مَشَتْ ... جرب الجمال بها الكحيلُ المشعَلُ (١)

يحمى إذا اخترط السيوفُ نساءَنا ... ضربٌ تطيرُ له السَّواعِدُ أرْعَـلُ

---

(١) القصيدة فى ديوانه ص ٧١٤ ط . الصاوى والأبيات هنا مختارة من القصيدة على غير ترتيبها بالديوان

(٢) الكيل : القطران ، والمشعل الحديدة التى يحرق بها الجلد أو يكوى

يقول فيها : (١)

وَمُحرِّقٍ جمعُوا إليــه يمينَـــهُ   بِصفَادِ مغتصَبٍ أَخُوهُ مُكَبَّلُ
مَلِكَيْنِ يوم بُزَاخَةٍ قتلوهمـــا   وكلاَهما تاج عليه مـكلَّلُ

محرق هذا من ملوك غسان أغار هو وأخوه فى طوائف من العرب من إياد وتغلب على بنى ضبة بن أد وهم بزاخة ، فاستاقا النعم ، وأتى الصريخ ضبة ، فركبوا واقتتلوا قتالا شديداً ، ثم إن زيد الفوارس حمل على محرق فاعتنقه وأسره ، وأسروا أخاه أيضا ثم قتلوه .

قالت الرواة : لولا شعر الفرزدق لذهب كثير من أخبار العرب وأيامها . وهذه الأبيات من قصيدة طويلة يفتخر فيها ، ويذكر علمه بالشعر ، ويذكر الشعراء فيها فيقول :

وَهب القَصائِدَ لى النوابغُ إذمَضَوا   وأَبو يزيد وذو القروح وَجَرْوَلْ(٢)
والفحل علقمةُ الذى كانت له   حُلَلُ الملوكِ كلامُه لا يُنتحَـلُ
وابنا أَبى سُلمى زُهَيْرٌ وابنُـه   وابنُ الفُريعةِ حينَ جَدَّ المقولُ (٣)
وأخو بنى قيس وهُنَّ قتلْنَـــهُ   ومُهلهِلُ الشُعَراءِ ذاك الأَوَّلُ (٤)

---

(١) البيتان من القصيدة نفسها متتابعان ورواية الأول :

وبحرقا صفدوا إليه يمينه   بصفاد مقتسر أخوه مكبل
ملكان يوم بزاخة . . .

وذكر فى الهامش بالديوان أن هنا رواية « بملكين » كما جاء فى الأصل . ويوم براخة من أيام العرب ، والملكان هما محرق وأخوه زياد .

(٢) فى الأصل : ذهب القصائد والصحيح ما أثبتناه من الديوان ص ٧٢٠

(٣) ورد هذا البيت فى غير موضعه هنا فى الديوان ص ٧٢١ ، وابن الفريعة حسان بن ثابت

(٤) أخو بنى قيس طرفة بن العبد ، وهن قتلنه يعنى القوافى

وأخو بنى أسدٍ عبيدٌ إذ مَضَى ... وأبو دُؤادٍ قوله يُتَنَحَّلُ (١)

والجعفرىُّ وكان بشرٌ قبلَهُ ... لى من قصائده الكتابُ المجمَلُ (٢)

والأعشيان كلاهُما ومُرقِّشٌ ... وأخو قضاعةَ قوله يتمثلُ (٣)

والحارثىُّ أخو الحماس وَرِثْتُه ... صَدْعاً كما صدع الصفاةَ المِعوَلُ (٤)

ولقد ورثتُ لآل أوس منطِقاً ... كالسّم خالط جانبيه الحَنظَلُ (٥)

يصْدَعْنَ ضاحيةَ الصفا عن مَتْنِها ... ولهن من جبلَىْ عماية أثقلُ (٦)

دفعوا إلىَّ كتابهنَّ وصيَّةً ... فورثتهن كأنهنَّ الجندلُ

فيهنَّ شاركنى المصادرُ بعدهم ... وأخو هَوازنَ والشآمى الأخطلُ (٧)

أراد بالنوابغ نابغة بنى ذبيان ، وهو زياد بن عمرو من بنى سعد بن ذبيان بن بغيض ، والنابغة الجعدى وهو قيس بن عبدالله بن كعب بن صعصعة . النوابغ كما يقال الفراقد ، وأبو يزيد هو المخبل ، واسمه ربيعة بن مالك من بنى قريع ثم من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم . وذو القروح امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الحراب بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار الكندى . وجرول هو الحطيئة بن أوس من بنى عبس بن بغيض، وعلقمة هو علقمة بن عبدة من بنى مالك بن زيد مناة بن تميم . وإنما سمى الفحل لأن فى بنى عبدالله بن دارم

---

(١) فى الأصل « قوله لا ينحل » وصححته من الديوان

(٢) الجعفرى لبيد بن ربيعة ، وبشر هو بشر بن أبى خازم .

(٣) الأعشيان أعشى قيس ، وأعشى باهلة . وأخو قضاعة أبو الطمحان القينى

(٤) فى الأصل « قيس » كما صدع الصفا المعول

(٥) أوس يقصد أوس بن حجر

(٦) فى الديوان يلى هذا البيت البيت رقم ٧ ، ضاحية الصفا يعنى ظاهرة الصخر

(٧) فى الأصل (الشام الأخطل) . أخو هوازن هو الراعى النميرى

علقمة الحصى . وزهير بن أبي سلمى، وأبو سلمى ربيعة بن رياح من بنى مازن بن مزينة. وابن الفريعة حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصارى، وأخو بنى قيس طرفة بن العبد من بكر بن وائل . قتله عمرو بن هند حين هجاه . ومهلهل بن ربيعة أخو كليب بن ربيعة من بنى تغلب بن وائل . وعبيد بن الأبرص بن جشم من أسد بن خزيمة. وأبو دؤاد حارثة بن حمران الإيادى، وبشر بن أبي خازم من بنى أسد . والأعشيان أحدهما الأسود بن يعفر بن نهشل بن دارم ، والآخر ميمون بن قيس بن حنيفة بن قيس بن ثعلبه، وأخو قضاعة أبو الطمحان حنظلة بن الشرقى أحد بنى القين بن جسر . وأخو الحماس النجاشى ، وهو قيس بن عمرو بن جحيح بن حماس . وأوس بن حجر من بنى عمرو بن تميم بن مر ، والمساور بن هند بن قيس بن جذيمة من عبس ، وأخو هوازن عبيد الراعى بن حصن بن نمير بن عامر بن صعصعة. الأخطل غياث بن عوف بن الصلت من بنى تغلب .

* وقال أوس بن حجر الأسدى : (١)

ومستعجل مما يرى من إبائنا ... ولو زينته الحربُ لم يترمرم

ومـا الملك الجبارُ حين نكيده ... بكيد على أرما حنا بمحرَّم

لعمرك ما المغتر يأتى بيوتنا ... لنمنعه بالضائع المتهضم

وما ضيفنا عند القِرى بِمُدَافعٍ ... ولا جارنا فى النائبات بُمسْلَم

بَنِىَّ ومالى دون عرضِي وقايةً ... وقولٌ كوقعِ المشرفىّ المصمَّمِ

* وقال آخر :

هلا سألْتَ عن الَّذين تَبَطَّحُوا ... كرمَ البطاح وخيرُ سُرَّةِ وادِ

وعن الذين أبوا فلم يُستكرَهُوا ... أن ينزلوا الولجات من سنداد

---

(١) أوس بن حجر الشاعر الجاهلى المعروف ، فهو كما يذكره ابن سلام الجمحى أوس بن حجر بن عتاب بن عبد الله بن عدى بن نمير بن أسيد بن عمرو بن تميم .

يخبْركَ أَهلُ العِلْمِ أن بيـوتَنَا منها بخيرِ مضَاربِ الأَوتـــاد

* وقال الأعشى لعمرو بن عبدالله :

فما أَنت من أَهل الحجون ولا الصَّفَا ولا لَكَ حقٌّ الشرب فى آلِ زَمْزَمِ

فقال له عمرو : لكناك يا أبا بصير وقومك منهم . يهزأ به . فقال الأعشى :

وما بوَّأَ الرحمن بيتك فى العُلاَ باحياد شرٌ فى الصفا والمحــرَّمِ

فقال له عمرو : ولكنك يا أبا بصير عريض المباهاة بها .

* ورأى رجل من قريش رجلا من بنى تغلب له هيئة فوقف له وهو يطوف بالبيت فقال : أنى أرى رجلين قل ما وطئا البطحاء ، فقال التغلبى : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة . وهى لى دونك وبطحاء ذى قار أنا أحق منك بها ، وهذه البطحاء سواء العاكف فيها والبادى .

* قال أبو عبيدة : قدم الفرزدق على عمر بن عبدالعزيز وهو على المدينة فأكرمه وأحسن ضيافته ، وبلغه عنه أنه زنى ؛ فقال لجارية له : انطلقى إلى الفرزدق فاغسلى رأسه وبعث معها ألطافاً ، وهو يريد أن يختبره ، فأتت الجارية إلى الفرزدق وعمر ينظر من خوخة إلى ما يصنع الفرزدق ، فذهبت الجارية لتغسل رأسه ، فوثب عليها فركلته فاذا هو على قفاه ، ثم قالت : لعنك الله من شيخ . وخرجت حتى أتت عمر ، فنفاه عمر . فلذلك قال جرير : (١)

خرجت من المدينة غير عـفٍّ وقـام عليك بالحـرم الشهودُ

فإن ترحم فقد وجبت حدودٌ وحـلَّ عليك مـا لقيت ثمـــودُ

فلما رحل الفرزدق قال : (٢)

وكنت إذا نزلتَ بأَرض قـومٍ رحلتَ بخـزيةٍ وتـركتَ عـارا

---

(١) ديوان جرير ص ٢١٧

(٢) ديوانه ص ٢١٦

قال : ثم قدم جرير بعد ذلك على عمر ، فصنع به كما صنع بالفرزدق ، وقالت له الجارية : قم فاغسل رأسك ، فقام فاتزر ، وقال للجارية : تنحى . فقالت : سبحان الله . إنما بعثنى سيدى لأخدمك . قال : لا حاجة لى فى خدمتك . فأخرجها من الحجرة ، وأغلق الباب ، فغسل وعمر ينظر إليه من حيث بعث الجارية إلى أن أخرجها من الحجرة . وجرير لا يعلم . فلما راح أهل المدينة إلى عمر حدثهم بفعال الفرزدق وجرير وقال : عجباً لقوم يفضلون الفرزدق على جرير مع عفة بطنه وفرجه .

***

باب
فى ذكر الهيبة

ومما يستجاد فى ذلك قول أبى عبادة الوليد بن عبيد الله البحترى : (١)

ولما وردْنا سُدَّةَ الإذنِ أُخرِّتْ ... رجالٌ عن الباب الذى أنا داخِلُهْ

فأفضيتُ من قُربٍ إلى ذى مهابةٍ ... أقابلُ بدْرَ ألتِّمِّ حين أُقابِلُهْ

إلى مسرفٍ فى الجُودِ لو أنَّ حاتماً ... لديه ، لأمسى حاتمٌ وهو عاذِلُهْ

بَدَا لِيَ محمودَ السَّجِيَّةِ شُمِّرتْ ... سراويلُه عنه وطالَتْ حمائِلُهْ

كما انتصبَ الرّمحُ الردينيُّ ثُقِّفَتْ ... أنابيبهُ للطعن واهتزّ عامِلُهْ

وكالبدرِ وافته لقدر(٢) سعوده ... وتمَّ سَناهُ واستُهِلَّتْ منازِلُهْ

فسلَّمتُ واعتاقت جَنَانِيَ هيبةٌ ... تنازِعُنى القولَ الذىَ أنا قائِلُهْ

فلما تأَمَّلْتُ الطَّلاقَةَ وانثنى ... إلَّى ببشرٍ آنستْنى مخَايلُهْ

دنوتُ فقبَّلْتُ النَّدى فى يد امرىءٍ ... جميلٍ محيَّاهُ سِباط أنامِلُهْ

صفت مثلَ ماتصفو المُدامُ خلالُهُ ... ورقَّتْ كما رقَّ النَّسيمُ شمَائِلُهْ

---

(١) ديوان البحترى من قصيدة يمدح الفتح بن خاقان ، والبيت الأول رقم ٢١ بالقصيدة ١٦١٣/٣ وروايته « ولما حضرنا »

(٢) الديوان : لتم

وقال ذو الرمة فى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى :

تقولُ عجوزٌ مَدرَجى مُتَرَوِّحـاً على بيتها من عند أَهْلِي وغـادِيَا(١)

أذو زوجَةٍ بالمِصْر أَم ذوخصومةٍ أَراك لها بالبصْرةِ العـامَ ثاوِيَا

فقلت لها :لا إن أَهلى لجيـرةٌ لأَكثبةِ الدَّهنَا جميعاً ومَـاليـا

وماكنتُ مذ أَبصرتنى فى خصومةٍ أُراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا(٢)

ولكننى أَقبلتُ من جانبىْ قَسَا أَزورُ فتىً نجداً كريماً يمـانيا (٣)

من آل أَبى موسى تزى القوم حوله كأَنهـم الكِرْوَانُ أَبصرن بازياً(٤)

مُرمِّينَ (٥)من ليث عليه مهامةٌ تفادى الأَسودُ الغُلْبُ منه تفادِيَا

فما يغربون الضحكَ إلاتبسُّماً ولا ينبسُونَ القولَ إلا تَنَاجَيا (٦)

لدى ملكٍ يعلو الرجالَ بضوئه كما يبهر البدرُ النجومَ السواريا

وما الفحشُ منه يرهبونَ ولاالخنا عليهم ، ولكن هيبةٌ هى ماهِيا

لمستحكم جزلِ المروءَةِ مــؤمنٍ من القوم لايرضى الكلام اللواغيا(٧)

---

(١) ديوان ذى الرمة ص ٧٢٨ ورواية العجز على بابها

(٢) فى الديوان « . . أراجع فيها يا ابنة القوم »

(٣) فى الديوان : « أزور أمرءا محضاً نجيبا يمانيا » ، ويذكر فى الهامش رواية الأصل هنا

(٤) فى الديوان : « ترى الناس » ويذكر فى الهامش الرواية المثبتة هنا « نزى القوم »

(٥) مرمين : ساكتين مطرقين فى الأمل أسود الغاب وصحتها من الشرح بعدو الديوان

(٦) يغربون الضحك ، يكثرون منه . والنابس المتكلم الذى يخفى كلامه ، وتناجيا سرا

(٧) رواية الديوان « من القوم لا يهوى الكلام » . واللواغى : من اللغو ، وهو الكلام الذى لا معنى له .

فتى السِّنِّ كَهلِ العِلم يسمع قوله يوازنُ أَدناهُ الجبالَ الـرواسِيا

قوله مرمين : أى مطرقين ، والغلب : الغلاظ الرقاب ، واحدهم أغلب ويتفادى يتقى بعضها ببعض . وأغرب : أكثر من الضحك . ويقال مانبس بكلمة أى ما تكلم بها . والتناجى السرار .

* وقال مهلهل بن ربيعة : (١)

أُنْبِئْتُ أَن النار بعدكَ أُوقِدَتْ واستَبَّ بعدكَ ياكُلَيبُ المجْـلسُ

وتقاولوا فى أمـر كـلِّ عظيمَةٍ لو كنت حاضرهم بهـا لم ينبسُوَا

أَبنى ربيعة من يقوم مقـامـهُ أم من يردُّ على الصَّريخ ويحبسُ

وإذا تشاءُ رأيت وجهاً ناعِماً(٢) وذراع باكية عليها بـــرنُسُ

جزعاً عليك ولست لائِم حـسرةٍ تبكى عليك بعثرةٍ وتَنَفَّسُ (٣)

ولقد شَفيْتُ النفس من سَرواتِهم والخيل تعثر فى الدماءِ وتعبِسُ (٤)

وتركتُ جساساً ينـوءُ بصعدَةٍ سمراءَ يتقدمُها سنانٌ مُـدْعَسُ

أَكليبُ لو حدثت كيف عقوبتى علمت عظامك إذ علاها المرمَسُ

أن لَستُ زيراً حين شثت وقودها فى الحرب يوم عنانُها لا يسلسُ

قوله : « وذراع باكية عليها برنس » يعنى أنهن كن نصارى ، يلبسن البرانس . وزير النساء . أى يلازم مجالستهن .

---

(١) الأبيات فى حماسة أبى تمام شرح الزوزنى ١/٣٨٥
(٢) فى الحماسة « واضحا » والواضح السافر
(٣) رواية الحماسة « تأسى عليك »
(٤) الأبيات الأربعة التالية ليست فى الحماسة
(٥) وفى شرح الزوزنى البرنس لباس المآتم

وقال آخر :

إذا بَدْرٌ احتبى بالسيف دَانَ له … شوسُ الرِّجال خضوع الحرَّب الطالى
كأنما الطير منهم فوق هامِهمُ … لا خوفَ ظلمٍ ولكن خوفَ إجلال

وقال كثير :

شهدتُ ابن ليلى فى مواطن قد خَلَتْ … يزيدُ بهذا الحلم حلماً حضورُها
فلا هاجراتُ القول ينطقن عندهُ … ولا كلماتُ النُّصح مُقْصىً مشيرها
ترى القَوْمَ يُخفون المواعظ عنده … وينذرهم عود الكلام نَذِيرها
وإنى لآتى فترةً فمسلِّمٌ … وإن لم تكلِّمْ حفرةٌ من يزورها

وقال الفرزدق : وقيل هى لداود بن سلم فى قثم بن العباس . وقيل للفرزدق فى على بن الحسين عليهما السلام :

يغضى حياءً ويغضى من مهابته … فلا يكلَّمُ إلا حين يَبْتَسِمُ
هذا الذى تعرف البطحاءُ وطأته … والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ
هذا ابن خير عبادِ الله كلهم … هذا التقىُّ النقىّ الطاهر العَلَمُ
إذا رأته قريش قال قائِلهَا … إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ
يكاد يمسكه عرفان راحته … ركنَ الحطيم إذا ما جاءَ يستلمُ

وفى قثم بن العباس بن عبد المطلب يقول الأخطل :

ولقد غدوتُ على التجار بمسمحٍ … هرَّتْ عواذله هرير الأكلبِ
لذٌّ تَغَلَّبَهُ النَّعيمُ كأنما … سحَّتْ ترائبه بماءٍ مذهب
لبَّاسُ أرديةِ الملوك تروقُه … من كلِّ مرتقبٍ عيون الربربِ
خضل الكياس إذا تَثَنَّى لم تكُنْ … خلفاً مواعِدُه كبرقِ الخلَّبِ
وإذا تُعوورتْ الزجاجةُ لم يكن … عند الشرابِ بفاحشٍ متقَطِّبِ

القريبانة دويبة مثل الخنفساء ، ويقرو يتبع .

وقال آخر :

وما حسنُ الرجالِ لهم بفخرٍ إذا ما أخطأَ الحسنَ البيانُ

كفى بالمرءِ عيباً أن تَراهُ له وجهٌ وليس له جنانُ

* وقال المتنبى : (١)

وما الحسْنُ فى وجه الفتى شرفاً لهُ إذَا لم يكُنْ فى فعله والخلائِقِ

وما بلدُ الإنسانِ غيرُ الموافقِ ولا أهلهُ الأَدْنُونْ غير الأَصَادقِ

* ضحك المعتصم من عبدالعزيز المكى لما دخل عليه ، وكان مفرط القبح ، فقال المكى للمأمون : مم يضحك هذا ؟ . ما اصطفى الملك يوسف لجماله ، وإنما اصطفاه لبيانه . قال الله عز وجل : (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) . فبيانى يا أمير ألمؤمنين أحسن من وجهى ، فأعجب المأمون قوله . وقالوا : أفضل اللفظ بديهة أمن وردت فى مقام خوف . وقال الشاعر :

سارفض ما يخافُ علىَّ منه وأترك ما هويتُ لما خَشيتُ

لسانُ المرءِ يُغنِي عن حِجاهُ وعيىُّ المرءِ يسترهُ السكوتُ

* وكان عمرو بن معدى كرب جميلا وسيما ، فارساً ، شاعراً ، وكان يختار للوفادة لجماله وبيانه . وهو القائل : (١)

---

(١) ديوان المتنبى : من قصيدته يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

والبيتان هما العاشر والحادى عشر

(٢) الأبيات بالأصمعيات ص ١٢٢ من القصيدة رقم ٣٤

وقال آخر :

إذا بَدْرٌ احتبى بالسيف دَانَ له ... شوسُ الرِّجال خضوع الحرْب الطالى

كأنما الطير منهم فوق هامِهِمُ ... لا خوفَ ظلمٍ ولكن خوفَ إجلال

وقال كثير :

شهدتُ ابن ليلى فى مواطن قد خَلَتْ ... يزيدُ بهذا الحلم حلماً حضورُها

فلا هاجراتُ القول ينطقن عنده ... ولا كلماتُ النُّصح مُقْصىً مشيرها

ترى القوْمَ يُخفون المواعظ عنده ... وينذرهم عود الكلام نَذيرها

وإنى لآتى فترةً فسلِّمْ ... وإن لم تكلِّمْ حفرةٌ من يزورها

وقال الفرزدق : وقيل هى لداود بن سلم فى قثم بن العباس . وقيل للفرزدق فى على بن الحسين عليهما السلام :

يغضى حياءً ويغضى من مهابته ... فلا يكلَّمُ إلا حين يَبْتَسمُ

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ

هذا ابن خير عبادِ الله كلهم ... هذا التقىُّ النقىّ الطاهر العَلَمُ

إذا رأته قريش قال قائِلُهَا ... إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركنَ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ

وفى قثم بن العباس بن عبد المطلب يقول الأخطل :

ولقد غدوتُ على التجار بمسمحٍ ... هرَّتْ عواذله هرير الأكلبِ

لذٌّ تغلّبهُ النَّعيمُ كأنما ... سحَّتْ ترائبه بماءٍ مذهبِ

لبّاسُ أرديةِ الملوك تروقُه ... من كلّ مرتقبٍ عيون الربربِ

خضِل الكياس إذا تَثَنَّى لم تكُنْ ... خلفاً مواعِدُه كبرقِ الخُلَّبِ

وإذا تُعوورتْ الزجاجةُ لم يكن ... عند الشرابِ بفاحشٍ متقَطِّبِ

باب
فى الجهارة وخلافها

العرب تستحسن أن يكون الرجل جهيراً بليغا ، جميلا . قال يونس بن حبيب : ليس لعيٍّ مروة ؛ ولا لمنقوص البيان بهاء ، ولو بلغ عنان السماء .

ونظر عمر إلى جبلة بن سلمة فقال : ما أجود قناتك ! فقال : سنانها أجود يريد : قلبه . وقال بعضهم :

فلا تذهَبنْ عيناكَ فى كلِّ شرمحٍ   طوالٍ فإنَّ الأَقصرين أمازره

المزير : العاقل(١) . قال كثير :

ترى الرجل النحيل فتزدريه   وفى أثوابه أسدٌ مزيرُ

ويعجبك الطرير إذا تراهُ   فيخلفُ ظنَّكَ الرَّجلُ الطريرُ

طر شاربه أى نبت

* وقال غيره :

وفى الصمت سترٌ للَعِيىِّ وإنما   صحيفَةُ لبّ المرءِ أن يتكلَّمَا

* وقال أعرابى : رأيت عورات الناس بين أرجلهم وعورة فلان بين فكيه . يريد من العي .

* خطب رجل جميل قليل المال امرأة ، وخطبها رجل آخر دميم له مال فتزوجت الدميم لماله . فقال :

أَلا ياعبادَ الله ما تأمرونني   بأَصبحَ من صلى واقبحه فعلا

يدبُّ على أحشائها كلَّ ليلةٍ   دبيب القريبانات يقروهاسهلا

(١) فى اللسان : المزير الشديد القلب ، القوى

القريبانة دويبة مثل الخنفساء ، ويقرو يتبع .

وقال آخر :

وما حسنُ الرجالِ لهم بفخرٍ ... إذا ما أخطأ الحسنَ البيانُ

كفى بالمرءِ عيباً أن تَراهُ ... له وجهٌ وليس له جنانُ

* وقال المتنبى : (١)

وما الحسْنُ فى وجه الفتى شرفاً لهُ ... إذَا لم يكُنْ فى فعله والخلائِقِ

وما بلدُ الإنسانِ غيرُ الموافقِ ... ولا أَهلُهُ الأَدْنُونْ غيرالأَصَادقِ

* ضحك المعتصم من عبدالعزيز المكى لما دخل عليه ، وكان مفرط القبح ، فقال المكى للمأمون : مم يضحك هذا ؟ . ما اصطفى الملك يوسف لجماله ، وإنما اصطفاه لبيانه . قال الله عز وجل : (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) . فبيانى يا أمير ألمؤمنين أحسن من وجهى ، فأعجب المأمون قوله . وقالوا : أفضل اللفظ بديهة أمن وردت فى مقام خوف . وقال الشاعر :

سارفض ما يخافُ علىَّ منه ... وأترك ما هويتُ لما خَشيتُ

لسانُ المرءِ يُغنِي عن حِجاهُ ... وعيىٌّ المرءِ يسترهُ السكوتُ

* وكان عمرو بن معدى كرب جميلا وسيما ، فارساً ، شاعراً ، وكان يختار للوفادة لجماله وبيانه . وهو القائل : (١)

---

(١) ديوان المتنبى : من قصيدته يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق

والبيتان هما العاشر والحادى عشر

(٢) الأبيات بالأصمعيات ص ١٢٢ من القصيدة رقم ٣٤

* قال البحترى : كنت فى ندمان المتوكل فرأيت فى اليوم الذى قتل فيه علامات دلت على قتله منها أنه تجارينا تكبر كسرى وعتوه فوجه وجهه نحو القبلة ، فصلى ركعات وقال : أبرأ إلى الله من الكبر والتجبر ، وأخذ تراباً فجعله فوق رأسه ووجهه فتطيرت له من ذلك ، ثم غنى ابن أبى العلاء صوتاً ، فقال : ما بقى من سمع هذا الصوت إلا أنا وأنت . فتطيرت أيضا له بذلك . ثم أرسلت له قبيحة مطرف خز ما رأيت مثله ، فتناوله وشقه ، وقال للخادم : قولى لسيدتك : إذا مت فادفنينى فيه . ثم سكر ودخل القبة فكان آخر العهد به ، وخرجت فالجأت إلى قناة حفرت فى البستان إلى أن أصبحت فانتشرت مع الناس » .

* وقالوا : اللسان البليغ والشعر الجيد لايجتمعان إلا قليلا . وأعسر من ذلك أن تجتمع بلاغة القلم وبلاغة الشعر . قال الجاحظ : وقد أجتمع ذلك للعتابى

* قال عمران بن حطان :

وشهدت مجمعهم بوجهٍ واضحٍ ... بادى الملاحة والجمال نَضيرِ
وبيانِ أزهرَ ماجدٍ ذى نجدةٍ ... عالٍ إذا اجتمع الرجالُ جَهيرِ

* قال على بن عبيدة الزنجانى : أتيت الحسن بن سهل بفم الصليخ فأقمت ببابه ثلاثة أشهر لا أحظى منه بطائل فكتبت إليه :

مدحتُ ابن سهلٍ ذا الأيادى ومالَهُ ... بذاك يدٌ عندى ولا قدمٌ بَعْدُ
وما ذنْبُه والناسُ إلا أقلَّهم ... عيالٌ له إن كان لم يبن له جدٌّ
سامَدحُه للنّاسِ حتى إذا بدا ... له فى رأى عاذلى ذلك الحمدُ

فكتب إليه : باب السلطان يحتاج إلى ثلاث خلال : مال وعقل وصبر . فقلت : للواسطة : تؤدى عنى ؟ . قال : نعم . قلت : تقول له : لو كان لى

مال لأغنانى عن الطلب منك ، أو صبر لصبرت به على الذل ببابك ، أو عقل لاستدللت به على النزاهة عن رفدك . قال : فأمر لى بثلاثين ألف درهم .

* دخل ابن أبى محجن الثقفى على باب معاوية فقال : أبوك الذى يقول : (١)

إذا متُّ فادفنىّ إلى جنب كرمةٍ   تروّى عظامى بعد موتى عروقُها

ولا تدفننى بالفلاةِ فإننى   أَخافُ إذا ما متْ ألاَّ أذوقها

فقال ابن أبى محجن : لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره . قال : قال : وماذاك ؟

قال : قوله :

لا تسألى الناسَ عن مالى وكثرته   وسائلى الناس عن مجدى وعن خُلُقى

القوم أعلمُ أنى مِنْ سَراتِهم   إذا تطيش يد الرِّعديدة الفرِقِ

* قال بعض أصحاب الرشيد : دخلت عليه يوماً وهو شديد الغيظ ، وهو يقول : قاتل الله عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر حيث يقول :

يا أيّها الزّاجرى عن شِيمتِى سفهاً   عمداً عصَيْتَ مَقَالَ الزّاجر الناهى

أقصر فإنك من قوم أرومتهم   فى اللؤم فافخر بهم إن شئت أو باهى

لا سُمعتى تُجتوى يوماً ولا خُلُقى   وليس حبلى لمن صافيتُ بالواهى

فزيّنَ الشعر أفواها إذا نطقت   بالشعر يوماً وقد يُزْرِى بأفواهِ

قال امرؤ القيس ، وقد سار مستنصراً بملك الروم على بنى أسد الذين قتلوا أباه . ويذكر عمرو بن قميئة : (٢)

---

(١) البيتان ينسبان إلى أبى محجن الثقفى راجع التذكرة السعدية ص ٤٩٩ وهما فى ديوانه ص ١١٩

(٢) شاعر قديم ، يقال إنه كان معاصراً لامرىء القيس ، وأنه صحبه فى رحلته إلى القسطنطينية لطلب مساعدة قيصر الروم

بكى صاحبي لمَّا رأى الدَّرْبَ دونَه وأيقنَ أنا لاحقـان بقيصرا

فقلتُ له لا تَبْكِ عينُك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

وعمرو بن قميئة عمر طويلا فقال :

رمتني بناتُ الدَّهر من حيث لا أرى فكيف بمن يُرمى وليس برامى

فلو أنَّها نبلٌ إذاً لا تقيتُها ولكنَّما أرمى بغير سهام

وقال غيره :

حَنَتْنِي حانياتُ الدَّهْرِ حتى كأنِّى حابِلٌ أدنو لِصيْدِ

قريبُ الخطو يحسَبُ مَن رآنى ولستُ مقيَّداً أنى بقيْدِ

وقال عروة بن الورد : (١)

أليس دوائى أن أدُبَّ على العصى فيأمن أعدائى ويسأمنى أهلى

رهينة قعر البيت كل عشية يطيف بى الولدان أهدج كالرَّأل

وقال النمر بن تولب : (٢)

يودّ الفتى طول السَّلامَةِ والغنى فكيف ترى طولُ السَّلامة يفعَلُ

يُعيدُ الفتى من بعد حسن وصحة ينُوءُ إذَا رامَ القيامَ ويُحملُ

ولغيره :

كانت قناتى لاتلين لغامز وألانها الإصباح والإمساءُ

---

(١) عروة بن الورد بن زيد بن عمرو . ينتهى نسبة الى عبس بن بغيض . شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد : وكان يلقب بعروة الصعاليك ، لجمعه اياهم وقيامه بأمرهم اذا اخفقوا فى غزواتهم

(٢) النمر بن تولب شاعر معمر مشهور ، الأبيات فى الوحشيات ص ٢٨٨

ودعوت ربى بالسلامة جاهداً ... لِيُصِحَّنِي فإذا السلامة داءُ

وقال حميد بن ثور : (١)

أَرَى بصرى قد رَابَنى بعد صحةٍ ... وحسْبك داءً أن تَصِحَّ وتسْلَمَا

ولا يلبث العصران يوم وليلةً ... إذا طلبا أن يدركا ما تيمَّمَا

وقال آخر :

أَرَىَ مرَّ السّنين أَخَذْنَ منىّ ... كما أخَذ السِّرارُ من الهِلالِ

وقال لطبيب :

وكيف يقودنى كَلَفٌ بليلى ... وهذا الشيب أصبح قد عَلانى

ووَدَّعنِي الشَّبابُ وكنتُ أَسْعَى ... إلى داعِى الشَّباب إذا دعانِي

فإنْ يضْنَ الشَّبابُ فكلُّ شيءٍ ... من الدنيا – ولا يغررك – فانِي

وإنى لوْ بقيتُ لمسّ ليل ... وصبح نهاره يتداولانِ

صحيحاً لا أُلاقى الموت حتى ... أَدبُّ على القناةِ لأَبليانِ

وقال جرير : (٣)

كانَ الخليط هو الخليط فأَصبحوا ... مُتبدِّلينَ وبالدِّيار ديارُ

لا يلبثُ القرناءُ أَن يتفرَّقُوا ... ليلٌ يكرُّ عليهمُ ونَهارُ

---

(١) ديوان حميد بن تور

(٢) ديوانه من قصيدة :

لولا الحياء لعادنى استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار

والبيتان رقم ٢٠ ، ٢١ – ص ١٥٥ طبعه صادر ببيروت ورواية الأول :

« لا . : الخليط هم الخليط »

وقيل لبعضهم : كيف حالك قال : حال من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمنه .

رجع إلى ذكر الجهارة وما تعلق بها

* قال .. كان الرشيد إذا طاف بالبيت جعل لإزاره ذنبين عن يمين وشمال ثم طاف بأوسع من خطو الظليم ، وأسرع من رجع يد الأرنب . ونظر إليه أعرابي في تلك الحال :

خطو الظليم   ريع مشياً وانشمر

قال عبدالملك بن صالح لرجل من آله عطس عنده وبين يديه رسول ملك الروم فلم يجهر ، وكان أقام على رأسه رجالا في السماطين لهم قصر وهام ومواكب وأجسام ، وشوارب وشعور ، فبيناهم يكلمونه ، ووجه ذلك الرجل في قفا البطريك إذ عطس عطسة ضئيلة ، فلحظه عبدالملك ، فلم يدر أي شيء أنكر منه ، فلما مضى الوفد قال له : ويلك ! ، هلا إذا كنت ضيق المنخر ، كز الخيشوم أتبعتها صيحة تصدع بها كبد العلج ! .

* قال المبرد : كان يقال إن على بن عبدالله بن عباس كان إلى منكب عبدالله بن العباس وعبدالله بن العباس إلى منكب العباس، وأن العباس كان إلى منكب عبدالمطلب . قال: فطاف على بن عبدالله بالبيت فرأته عجوز ، وعلى قد فرع الناس كأنه راكب والناس مشاة . فقالت لا إله إلا الله إن الناس ليرذلون . عهدى بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط أبيض (١).

* وكان أبو جعفر المنصور يعرف بعبد الله الطويل . ويقال صار شبه على بن عبدالله فعظم الجسم إلى على بن المهدى المعروف بابن ربطة أمه ، وفى

---

(١) روى الخبر في لطائف المعارف للثعالبي بصورة أخرى قال : كان على بن عبد الله بن العباس طويلا جميلا وعجب قوم من طوله ، فقال شيخ كبير سبحان الله كيف ينقص الناس لقد رأيت العباس يطوف بالبيت كأنه فسطاط أبيض .

على بن سليمان بن على . وكان العباس بن عمرو بن سعد بن عبادة رضى الله عنهم من مقيلى الظعن ، وممن ينقل فى ذروة البعير .

* وقال رجل من طى : (١)

جمعْنا لهم من حىّ عوفٍ ومالكٍ	كتائبَ يُرْدِى المُقْرِفينَ نكالُها(٢)
فلما أتينا السفْحَ من بَطْنِ حائِلٍ	بحيث تَلاَقَى طلحُها وسَيَالُها (٣)
ولما التقى الصَّفانِ واختلطَ القَنَا	نهالاً وأسباب المنايا نهالُها
تبيَّنَ لى أن العمَاءَةَ ذِلَّةٌ	وأن أشدّاءَ الرجال طوالُها
دَعَوْا لِنزارٍ فانتمينا لطىءٍ	كأُسْدِ الشَّرَى إقدامها ونزالها
ولما التقينا بيَّن السيف فيهم	لسائله فينا حَفِىَّ سُؤالِها (٤)
ولما تدانوا بالسيوف تقطعت	وسائلُ كانت قبلُ سَلْماً حِبَالَهَا(٥)

وأعتذر بصيلة السلمى من الدمامة ، وذلك أنه كان فى إبل له ، فمر به قوم من بنى سليم ، فاستسقوه لبناً ، فسقاهم ، فلما رأوه فى الإبل وحده ازدروه ، فأرادوا أن يستاقوها ، فجالدهم حتى قتل منهم رجلا ، وجرح آخر ، وأجلى الباقين عن الإبل ، فقال فى ذلك رجل من بنى سليم يمدحه :

---

(١) الأبيات فى الحماسة لأنيف بن زبان النبهانى من طىء

(٢) فى الحماسة : « جمعنا لكم . . . ؟ وعوف ومالك بطنان من طى ، والمقرفين جمع مفردها مقرف وهو الذى أمه عربية وأبوه مولى .

(٣) هذا البيت هو الخامس بالقصيدة كرواية الحماسة . وحائل بلد مشهور بين جبلى أجا وسلمى والطلح والسيال نوعان من الشجر .

(٤) البيت هو السادس فى رواية الحماسة والأبيات الثلاثة هنا غير واردة فى نص الحماسة

(٥) رواية الحماسة : « ولما تمصينا بالسيوف تقطعت »

أَلم تسلِ الفوارسَ من سُلَيم ببصلة وهو مؤتزر مُشيحْ
رأوه فازدروه وهو خِرقٌ وينفعُ أَهْلَهُ الرجْلُ القبيحُ
فشدَّ عليهم بالسيف صلتاً كما عضّ السبا الفرس الجموحُ
فأَطلق غلَّ صاحبه وأَردى قتيلاً منهم ، ونجا جريحُ
ولم يخشوا مصالتةً عليهم وتحت الرغوةِ اللبن الصريحُ

* حضر أبو عبيدة وخلف الأحمر مجلس الفضل بن الربيع ، فسألها عن قول عمر لابن محذورة حين أذن : كدت تشق مربطاك . فقال أبو عبيدة بالفتح والمد ، وقال الأحمر هو بغير مد ، مقصور ، فجاء الأصمعى فقال مثل قول أبى عبيدة . فقال الأحمر : لا فقال الأصمعى : بلى . فلم يزل يحتج عليه حتى قهره .

* وقد عظموا غناءَ العباس يوم حنين بعلو صوته وقوله : ياللأنصار يالسورة البقرة ، فتراجع الناس ، ورأى النبى صلى الله عليه وسلم مجتلدهم فقال : الآن حمى الوطيس .

* وقالوا إن رجلا أسيراً أسمع أهله (من) مسيرة يوم .

* وقال النابغة الجعدى : (١)

زَجْرَ أبى عُرْوَةَ السباعَ إذا أَشفقَ أَنَ يلْتَبِسْنَ بالغَنَمِ

قالوا : كان يزجر الأسد فيشق مرارته فى جوفه . وهذا من المبالغة فى الوصف .

---

(١) ديوانه ص ١٥٨ وأورده المبرد بالكامل ٥١١ بخلاف فى رواية العجز « يختلطن بالغنم » وعلق على البيت بقوله : « يروى زجر أبى عروة السباع بخفض السباع ، كما قيس الرقيات فصار على هذا يعرف بعروة السباع »

* وكذلك ذموا صغر الأفواه ، وضيقها ، وخفاء الأصوات ، كما مدحوا ضد ذلك . وقال الشاعر :

كأنَّ بني دُوينة رهطِ زيد فَراشٌ حولَ نارٍ يَصْطلينَا
يطفْنَ بِحرِّها ويقَعْن فيها ولا يَدْرينَ ماذا يتقينَا

* والنساء يتقين من أزواجهن ويشردن من القبح والدمامة .

قال : تزوج رجل امرأة شابة وكان شيخاً فعجز عنها ، فقال :

بكفِّ بِخضَمٍّ بكرةٍ لو تعلَّقتْ بحبلِ غلام رابضٍ لاستقرَّتِ
سقاها بماءٍ آجنٍ خيص قبلها فقد نهلتْ منه قِلىً ثم علَّتِ
كأن شآبيب الدُّموع بخدِّها شآبيبُ ماءِ المزْنِ حين استهلتِ

قال دعبل : أبو زياد الكلابى أعرابى قدم أيام المهدى حين أصابت الناس مجاعة ، فأقام ببغداد أربعين سنة ، ومات بها ، وكان يقول الشعر . ومن قوله :

أراكِ إلى كثبان يَبْرين صَبَّةً وهذا لعمرى إن قنعتِ كثيبُ
فأين الأَراك الدوح والسِّدرُ والغَضَا ومستخبرٌ عمن يحبُّ قريب

وكان نازلا على شط دجلة بالجزيرة ، وثم رمل كثير . وكان العباس بن محمد الهاشمى أجرى عليهم حين نزلوا رغيفاً لكل إنسان ، فلما كثروا قطعه عنهم . فقال أبو زياد :

إن يقْطَعْ العبَّاسُ عنَّا رغيفَهُ فما فاتَنَا من نعمةِالله أكبرُ

* قال أبو زياد الكلابى ، وذكر شراد النساء : تزوج ذروة بن جحفة أحدبنى الصموت امرأة تسمى مسكة ، وكان رجلا فيه ردة ، وكانت مسكة أشد نساء بنى كلاب ، فلما لقيته نفرت منه فذهبت فى الجبال وفى الناس ثم ترد الوردة فتبيت الليالى ثم تجمح . وكان أمير القوم يقال له ابن هشام ،

فأتت مسكة إلى مجلس قضائه، فرأى أحسن ما يكون من النساء . وأقبحهن حالا ، عارية مهزولة . فقالت : زوجت رجلا فأجاعني وأعراني وأرعاني إبله ، فأدخلها السلمي الأمير على بناته ونسائه وأرسل إلى ذروة زوجها ، فلما جلس بين يديه . وكان راعي إبل قشفاً أزج الحاجبين كثير شعر الوجه . فنظر إلى مثل الكلب الكردي . وأرسل إلى مسكة فجاءت فقال : هذا زوجك ؟ . قالت : نعم.قال : إجلسي حذاء زوجك . فجعل ينظر إليها وإليه ثم قال : ياذروة ما تقول ؟ . فقال ذروة :

يا ابن هشام نُصرة المظلوم إليك أشكو حَيْفَةَ الخصوم

ورهاءَ ذاتَ عطلٍ وسـيم وخلقٍ ليـس بمستقـيم

قد نفرتْ من شارفٍ مردوم جُشِّم منها وَخمَ الملْغوم

ليس بمعسوف ولا مـروم واعرضت كالفرس العَذُوم

وهي تَمطَّى تَمطِّيَ المحموم

الوسيم الحسن . والورهاء الحمصاء، والعذوم العضوض . والعطل الجسم والخلق ، والشارف : الكبيرة من الإبل.يريد نفسه أنه أبيها جشم أي أبين مروم : أي معطوف عليه ، إذا أحبه فقد ريمه ، والملغم : الفم وما حوله وخم : متغير . قال فأخذ بناصيتها ،فكلما جذبها تقع على ركبتيها وتقول : المظلومة المظلومة ! !

وقال ذروة وقد ذهب بها :

يامِسْكُ إنَّ السُّلَمِيَّ العادِلا قَضىَ قضاءً طبَّقَ المفاصلا

لما رأى ماتحكمين باطـلا لاجعلَنَّ القـدَّ والسلاسلا

منها بحيث تجعلُ الخَلاخلا والسوط حتى تسدل السدائلا

فذهب بها ذروة ، فولدت له رجالا .

* قال عبدالعزيز زرارة الكلابى ، وكان سيدا كريما لما سأله معاوية : أى فعلة فعلتها أعجب إليك ؟ . قال : ما من ذاك شيء الا وقد تعجب ، ولكنى أعجبتنى فعلة فعلتها ونحن مقبلون من نجد إلى الشام ، فنزلنا ماء من مياه كلب فنظرت إلى خيمة بالفلاة ، فعمدت إليها ، فاذا رجل جالس على فرش تحت رقاق البيت ، فأنخت ثم جلست إلى رجل جميل جهير قد اكتهل ، فنسبنى وسألنى من أين جئت ؟ . فأخبرته ونسبته ، فانتسب لى إلى كلب وإذا ستر فى جانب البيت ، فأسمع فى الستر صلصلة ، فلما طال ذلك قلت له : وقع فى نفسى أن دون الستر إنسان مجنون . قال : لاعليك لا تسألن عنه ، قلت : فانى رجل كنت أداوى المجانين ، فضحك ضحكا شديداً ، وقال إنه لمجنون جنوناً ماله عندك دواء . فقلت : ما من شعبة من الجنون إلا لها عندى دواء . وجعل الكلبى يضحك ، ثم قال : هذه امرأتى كانت فى بيت من بيوت قومها ، فلما تزوجتها والتقينا نفرت ، فبلغ من الأمر أن قيدناها بقيدين من حديد .

فقلت : إنى لأرى شاهداً حسنا وجمالا ، وإنى لأعرف أنك فى شدة ، فما يضطرك إلى تركها عندك ؟ . فقال : تزوجتها بمال كثير ، وأنا أخاف إن اختلعتها أن يذهب مالى . قلت له : وبكم تزوجتها ؟ . قال : بخمسين من الإبل وخادم وحليها وثيابها . قلت : أفرأيت إن اعطيتك ذلك أتتركها ؟ قال : نعم .

فأخبرنى أن أباها قريب من الماء الذى هو به . فقلت له : أحملها إلى أبيها فحملها ، ووردنا الماء ، فاجتمعنا بأبيها وأهلها ، ودفعت إلى أبيها خمسين من الإبل وقيمة الخادم والحلى ، وفارقها وفارقته .

* وقال ابن أبى عيينة لأمرأة من قرابته بدينا جار :

دعوتك بالقرابة والجوارِ ... دعاءَ مصرِّح بادى السِّرار

لأنى عنكِ مشغولٌ بنفسى ... ومُحتَرِقٌ عليك بغير نـارِ

وأنت تُوقِّرينَ وليس عندى ... على نارِ الصبابةِ من وقـارِ

فانت لأن ماباكِ دون مابى ... تدارين العيونَ ولا أُدارى
واو والله تشتاقين شـــوقى ... جمحْتِ إلىَّ خَالعةَ العِذارِ

* وعبدالعزيز بن زُرارة هو الذى دخل على معاوية فقال : إنى دخلت عليك بالأمل وأحتملت جفوتك بالصبر ، ورأيت ببابك أقواماً قدمهم الحظ وآخرين باعدهم الحرمان ، وليس ينبغى للمقدم أن يأمن ، ولا للمؤخر أن ييأس ، وأول المعرفة الأختبار ، فابل واختبر . وكان قد حجب عنه ، فقال بعض شعراء كلب :

من يأْذن اليـــوم لعبدالعز ... يز يأْذنْ لهُ عبدالعزيز غَدا

ولمثل هذا السبب وشبهه من طرق المكارم وأتباع حسن الأحدوثة فعل ما فعل صعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق ، وذلك أنه خطب للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنى كنت أعمل عملا فى الجاهلية أفينفعنى ذلك اليوم ؟ . قال : وما عملك ؟ . قال : أضللت ناقتين لى عشراوين فركبت جملا ومضيت فى طلبها فوقع لى بيت ، فإذا شيخ جالس بفنائه سألته عن الناقتين فقال : ما نارهما ؟ . قلت : نار بنى دارم . قال : هما عندى وقد أحيى الله بهما قوماً من قومك من مضر . فجلست معه ، فاذا أنا بعجوز خرجت من كسر البيت ، فقال لها : ما وضعت ، فان كان صبيًّا شاركنا فى أموالنا وإن كانت حائلا وأدناها . فقالت : وضعت أنثى . قلت : أتبيعينها ؟ . قال : وهل تبيع العرب أولادها ؟ . . إنما أشترى حياتها ولا أشترى رقهـــا . قال : بكم ؟ قلت : بكم ؟ قلت : احتكم . قال : بالناقتين والجمل . قلت : ذلك لك على أن تبيعنى الجمل وإياها ، ففعل . فآمنت بك يارسول الله وقد صارت لى سنة فى العرب أن أشترى كل موءودة بناقتين عشراوين وجمل ، فعندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة قد أنقذتها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاينفعك ذلك ، لأنك لم تبتغ به وجه الله ، وإن تعمل فى الإسلام عملا صالحاً تثب عليه . فقال الفرزدق يفتخر بذلك :

ألم تــر أنّا بنى دارم زرارةُ منا أبــو معبـــد

ومنا الذى منــع الوائدا تِ وأحيى الوئيد فلم تُوءَدِ

ألسنا بأَصحاب يوم النسـّـ ــــارِ وأصحابِ ألويةِ المروَدِ

* قال الزبير بن بكار : لما ولدت السوداء بنت زهرة بن كلاب أرسل أبوها من يئدها ، فخرج بها الوائد حتى أتى الحجون ، فلما وضعها فى حفرتها صاح به صائح من الجبل ياوائد الصبية! أمض ودعها عنك فى البرية ، إن لها عليا فى الإنسية . فرجع بها إلى أبيها وأخبره فقال : دعها فان لها لشانا . فعمرت وكانت تقول : يا بنى زهرة إن فيكم لنذيرة أو والدة نذير فاعرضوا على نساءكم ، فعرضوهن حتى مرت عليها الثريا أم عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه . فقالت : لست بها ولتلدن. فولدت عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه وعرضت عليها فقالت : لست بها ولتلدن. فولدت حمزة ، وصفية ، والمقوم بنى عبدالمطلب . وعرضت عليها آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة . فقالت إنها لنذيرة او لتلدن نذيراً ، فولدت النبى صلى الله عليه وسلم .

* وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه امرأة فى الطواف وهى تقول :

فمِنهنَّ تُسقَى بماءٍ مُبرَّدٍ نقِاح ، فتاكُمْ عند ذلك قَرَّتِ

ومنهنَّ تُسقَى باخر آجنٍ أُحاحٍ ولولا خشيةُ الله فرَّتِ

ففطن عمر ما تشكو ، فبعث إلى زوجها ، فوجده متغير الفم ، فخيره بين خمسمائة درهم أو جارية من الفئ على أن يطلقها ، فاختار خمسمائة درهم . فأخذها وطلقها .

* قال أبو عبيدة : كان الحارث بن السليل الأسدى قد زار علقمة بن حصفة الطائى فنظر إلى أبنته الزباء ، وكانت من أجمل النساء ، فقال له : أتيتك خاطبا ، وقد ينكح الطالب ، ويدرك الراكب ، ويمنح الراقب . فقال له : أنت كفء كريم يقبل منك الصفو ، ويؤخذ منك العفو . ثم أخبر أمها

فقالت لأبنتها : أى الرجال أحب إليك ، الكهل الجحجاح الواصل المناح ، أم الفتى الوضاح ؟ . قالت : بل الفتى الوضاح . قالت : إن الفتى يغيرك ، والشيخ يجبرك ، وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحديث السن الكثير المن . قالت يا أماه :

فان الفتاةَ تحبُّ الفَتى كَحُبِّ الرعاءِ أنيقَ الكَلاَ

قالت : أى بنية إن الفتى شديد الحجاب كثير العتاب . قالت : إن الشيخ يبلى شبابى ، ويشمت بى أترابى . فلم تزل بها أمها حتى تزوجها الحارث ثم رحل بها ، فبينما هو جالس يوماً بفناء قبته وهى إلى جانبه إذ أقبل شباب من بنى أسد يتعالجون فتنفست الصعداء ، ثم أرخت عينيها بالبكاء . فقال لها ما يبكيك ؟ . فقالت : مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ ؟ . فقال لها : ثكلتك أمك ! . تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها . أما وأبيك لرب غارة شهدتها وسبيئة أردفتها ، وخمره شربتها . الحقى بأهلك فلا حاجة لى فيك . ثم قال :

تهزَّأَتْ أنْ رأَتنِي لا بِساً كِبرَا وغايَةُ النَّاسِ بين الموتِ والكبرِ
فإن يكن قد علا رَأْسِى وغَيَّرهُ صرفُ الزمانِ بتَغْيِير من الشعرِ
فقد أرُوحُ للذَّاتِ الفتى جذلاً وقد أصيبُ بها حيناً من البَقَرِ
عنىّ إليك فإنى لا يـوافقـنِى عوُر الكلام ولا شربٌ على الكدرِ

قيل لأبى دؤاد الإيادى ، ونظر إلى ابنته تسوس فرسه : أهنتها يا أبا دؤاد . قال : أهنتها بكرامتى ، كما أكرمتها بهوانى .

* قال عبدالكريم فى كتابه : وأكثر ألقاب الشعراء بالأبيات تقع لهم شنعة فيسمى الشاعر بها مثل : النابغة ، والممزق ، والمثقب ، وذى الرمة ، ومسكين الدرامى ، والبعيث ، وأبى العيال الهذلى ، والمرقش ، والمتلمس ، وعارق الطائى ، ومزرد ، ومعفر بن حمار البارقى ، والحطئى ، والمستوغر بن بن زيد وعائذ الكلب .. إلى كثير من هؤلاء .

فالنابغة بقوله :

قَد نبغتْ منهم شئونُ

ويقال : سمى الجعدى بالنابغة لأنه نبغ بالشعر بعد ما نيف على الأربعين

ومعفر لقوله :

كأن نَعام الدوّ باض عليهم ... وأعينهم تحت الحبيك جواجرُ
يفرّج عنا كل ثغر نَخافُه ... مسحٌ كسِرْحَان القصيمة ضامرُ
وكلٌّ طموحٍ فى العنانِ كأنها ... إذا اغتمستَ فى الماء فتخاءُ كاسرُ
لها ناهضٌ فى الوكرَ قد مهَّدت له ... كما مهَّدتْ للبعل حَسْناءُ عاقِرُ

والممزق لقوله : (١)

فإن كنتُ مأكولاً فكن خير آكلٍ ... وإلا فأدركني ولمّا أمزّقِ

وعارق الطائى بقوله :

ألا حيٌّ قبل البين من أنت عاشقه ... ومن أنت مشتاقٌ إليه وشايقهُ
حلفتُ بهدْيٍ مشعَرٍ بكراته ... تخبُّ بصحراء الغبيط درادقُهْ
لئِنْ لم يغَير بعض ما قد صنعتمُ ... لأَنتحِبَنْ للعَظْمِ ذو أنا عارِقُهْ

والمثقب بقوله : (٢)

وثقَّبْنَ الوصاوِصَ للعُيُونِ

---

(١) الممزق العبدى : شأس بن نهار العبدى ، والبيت الذى لقب به وارد فى الأصمعية رقم ٥٨ . وراجع طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود شاكر ١/٢٧٤ .

(٢) المثقب العبدى : عائذ بن محصن بن ثعلبة من بنى عبد القيس ، وتمام البيت الذى لقب به :

رددن تحية وكنن أخرى ... وثقبن الوصاوص للعيون

راجع طبقات ابن سلام ١/٢٧١ .

وذو الرمة لقوله : (١)

أَشعث باقِ رُمَّةِ التقليدِ

ومسكين بقوله : (٢)

أنا مسكينٌ لمــــن أبــصرنى ولمــن جــاورنى حــد نطقْ

ولما سمى مسكين قال :

وسميتُ مسكيناً وكانت لجاجةً وإنى لمسكينٌ إلى الله راغــبُ

وإنى امرؤ لا اسأل الناس مالهم بشعرى ولا تُعْيِي عــلىَّ المكاسبُ

واسم مسكين الربيعة من ولد عمرو بن عدس بن دارم ، وكان كريماً شريفاً ، وهو القائل أيضاً :

نارِى ونارُ الجــارِ واحِــدةٌ وإليه قبلى ينزلُ القِــدْرُ

ماضرَّ جارٌ لِي أُجــــاوِرُهُ ألاَّ يكــونَ لبابِــه سِتْــرُ

أعمى إذا ما جارتِي خــرَجَتْ حتى يُضمِّنَ جــارتِي الخِـدْرُ

وسمى البعيث بقوله (٣) :

تبعَّث منى ما تبعَّثَ بعدمَــا أَمِرَّتْ حِبَالُ كلُّ مرّتها شَزْرُ

---

(١) ذو الرمة : غيلان بن عقبة راجع طبقات ابن سلام ٥٤٩/١ ولطائف المعارف للثعالبى ٢٩ .

(٢) مسكين الدارمى : مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدس الدارمى طبقات ابن سلام ٣٠٩/١ .

(٣) البعيث : خداش بن بشير — لطائف المعارف للثعالبى ٢٩ .

وأبو العيال ، واسمه خداش (١) ، وسمى أبو العيال لقوله :

ومن يَكُ مِثلى ذا عيالٍ ومقترا   من المَالِ يطرحْ نفسه كلَّ مطَرحِ
ليبلغَ عذراً أو يفيد غنيمــةً   ومبلغ نَفس عذرها مثل مُنْجِح

وسمى المرقش لقوله (٢) :

الدار قفرٌ والرسُومُ كمــا   رَقَّشَ فى ظَهْرِ الأَدِيم قَلَمْ

وسمى المستوغر بقوله (٣) :

ينِشُّ الماءُ فى الرَّبلاتِ مِنْها   نَشيشَ الرَّضْف فى اللَّبَنِ الوَغِيرِ

الربلات : أصول الفخذين . والرضف : الحجارة المحماة . والوغير ساعة يحلب وسمى المتلمس (٤) لقوله :

فهذا أوان الأَرض حيٌ ذبَابُــه   زنابيرهُ والأَزرق المتَلَمِّسُ

وسمى مزرد (٥) لقوله يصف زبدة :

فَجاءَ بهَا صفراءَ ذات أَسرةٍ   تكادُ عليها ربَّةُ البيت تكْمُدُ
فقلتُ تزرَّدها عبيد فــإِننى   لِدَرْدِ المَوَالِى فى السنِينَ مُـزرِدُ

---

(١) للشاعر الهذلى أبو العيال واسمه ابن أبى عنترة ، وهو أحد بنى خفاجة بن سعد ابن هذيل ، وكان شاعرا فصيحا مقدما من شعراء هذيل المخضرمين . أدرك الجاهلية والإسلام — راجع ديوان الهذليين ٢٤١/٢ ، والشعر والشعراء ٤٢٠ ويروى له قوله :

من أبى العيال أبى هذيل فاعرفوا   قولى ولا تتجمجموا ما أرسل

(٢) المرقش : عوف بن سعد بن مالك — راجع لطائف المعارف ٢٤ .

(٣) المستوغر : عمر بن ربيعة بن كعب — لطائف المعارف ٢٧ — الجمحى ١٢/١ والشعر والشعراء ٣٤٤ والربلات أصول الأفخاذ — والرضف : الحجارة المحماة ، الوغير : ما يرمى فيه بالحجارة المحماة ويشرب .

(٤) المتلمس : جرير بن عبد المسيح الضبى لطائف المعارف ٢٥ .

(٥) المزرد : يزيد بن ضرار أخو الشماخ — لطائف المعارف ٢٨ .

وسمى بشار المرعث لقوله (٦) :

من لَظْبيٍ مُـــرَعَّثٍ ساحِـر الطَّـرفِ والنَّظَـرْ
قالَ لى لستَ قــاتــلِى قلتُ أَو يغْلِبُ القَدَرْ

والخطفى بقوله :

يرفعن للَّيل إذا ما أَسدَفـــا أَعناقَ جنَّان وهامًا رُجَّفَـا
وعُنُقا بعـدَ الرّسيم خَطفَـــا

وقال الأخطل لجرير : لم سمى أبوك الخطفى ؟ . قال : لأختطافه الفرسان فى الحرب . قال : على أى عيرية كان يفعل ذلك .

وعائذ الكلب عبدالله بن مصعب الزبيرى . سمى بقوله :

مالِى مرضتُ فلم يعدْنِى عـائِدٌ منكم ويمـرضُ عبدكُمْ فأَعودُ

وكان سبب عشى الأعشى ميمون بن قيس أنه قال : كنت يوماً بمنفوحة وهو موضع بئر ينزع فى حوضه من الطوى حين أنتصف النهار وننتظر ورود الشاء على ، فالتفت التفاتة فإذا الحوض مترع ، وإذا فيه امرأة شابة جميلة حاسرة عن ساقها وسط الحوض ، فلما رأيتها راعتنى بجمالها ، فألقيت من يدى الدلو حتى إذا دنوت منها فتناولتها أهوت إلى الأرض ، فأخذت قبضة من تراب فالقت بها فى وجهى وعينى ، فأخذنى فى عينى ألم شديد ، فوضعت يدى على عينى ثلاثة أشهر لا أفتح عينا ، ثم أنكشف عنى ، ولم يبق من بصرى إلا سفافة أعشو بها . ثم عمى بعد ذلك .

* زعموا أن زُرارة بن معبد رأى يوماً لقيطا أبنه مختالا وهو شاب ، فقال : إنك لمختال كأنك أصبت بنت قيس بن خالد ذى الجدين ، ومائة من هجائن المنذر بن ماء السماء . فقال لقيط : لله على لايلمس رأسى غسل حتى

---

(٦) وقيل سمى المرعث لأنه كان يلبس رعاثا فى أذنه

آتياك بذلك ، فسار لقيط حتّى أتى قيس بن خالد سيد ربيعة ، وكان على قيس يمين ألا يخطب إليه أحد علانية إلا أصابه بشر . فأتاه لقيط ، فخطب إليه علانية ، فقال له قيس : ومن أنت ؟ . قال : لقيط بن زُرارة . قال : فما حملك على أن تخطب إلى علانية ؟ . قال : لأنى إن عالنتك لم أشنك ، وإن ساررتك أخدعك . قال قيس : كفء كريم لاتبيت عندى والله عزبا . ثم ثم أرسل إلى أمها أنى زوجت لقيط بن زُرارة القدور بنت قيس فاصنعيها ليبتنى بها ففعلت . وساق عنه قيس المهر ، فابتنى بها ، وأقام معهم ما شاء الله ثم أرتحل بأهله حتّى أتى المنذر بن ماء السماء فأخبره بما قال له أبوه ، فأعطاه مائة من هجانه ، وانصرف إلى أبيه بابنة قيس وبمائة من هجائن المنذر .

وكان قيس وصى أبنته عند رحيلها مع لقيط فقال : كونى له أمة يكن لك عبدا ، وليكن أطيب طيبك الماء ، وإنى قد زوجتك فارساً من فرسان مضر وإنه يوشك أن يقتل ، فان كان ذلك فلا تجمشى عليه وجها ، ولاتحلقى شعراً فلما أصيب لقيط تحملت إلى قومها وقالت لهم : أوصيكم بابنى عبدالله بالغرائب سراً ، فوالله ما رأيت مثل لقيط لم يجمش عليه وجه ، ولم يحلق عليه شعر ، ولولا أنى عروس ما جمشت عليه وحلقت . ثم حلف عليها رجل من قومها ، فسمعها تكثر من ذكر لقيط ، فقال : ما أعجبك من لقيط ؟ قالت : خرج يوم دجن وقد شرب وتطيب فطرد البقر وصرع منها وأتانى وبه نضح الدماء والطيب فضممته ضمة ، وشممته شمة ، فوددت أنى مت ثمة . فلم أر منظراً قط أحسن من لقيط . فسكت عنها زوجها حتى إذا كان يوم دجن شرب وتطيب وركب فصرع من البقر ، فأتاها وبه نضح من الدم والطيب والشراب فضمته إليها فقال : كيف ترين أبا الحسن أم لقيط ؟ . فقالت : ماء ولا كصيدا . وصيدا ركية ليس فى الأرض أطيب منها .

* وقال بعضهم : النساء ثلاثة : فهينة لينة عفيفة مسلمة ، تعين أهلها على العيش . وأخرى وعاء ولود ، وأخرى غل تمل ، يضعها الله فى عنق من يشاء .

والرجال ثلاثة : رجل ذو عقل ورأى ، ورجل آخر إذا أحزبه أمر شاور ذوى الرأى ، ورجل حائر بائر لايأتمر رشداً ولايطيع مرشداً .

* وقال الأعشى فى امرأة له من عترة خلقها : (١)

أيا جارتا بينى فإنك طالِقَهْ كذاكِ أمورُ الناسِ عارٍ وطارِقَهْ

وقد استدل ابن عباس بهذا البيت الذى للأعشى ، على أن العرب كانت تعرف الطلاق الثلاث .

* وقال الفرزدق لما طلق النوار بنت أعين بن ضبيعة المجاشعى : (٢)

ندمتُ ندامةَ الكسعىِّ لمَّا غدَتْ منى مطلّقةً نوارُ

وكانت جنَّتِى فخرجتُ منها كآدم حين أخرجه الضرارُ

ولو أنىّ ملكتُ زمامَ نفسى لكانَ علىَّ للقدرِ الخِيارْ

* كان أبو الهذيل العلاف المعتزلى إذا أنشد هذا البيت لعنه إذ كان شاهداً على فساد مذهبه (٣)

* وقال المتوكل الليثى فى امرأته ، وكانت أقعدت عنده ، فلما طلقها أفاقت فقال :

---

(١) ديوان الأعشى القصيدة رقم ٤١ ص ٢٩٩ تحقيق محمد حسين طبع بيروت وروايته : « يا جارتى .. » و « غاد .. » وفسرها بأن الغادى الذى يذهب صباحا والطارق الذى يأتى ليلا .

(٢) طبقات ابن سلام ١/٣١٧ ورواية البيت الأول : « مضت منى . . » والثانى « وكانت جنة .. » والثالث : « ولو ضنت يداى بها ونفسى .. »

(٣) يريد أن هذا البيت شاهد على الجبر ، وأن الانسان مسير فى أفعاله لا مخير كما يعتقد المعتزلة .

قِفِي قبل التفرق يـا أُمَـامَـا ورُدِّى قبل بينكُمُ السَّلامَا
سعَى الواشونَ حتىَّ أزعجوها ورثَّ الحبْلُ فانجذم انجذَامَا
فلستُ بزائلٍ مـادمتُ حيًّـا مُسِرًّا من تذكـرهـا هيـامـا
نرجيها وقد شحطت نـواهـا ومستلك المـنى عـامـاً فعاما
صليني واعـرفى أَنى كـريم حلفت لمـن يصارمـنى لحِامَـا
ولا وأبيك لا أنســاك حتى يُجاورُ هَامَتِى فى القبر هَـامَـا

* وقال غيره :

أحبُّ الأَرض تسكنُها سليمى وإن كانت توارثهـا الجدوبُ
وما نَفْعِى بحب تراب أَرضى ولكن من يحلُّ بهـا حبيب
أعاذِلَ لو شربت الخمـرَ حتىَّ يكـون لكـلّ أنملـةٍ دبيبُ
إذا لَعذَرْتنِى وعلمتَ أنى لمـا أَنفقتُ من مالِى مصيبُ

* وكان النمر بن تولب(١) سيداً شريفاً كريماً ، وكان فى إبله يوماً ، فسأله سائل فأعطاه فحلها ، فأنكرت عليه امرأته ، فقال :

دعيِنى وأَمْـرِى سأَكفيكـهِ وكُونِى قَعِيدَةَ بيت صناعَـا
فإنك لن ترشدى غـاويـاً ولن تُدرِكى لك حقًّا مُضَاعَا

---

(١) راجع فيـه طبقات ابن سلام ١/١٥٩ — ١٦٠ . قال : « والنمر جواد » لا يليق شيئا ، وكان شاعرا فصيحا ، جريئا على المنطق ، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس لحسن شعره .

وقال :

بكرتْ باللَّوْم تَلْحَانَا … في بعير ضَلَّ أو حانا
علقت لومًا تُكَرِّرُه … أن لو آذاك أعيانا
اعلمى أن كل مؤتمر … مخطىءٌ في الرأيِ أحيانا
فإذا ما لم تصِبْ رشداً … كانَ بعض اللوم تبيانا

قال يزيد بن عبدالله بن السحير أخو مطرف بن عبدالله : بينما نحن بمربد البصرة جلوس إذ أتانا شيخ أشعث الرأس فقلنا : والله كأن هذا ليس من أهل البلد إن قال أجل. وإذا معه قطعة من جراب أو أديم . قال : هذا كتاب كتبه لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأناه فاذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى زهير بن قيس حى من عكل إن شهدتم أن لا إله إلا الله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخمس من الغنائم وسهم النبى والصفى فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله » .

فقال له القوم : حدثنا أصلحك الله — بما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : صوم شهر الصبر وصوم ثلاثة أيام من الشهر يذهبن وجر الصدر . فقال له القوم : أنتم سمعتم هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله. لا أحدثكم حديثاً. ثم أهوى بيده إلى صحيفته وانصاع مدبراً . فقيل لنا بعد ذلك إنه النمر بن تولب .

* وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد لبعض العرب :

رَعيتُ لسلْمىَ بَوَّضيم وإننى … لآبى قديما اباء الضيم وابن أُباةِ
فقد وقفتنى بين شَكٍّ وتهمةٍ … وما كنتُ وقافاً على الشبهاتِ

فيا بعل سلمى كم تطيل أذاتها ... عدمتك من بعلٍ تطيل أذاتى

بنفسى حبيبٌ حال بابك دونه ... تقطع نفسى دونه حَسراتِ

ووالله لولا أن نسيا كسرعته ... فمالستَ بالمأمون من فتكاتى

البو : أن يخاف أنقطاع لبن الناقة إذا مات سقيها فيؤخذ جلد حوارها فيحشى تبناً ويلطخ بشىء من سلاها فتعطف عليه بعد أن يعم أنفها بالعمامة حتى تكرب ، ثم تسل الحرقة فتجد روحاً ، وترى ذلك البو تحتها فترأمه ، أى تشمه فيدر لبنها .

* وقال الزبير : كان معد بن حواس التغلبي وأمرأته نصرانين فأسلمت امرأته فى ولاية عمر بن الخطاب ، وفرت منه إلى عمر ، فخرج معدان يطلبها فنزل على الزبير فاستجار به ، وشكا إليه امرأته ، فقال له الزبير : هل انقضت عدتها . ؟ قال : لا . قال : فاسلم ، وأتى به عمر رضى الله عنه فردها عليه ، فقال :

إن الزبير بن عوَّامٍ تداركنى ... بعد الإله وقد حاطتنى الظُّلَمُ

أهلى فداؤك ما جودا بحجرته ... إذ ساع ظلمى وإذ زلت بى القدم

إذ لا يقوم بها إلا فتى أنفٌ ... عارى الأشاجع فى عرنينه شممُ

وقال : كان أبو خلدة اليشكرى بطلا فارساً ، وكان مع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث ،فاشتاق إلى البصرة فأتاها ، فأقام بها شهراً ، فرأى فى بنى عجل بالبصرة حليمة بنت الحسن ، فأعجبته ، فخطبها إلى أبيها ، فعرفها فقيل لها إنه صعلوك مختر فاياك وإياه . فقالت : هذا زوج لغرض معين لا آمن أن أقيم معه ، وهو مع ابن الأشعث بعد يغدو إلى حرب ويروح منها فقال :

لما خَطَبْتُ إلى حليَمةَ نفسها ... قالت حليَمةُ لا أرى لك مالا

أَوْدى بما لى يا حُلَىَّ تكرُّمِى ... وتورُّعى وتحمّلى الأثقالا

إنى وعَيشك لو رأيت مقَامنا ... فى الصف حين نُقَارِعُ الأبطالا

يوماً لسرَّكِ أن تكونى خادمى ... عندى إذا كره الكماةُ نزَالاَ

فأجابته إلى التزويج .

قال الحجاج : ما حرض على أحد أيام حرب ابن الأشعث كتحريض أبى حزابة من ربيعة بن مالك (١) ، فانه قام بين الصفين فسل درعه ثم أحدث عليها وقال : هكذا فاصنعوا بدروعكم يا أهل العراق ، فانها لاتصلح إلا لهذا فحموا وقاتلوا قتال الأسد ، وحرض أيضا على أبو جالدة اليشكرى ، فقال : (٢)

أَلا حَيِّ من حال العِدَى دون أَهله ... وكيف يحيي شاحط الدار نازحُ
جرى طائرٌ بالبين وانشقت العصى ... وصاح ببين من خليلك صائحُ
لعمرى لأَهل الشام أَطعنُ بالقنا ... وأَحمى لما يخشى عليه الفضائحُ
فررنا وخلينا البلاد التى بها ... تقوم إذا متنا علينا النوائحُ
جزعنا فلا ماتت نفوس نحبها ... وقد نزعتْ منا النفوس الشحائحُ
هزمنا فما رَاجعٌ من بعد هجرة ... إلى قينةٍ والدين بالناسِ واضح
ومنَّا مقيم بالقرى متربصٌ ... وآخر قد ضاقت عليه المناوحُ
أَجبنا وما من مورد الموت مهربُ ... أَلا قبحت تلك النفُوس الشحائحُ
وما كان إلا أن لقينا فهاربٌ ... مع الريح أَو ساع وآخر سابحُ
بخلنا بأَرْواح النفوس وليتها ... أَتاح لها ريب المنُونِ المتائحُ
وكنا نرجّى الخير عند سَرَاتِنا ... فما منهم عند الملمَّةِ صَالحُ
فقل للحواريَّاتَ يبكين غيرنا ... ولا يبْكنا إلا الكلابُ النوابحُ

---

(١) أبو حزابة : هو الوليد بن حنيفة أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك من تميم ، من شعراء عصر بنى أمية . بدوى حضرى . سكن البصرة :

(٢) ورد منها فى كتاب الوحشيات ثلاثة أبيات .

وأبو جلدة بن عبيد الله اليشكرى من شعراء الدولة الأموية ، ومن ساكنى الكوفة خرج مع ابن الأشعث ، فقتله الحجاج . وأبياته بالأغانى ١١/٣١١ والمؤتلف ٧٩ وحماسة ابن الشجرى — ٦٤٠ — ٦٥ وتفسير الطبرى ٦/٤٥١

* قال المبرد : تزوج فاطمة بنت عمر بن حفص هزار مرد بن(١) عيسى بن سليمان بن على بن عبدالله، فقال عبدالله بن محمد بن أبى عينية بن المهلب : (٢)

أفاطمَ قد زُوِّجت عيسى فأَيقنى بذلٍّ لديه عاجلٍ غير آجل (٣)

فإنك قد زوّجت عن غير خبرةٍ فتىً من بنى العبَّاسِ ليس بعَاقِلِ

فإن قلت من رهط النبى فإنَّهُ وإن كان حرَّ الأَصل عبد الشمائلِ

فقد ظفرت كفَّاة منك بطائِل وما ظفرت كفَّاكِ منه بطائِلَ

إذا ما بنو العباسِ يوماً تبادروا عُرَى المجد وابتاعوا كِرامَ الفضائل (٤)

رأيت أبا العبَّاسِ يسمو بنفسه إلى بَيْع بياحاتـه والمباقـل

يُرخِّمُ بيضَ العَام تحت دَجاجِه ليخرجَ بيضاً من فراريج قابل

البياحات ضرب من السمك ، وبفاطمة كان ينسب أبو عيينة أخوه يكنى عنها بدنيا (٥) ، وذلك قوله :

ألم تنه نفسك أن تعشقـا وما أنت والعشق لولا الشَّقا (٦)

أمن بعد شربك كأسَ النُّهى وشمِّك ريحان أهل النَّقـا

---

(١) الكامل ١ / ٢٥٤ هزاذ مرد .

(٢) راجع فى بعض أخباره الكامل للمبرد ١ / ٢٥٠ ، « وكان عبد الله بن أبى عينية من رؤساء من أخذ البصرة للمأمون أيام المخلوع ، وكان معارضا لطاهر بن الحسين فى حروبه » .

(٣) الأبيات أوردها المبرد فى الكامل ١ / ٢٥٤

(٤) أورد المبرد قبل هذا البيت ثلاثة أبيات .

(٥) قال المبرد ١ / ٢٥٥ وفاطمة التى ذكرها هى التى كان ينسب بها أبو عيينة أخو عبد الله ويكنى عنها بدنيا .

(٦) أورد المبرد الثلاثة الأبيات الأولى ١ / ٢٥٩ ثم اتبعها بأخرى من القصيدة .

عشقت فأصبحت فى العاشقـ ين أشهر من فرسٍ أبلقـا
أدنيايَ من غمر بحر الهَوى خُذِى بيدى قبل أن أغرقَا
أنا لك عبدٌ فكونى كمَنْ إذا سرَّه عبدُه أعتقا
سقى الله دنيا على نأْيها من القطر منبعقاً ريِّقاً
ألم أخدع النفس عن حُبِّها وقد يخدعُ الكيِّسُ الأحمقَا
بَلَى وسَبقْتُهُمُ إنَّنى أُحبُّ إلى المجد أن أسْبقا
ويوم الجِنَازَةِ إذ أُرسلت على رِقبةٍ أن جزْ الخَندقا (١)
إلى السَّالِ فاحْتَلْ لنا مجلسا قريبا وإياك أن تخرْقَا
فكنَّا كغصنَين من بانةٍ رطيبين حدثان ما أورقا
فقالت لها أختها استنشديه من شِعْرِهِ الحسن المنْتَقا (٢)
فقلتُ أمرتُ بكتمانِه وحُذِّرتُ إن شاعَ أن يُسرَقا
فقَالَتْ بعيشِكِ قولِى له : تمنَّعْ لعلَّكَ أن تَنْفُقَا

السال : موقع وحفضه ضرورة (٣)

وقال أيضا :

هزأتْ دنياى أن شاب رأسى من هواها ولِداتى شَبابْ
قلتُ لاتهزأى فلو أنّ مابِى بغرابٍ لشاب منه الغرابْ

(١) رواية المبرد : «على رقبة أن جىء الخندقا» الكامل ١ / ٢٦٠

(٢) رواية المبرد : «فقالت لترب لها استنشديه».

(٣) قال المبرد : «هذا مما يغلط فيه عامة أهل البصرة : يقولون : السال بالتخفيف وإنما هو السال يا هذا ، وجمعه سلان ، وهو الغال ، وجمعه غلان ، وهو الشق الخفى فى الوادى :

ولقد قالت وآلت يميناً جاءنى منها بـذاك الكتابْ
أترى أنك أَعْشَقُ مِـنّى لا ورَبّى غير أنى أهـابْ

وقال أبو عيينة أيضا يتغزل بدنيا ويهجوا بن عمه خالداً :

قل لدنيا بالله لاتهجرينـا واذكرينا فى بعض ماتذكرينَا
لاتخونى بالغيب عهد صديقٍ لم تجافيه ساعة أن يخونا
وإذكرى ما كان إذ ينفـض الرِّيحُ علينا الخيرىَّ والياسمينا
أنا باللهو معجب وهو دينى كل قوم بدينهم راضُـونا
حفظ الله إخوتى حيث كانوا من بلادٍ مُمسين أو مصبحينا
إخوةٌ عَارُونَ عن كل عيب وهم فى المكارمِ الأولونـا
وهم الأكرمون يعلم ذاك النا سُ والأطيبون الأطيبينـا
يتباهون فى المواكب عِزًّا ويقرُّون بالعشىِّ العُيُونـا
ويظلُّون يشربون ويسقون بكأس السّرور شربا معينـا
أشتهى قربهم على كل حالٍ إن فى قربهم لُدنْياَ ودينـا
أزعجتنى الأقدار عنهم وقد كنـ تُ بقربى منهم شحيحاً ضنيناً
وتبدلتُ خالداً لعنة الله عليـ هِ ولعنةُ اللاعنيـنَا
رجلٌ يَعقرْ اليتيم ولا يـؤ تى زكاةً ويحرِم المسكينـا
ويصون الثيابَ والعرضُ بالٍ ويرائى ويمنـع الماعـونَا
نزع الله منه صالح ما أعطا ه آمينَ عاجلاً آمينـا
فى حرم الدنيا إذا كان فيها خالدٌ نَاطقاً مع الناطقينـا
ولعمر المبادرين إلى مكة ركبـ ـاً سارينَ أو مُـدْلجينـا

إنَّ أَضياف خالدٍ وبنيـــه ليجوعون فوق ما يشبعونـا

وتراهم فى غير نسكٍ يصو مون ومن غير علةٍ يَحْتمُونا

يا بنى خالدٍ دعــوة وفــر ماتُراكم على الجوع ويحكم تصبرُونا

أنشدوه ما قلت فيه من الشعر وأنتم مــــن مثـــله آمنونا

أيكم جاءه بمـا قلت أهديت لــه بطــةً وجـدياً سميناً

يا بنى خالدٍ فبئْس أبـــو القو م أنتم والله بئس البنـــونا

هذا شعر مطبوع وكان أبو عيينة يهجو خالداً . ويعف عن ذكر الحرمات لقرابته منه ثم يبلغ به منه إلى ما يهلكه به ويؤذيه ، ويتخلص أحسن تخلص .

« كان سعيد بن بيان رجلا دميا أعور ، وهو سيد تغلب بالكوفة فقدم الأخطل الكوفة ، فأراد سعيد نزوله عنده ، وأمر زوجته ، وكانت من أجمل النساء فأصلحت دارها وفرشتها بأحسن فرش ، ولبست ثيابها وحليها ثم دعاه ، فقال له بعد أن أكل وشرب ، ونظر الأخطل إليه ، وإلى قبحه وإلى جمالها : كيف ترى زينا وحالنا يا أبا مالك ؟ فأنت تدخل منازل الخلفاء والملوك ، فان رأيت عيباً نبهت عليه . فقال له الأخطل ما فى دارك عيب غيرك . قال سعيد : أنا والله أحمق منك يا نصرانى ، حيث أدخلتك دارى ، ثم أخرجه وطرده ، فخرج الأخطل وهو يقول :

وكيف يداوينى الطبيب من الجوى وَبرَّةُ عند الأَعورِ بن بيــانِ

فهلاَّ زجرتُ الطير ليلة جئتهُ بصيغةَ بين النجم والدبــرانِ

صيغة كوكبان صغيران بين النجم والدبران .

« زعم بعض البغداديين أن من عجائب أيام المقتدر أن امرأة يقال لها ثمل كانت تجلس للمظالم ، ولم تنظر امرأة فى هذا فى جاهلية ولا إسلام .

ويقال إنه لم تلد امرأة خليفتين إلا ولادة أم الوليد وسليمان ابنى عبدالملك وغير أم يزيد بن الوليد الناقص وأخيه إبراهيم ، وغير الخيزران أم موسى الهادى وهارون الرشيد .

* وكان موسى أول ولايته لايخالف أمه فى أمر إلى أن أكثرت وسألته يوماً فى حاجة لعبد الله بن مالك بعد أربعة أشهر من خلافته ، فغضب الهادى وقال : ويلى على ابن الفاعلة ،والله لاقضيتها لك . قالت : إذاً والله لا أسألك حاجة أبداً . قال : مكانك فاسمعى كلامى ، والله لئن بلغنى أنه وقف أحد من قوادى أو خاصتى لأضربن عنقه ولأقبضن ماله . فمن شاء فليلزم ذلك . ما هذه المواكب التى تغدو إلى بابك كل يوم ؟! . أمالك مغزل فيشغلك ،أو مصحف فيذكرك ، أوبيت يصونك ؟ . إياك أن تفتحى بابك فى حاجة لملى أو ذمى . وانصرفت وهى ما تعقل ، فلم تنطق بعد ذلك عنده بحلو ولا مر ، وتخلفت عنه ، فيقال إنها دست إليه بعض جواريه فسقته فمات . ويقال : بل مات بأجله ، فلما قيل لها إنه يسيل قالت : وما أصنع به ؟ . فقال لها خاصتها ليس هذا وقت تعتب ، فقالت : أعطونى ما نتطهر به للصلاة ، ثم قالت : إنا كنا نتحدث أنه يموت فى هذه الليلة خليفة ويلى خليفة ويولد خليفة ، فمات الهادى وتملك هارون (الرشيد) وولد المأمون .

ولما مات موسى الهادى أتى إلى الخيزران من عرفها . قالت : إن كان مات موسى فقد بقى هارون ، وقالت لخادمها : هات لى سويقاً فشربته وسقت منه زينب بنت سليمان بن على وأختها أم الحسين ، وعائشة أختها ، وريطة أم على بن المهدى ، وفرقت عليهن أربعمائة ألف درهم ، ثم قالت : ما فعل ابنى هارون ؟ . قالوا لها : حلف ألا يصلى الظهر إلا ببغداد . فارتحلت فلحقته .

وولى موسى الخلافة وهو ابن واحد وعشرين سنة وشهور ، ولم يل الخلافة أحد أصغر منه إلا المقتدر ، فانه ولى وهو ابن أحد عشر سنة .

وكانت فى موسى سكاكة شديدة وصعوبة مرام ، وسوء ظن ، وكان يحب ألا يسأل ، فاذا أعطى أجزل من نفسه أبتداء . وكان يكرم الأدب

وأهله . أختص ابن دأب عيسى بمجالسته . وكان عيسى من أكثر أهل الحجاز أدباً ، وأعذبهم ألفاظا . وكان قد حظى عنده ، وكان يدعو له بتكأة . وما طمع أحد منه فى هذا . وكان يقول له : ما استقللت بك يوماً ولا ليلة قط ، ولا غبت عنى إلا ظننت أنى لا أرى غيرك . وأمر له بثلاثين ألف دينار . فلما أصبح ابن دأب وجه قهرمانه لقبض المال ، فلقى الحاجب فقال له : ليس ذلك إلى ، والمال يحتاج إلى توقيع . فأمسك ابن دأب عن ذكره . فبينا موسى فى مستشرف له نظر إلى ابن دأب وقد أقبل وليس معه غلام ، فقال لابراهيم الحرانى : أما ترى ابن دأب ؟ ، ما غير من حاله ؟ ولاتزيا لنا وقد برزناه بالأمس . فقال ابراهيم : إن أذن لى أمير المؤمنين عرضت له بشئ من هذا . قال : لا ، هو أعلم بأمره . فدخل ابن دأب وأخذ فى حديثه إلى أن عرض له الهادى بشئ من أمره فقال : أرى ثوبك غسيلا وهذا مقام تحتاج فيه إلى الجديد واللين . فقال : يا أمير المؤمنين باعى قصير عما أحتاج إليه . قال له : ألم نصرف إليك من برنا ما فيه صلاح شأنك ؟ . فقال : ما وصل إلى شئ . فدعا بصاحب بيت مال الخاصة فقال : عجل له الساعة بثلاثين ألف دينار . فحملت بين يديه .

* قال إسحاق الموصلى : بينا نحن بين يدى الهادى فى منادمته إذ جاء صبى صغير من خدمه فدنا من أذنه فأسر إليه كلمة واحدة ، فنهض ، ورفع مصلاه ، فاذا سيف منتضى ، فأخذه بيده وقال : كونوا بحالكم حتى أرجع ومضى ، ولم يكن إلا يسيرا حتى رجع والسيف بجنبه ، وقد ذهب عن قلبى فكره ، وعن عقلى حفظه . وقال : خذوا فى أمركم ، فذهب عنى الغناء ، والتوى على ، وفطن لما بى ، فقال : يا ابن اللخناء صر إلى ماكنت عليه . لايخطر ببالك شئ ليس من شأنك . قال : فعانيت الغناء بكل حيلة فما تهيأ لى شئ أرتضيه ، فو الله أنا لعلى تلك الحال إذ رجع إلينا ذلك الصبى ، فدنا من أذنه فأسر إليه كلمة ما علمت أنه زاد عليها ، فأخذ السيف ونهض ، فما كان إلا كمقدار الوقت الأول حتى رجع إلينا كالثائر والسيف يقطر دماً ، والصبى الذى كان ساره قد حمل رأسين فقال : أدخل بهما فطف فى المقاصير ، وقل : هذا جزاء كل امرأتين نامتا فى لحاف واحد .

قال ابن دأب : فلما رأيت تريث الهادى وسكوت القوم لم أزل استنزله عن غضبه درجة درجة بشعر مرة ، وحديث أخرى حتى أستبشر ، ووصلنا وقضى حوائجنا . رحم الله الهادى لو رأى ما كان بعده ، وعاين زماننا لرأى العجب . حسبنا الله (ونعم الوكيل) .

* قالوا : لاتثمر الطبيعة إلا عند حسيب ، كما لاتنفع الرياضة إلا فى نجيب . وقالوا : الحسيب محتاج إلى الأدب ، والأدب مستغن عن الحسب

* قيل لعبد الله بن عباس : كم تكتب العلم ؟ . قال إذا نشطت فهو لذتى ، وإذا اغتممت فهو سلوتى . نظر المغيرة بن شعبة إلى امرأته فارعة بنت همام وهى تخلل مع الغداة فطلقها ، فبلغها أنه قال : والله لئن تخللت من طعام يومها لقد شرهت وانهمت ، ولئن تخللت من طعام ليلتها لقد أغبت وانتنت . فقالت : أبعد الله المطلاق المذواق ، والله ما تخللت إلا من شظية المسواك .

* وقال محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما : خير النساء التى إذا أعطيت شكرت وإذا حرمت صبرت . التى تسرك إذا نظرت (إليها) ، وتطيعك إذا أمرت .

* وقال بعض الشعراء يذم امرأته :

جزاكَ الله يا حبناءُ شرًّا ... لبذلة أهلِ بيت أولصونِ
تُعِينُ عليَّ دهْرِى ما استطاعتْ ... وليست لى على دهرى بعونِ
إذا خرجتْ لحاجتِها أتتنيِ ... من الكذِب العجيب بكلّ لونِ

* وقال غيره يمدح امرأته بعد موتها :

سقى حدباءَ تُضْمِرُ أمَّ عمرو ... بنخلةَ ما استهَلَّ من الغمام
وما للأَرض أَستسقى ولكن ... لأَصداءٍ أقمن بها وهامِ

باب

احتمائهم بالشعر وذبهم به عن الأعراض

كانت العرب لا تعدل بالشعر كلاماً ، لما يفخم من شأنهم ، ويبهى من ذكرهم .

قال بعضهم :

فإنى لـذو مِـرَّةٍ مـرةً	إذا ركبت حـاله حالها
أقدم بالزجر قبل الوعيـ	ـد لينهى القبـائلُ جهالها

وقال جرير : (١)

أبنى حنيفة أَحْكِمُوا سُفَهاءَكم	إنى أخـافُ عليكم أَنْ أَغْضَبَا
أبنى حنيفة إننى إن أهجكم	أدع اليمامـةَ لا تُوارِى أرنَبا

قوله : أحكموا أى امنعوا ، ومنه حكمه اللجام .

وقال جرير : (٢)

وعاوٍ عَوَى من غير شئٍ رميتُه	بِقافيةٍ أنفاذُها تقطـرُ الدَّمَـا
خروجٍ بأفواهِ الرجالِ كأنها	قِرى هند وانىٍّ إذا هُـزَّ صَمَّمَا

الأنفاذ : الجراح الواسعة

---

(١) ديوانه ص ٤٧ واحكموا بمعنى امنعوا ، وهو من الحكمة ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه .

(٢) من قصيدة يهجو البعيث الحنفى ٤٤٦ ديوانه ، وبين البيتين بيت يقول فيه :

وإنى لقوال لـكل غريبة	شرود إذا السارى بليل ترنما

• هم الفرزدق بهجاء عبدالقيس فبلغ ذلك زياد الأعجم ، وهو من عبدالقيس فبعث إليه لا تعجل ، وأنا أهدى إليك هدية ، فانتظر الفرزدق الهدية فجاء من عنده : (١)

وما ترك الهاجونَ لى أن هجوتُهُ مَصحاً أراه فى أديم الفرزدق

ولا تركوا عظماً يُرى تحت لحمه أكاسِر ما أبقُـوه للمتعرّق

سأكسر ما أبقوا له من عظامِه وأنكت مخَّ الساقِ منه وانتـقى

فإنا وما تهدى لنا أن هجوتنا لكالبحر مهما تلق فى البحر يَغْرَقِ

هذا كقول الفرزدق : (٢)

ماضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجـوتَها أم بُلْتَ حيثُ تناطحَ البَحـرَانِ

وقال : (٣)

وهل يضرُّ البحرَ أمسَى زاخرا إن رمى فيـه غـلامٌ بحجر

فلما بلغه الشعر قال : ليس لى إلى هجاء هؤلاء سبيل ما بقى هذا العبد . وكان زياد هجاء شديد العارضة .

المتعرق : الذى يأخذ اللحم عن العظم

• وهجا رجل من بنى حرام الفرزدق فجاء به قومه إليه يقودونه . فقال الفرزدق : (٤)

---

(١) طبقات ابن سلام ٢/٦٩٥ وراجع الأغانى ١٥/٣٩٢ والشعر والشعراء ٣٩٥
(٢) ديـوانه ٢/٨٨٢
(٣) ديوان الفرزدق ص ٤١٣
(٤) ديوانه ١/٨٣٥ وطبقات ابن سلام ١/٣٢٥

ومن يكُ خائفاً لأذاةِ شِعْري ... فقد أَمن الهجاءَ بنو حرامِ

هُمُ قادوا سفيهَهُمُ وخافوا ... قلائِدَ مثل أطواقِ الحمامِ

* وقال سحيم بن وثيل الرياحي : (١)

إن عُلالَتِي وجَراءَ حَوْلي ... لذُو شِقٌّ على الضَّرع الظَّنُونِ(٢)

أَنا ابن جَلاَ وطَلاَّع الثنَايا ... متى أَضع العمامة تعرفوني

فإنَّ مكاننا من حميرىٍّ ... مكانُ الليث من وسطِ العرينِ

وإنِّي لا يعودُ إليَّ قرْني ... غداةَ الغبّ إلا في قَرينِ (٣)

بذى لِبدٍ يصدُّ الأَلفُ عنه ... ولا تؤتى فريسته لحِينِ (٤)

عذَلْتُ البُزْلَ إذ هي خاطرتني ... فما بالى وبالُ ابنى لَبُونِ

وماذا يدّرى الشعراءُ منى ... وقد جاوزتُ حدَّ الأَربعين(٥)

أَخو خمسين مجتمعاً أَشُدّى ... ونجَّذنى مداورةُ الشؤونِ

كريمُ الخال من سلفى رياحٍ ... كنصل السيفِ وضَّاحُ الجبينِ

فإنَّ قناتنا مشظٌ شظاها ... شديدٌ مدُّها عُنُقُ القرينِ

سأَحيى ما حييت وإن ظهرى ... لمسْتَنِدٌ إلى نَضَدٍ أَمِينِ

---

(١) سحيم بن وثيل من بنى رياح من تميم شاعر مخضرم معمر عاش أربعين سنة فى الجاهلية و ٦٠ سنة فى الاسلام. أقام بالكوفة وتبارى هو وغالب بن صعصعة فى نحر النوق لا طعام قومهما من بنى تميم فى مجاعة آ ات بالناس : راجع الأصمعيات ص ١٦ .

(٢) تختلف رواية هذا البيت فى الأصمعيات ففيها : « إن بداهتى وجراء حولى » و « لذو شق على الصرع الظنون » .

(٣) الغب أن تشرب الابل يوما ثم تترك يوما .

(٤) رواية الأصمعيات « يصد الركب عنه » .

(٥) يدرى : يختل ، والادراء الختل أى كبرت وتحنكت .

العلالة : الجرى بعد الجرى ، والجراء : المجاراة ، والشق : المشقة والضرع : الضعيف الغمر ، والظنون : الذى لا يوثق بما عنده . وابن جلا على الحكاية كقولك : جلا الأمر أى انكشف ، ورياح : آبوهم والعرين : أكمة الأسد . ويقال للشيخ إذا جرب واحتنك منجذ ، ومداودة : مزاولة ، والمشظ : الخشن الشديد ، والشظا ما تشظى منها أى تكسر .

* هجا الأحوص بن محمد الأنصارى رجلا من الأنصار يقال له ابن بشر ، وكان كثير المال ، فخرج حتى قدم على الفرزدق ، فأهدى إليه وألطفه ، فقال له : ما أقدمك ؟ قال : مستجيراً بالله ثم بك رجل هجانى . قال : قد أجارك الله عنه . ألست من الأنصار ؟ . قال : بلى . قال : فأين الأحوص منك ؟ . قال : هو الذى هجانى . فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال : أليس هو الذى يقول :

ألا قف برسم الدارِ واستنطق الّرسْما فقد هاجَ أحزانى وذكّرنى نُعْمى

قال : بلى . قال : ماكنت لأهجو رجلا هذا شعره . فخرج الأنصارى ، فأتى جريراً بهدايا أخر . فقال : ما أقدمك ؟ . قال : جئت مستجيرا بالله ثم بك من رجل هجانى قال : قد أجارك الله وكفاك . أين أنت من ابن عمك الأحوص بن محمد ؟ . قال : هو الذى هجانى فأطرق ساعة وقال : أليس الذى يقول :

تمشّى بِشَتْمِى فى أكاريس ملكه يُسيُّ به كالكلب إذ يَنْبَحُ النّجما

قال : بلى . قال : والله لا أهجو شاعراً هذا شعره . قال : فاشترى من تلك الهدايا وأتى الأحوص ، فأهداها إليه وصالحه .

* قال أبو عبيدة : قيل لبنى كليب رهط جرير : ما أشد ما هجيتم به ؟ . قالوا : قول البعيث : (١)

---

(١) العمدة لابن رشيق : « وقيل لكليب : ما أشد ما هجيتم به ؟ . قالوا : قول البعيث : (البيت) » . ٢/٢٧٥ بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

أَلسْتَ كليبًّا كلما سيم خطَّــةً أقَــرَّ كإقــرار الحَليلــةِ لِلْبَعْلِ
وكلُّ كليبِيٍّ صحيفــةُ وجهِهِ أَذلُّ لأَقْــدامِ الرجالِ من النعلِ

وقال آخر :

عرفت الشرَّ لا للشر لكن لتوقِّيه ومن لا يعرفْ الشر من الناس يَقعْ فيه

وقال العباس بن الوليد بن عبد الملك لمسلمة عمه : (١)

أَلا يغنى الحيـــاءُ أَبا سعيـــدٍ ويقصر عن ملاحـــاتى وَعــذْلِى
فلولاَ أَن أَصلك حين يُنْمَى وفــرعك منتهى فــرعى وأَصلى
وأَنى إِن رميتُك هيض عظمى ونالتنى إِذا نالتك نَبْـــــلِى
لقد انكرتنى إِنْــكـار خــوفٍ يضمّ حشاك عن شمى وأَكـــلى
كقولِ المـرءِ عمرو فى القوافى وقيسٍ حين خالف كل عدل
عذيرك من خليلك مـن مراد أُريــد حياتــه ويريــد قتـــلى

أخذ قوله :

وإِنى إِن رميتك . . . .

من قول الحارث بن وعلة : (٢)

قومى هُمُ قتلوا أُميمَ أَخـــى فإِذا رميتُ أَصابـــنى سَهْمِى
فلئِن عفوتُ لأَعفونْ جـلَلاً ولئِن سطوتُ لأُوهنــن عَظمــى

ومثله لقيس بن زهير العبسى : (٣)

---

(٢) الحارث بن وعلة الجرمى شاعر جاهلى كان أبوه من فرسان قضاعة ، والبيتان فى الحماسة ١/٦٤ والتذكرة السعدية ص ٩٢

(٣) قيس بن زهير سيد بنى عبس وصاحب داحس . وهذه الأبيات قالها يوم جفر الهباءة والبيتان فى الحماسة ١/٦٤ وفى التذكرة السعدية ص ٩٠

أَلسْتَ كليبًا كلما سيم خطَّـةً   أَقَـرَّ كإِقـرار الحَليلـةِ لِلْبَعْلِ
وكلٌّ كليبِىٍّ صحيفـةُ وجههِ   أذلٌّ لأَقْـدامِ الرجالِ من النعلِ

وقال آخر :

عرفت الشرَّ لا للشر لكن لتوقِّيه   ومن لا يعرفُ الشر من الناس يَقعْ فيه

وقال العباس بن الوليد بن عبد الملك لمسلمة عمه : (١)

أَلا يغْنى الحيـاءُ أَبا سعيـدٍ   ويقصر عن ملاحـاتى وَعـذْلِى
فلولاَ أَن أَصلك حين يُنْمَى   وفـرعك منتهى فـرعى وأَصلى
وأَنى إن رميتُك هيض عظمى   ونالتنى إذا نالتك نَبْـلِى
لقد انكرتنى إنْـكـار خـوفٍ   يضمّ حشاك عن شمى وأَكـلى
كقولِ المرءِ عمرو فى القوافى   وقيسٍ حين حالف كل عدل
عذيرك من خليلك من مراد   أُريـد حياتـه ويريـد قتـلى

أخذ قوله :

وإنى إن رميتك . . . .

من قول الحارث بن وعلة : (٢)

قومى هُمُ قتلوا أَميمَ أَخـى   فإِذا رميتُ أَصابـنى سَهْمِى
فلئِن عفوتُ لأَعفونْ جـلَلاً   ولئِن سطوتُ لأَوهنـن عَظمـى

ومثله لقيس بن زهير العبسى : (٣)

---

(٢) الحارث بن وعاة الجرمى شاعر جاهلى كان أبوه من فرسان قضاعة ، والبيتان فى الحماسة ١/٦٤ والتذكرة السعدية ص ٩٢

(٣) قيس بن زهير سيد بنى عبس وصاحب داحس . وهذه الأبيات قالها يوم جفر الهباءة والبيتان فى الحماسة ١ / ٦٤ وفى التذكرة السعدية ص ٩٠

شفيت النفس من حمل بن بدرٍ وسيفى من حذيفة قد شفانى

فإنْ أكُ قد شفيتُ بهم غليلى فلم أقطع بهم إلا بنانىِ

* وعمرو الذى ذكر هو عمرو بن معدى كرب الزبيدى ، وقيس بن مصوح المرادى ،وكانا متباغضين فى الإسلام يناقض بعضهما بعضا . وكان على بن أبى طالب يتمثل ببيت عمرو الذى ضمنه العباس وهو :

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مرادِ

كلما أبصر ابن ملجم .

باب
من الأنفة عن السؤال بالشعر

الشاعر عند العرب أفضل من الخطيب ، وكانت تهنأ بالشاعر إذا نبغ ، إلا أن المحدثين أخرجوه عن جده ، وجعلوه مكتسبا حتى قالوا : الشعر أدنى مروة السرى ، وأسرى مروة الدنى . وكانت العرب تأنف عن الطلب بالشعر . قال شاعرهم :

وإنى لأَستبقى إذا العُسْرُ مسَّنِى بشاشةَ وجهى حين تبلى المنـافِعُ
فاعفى قِرى قومى ولـو شئْت نوّلوا إذا ما تشكى الملحف المتصادع
مخافة أَن أُخْلِى إذا جئت زائرا ويرجعنى نحو الرجال المطامِعُ
فاسمع منَّا أَو أَشـرِّف مُرْغمًا وكل مصادى نعمـة متواضِعُ

وقال :

وإِنى امرؤ لا أَسأَل الناس مالَهم بشعرى ولا تعيى عـلىَّ المكاسِبُ

وقال عبيد :

من يسأَل الناس يحـرمـوهُ وسائـل الله لا يخيبُ

ومدح ابن ميادة أبا جعفر المنصور وقال : (١)

فوجدت حين لقيت أَيمن طائرٍ ووليت حين وليت بالإصـلاح

---

(١) العمدة ٨٣/١ وروى الخبر بتصرف

وعفوت عن كسْرِ الجناح ولم يكن لِتطيرَ ناهضةٌ بغير جنــــاح
قومٌ إذا جُلِبَ الثَّناءُ إليهمُ بِيعَ الثناءُ هُنَاكَ بالأَربــــاح

وعزم على الرحلة إليه، فأتاه راعىَ إبله بلبن فشرب منه شربة ثم مسح على بطنه فقال : سبحان الله أأفد على أمير المؤمنين وهذه الشربة تكفينى ؟! ، فرجع ولم يأته .

* وبعث أبو عبيدالله الوزير إلى عبدالله بن مصعب بن ثابت بن الزبير بألفى دينار صلة وعشرين ثوبا ، فلم يقبلها ، وكتب إليه : أصلحك الله ، وأمتع بك ، ما لسيبك وامتناحك أحببناك ، ولا لأستقلال ما بعثت به الينا والتسخط له كان ردنا إياه عليك ، ولكنا أحببناك وودناك وشكرناك لفضلك ونبلك . وقسم الله لك فى رأيك ومعرفتك ورعايتك حق ذوى الحقوق .

وقال عبدالله بن مصعب للمهدى أمير المؤمنين :

يا ابن الذى ورث النبيَّ محمداً فله تراث محمــد لم ينكــر
إنى عقدت ذمام حبلى معصمًا بحبــــال ودّك عقــدةَ المتخيرّ
يوم المدينة عنــد قبر محمــدٍ وقبابِه ومقـــامـــه والمنبـرِ
فأَخذت منك بذمةٍ محفوظـةٍ من فاز منك بمثلهــا لم يُحْقَرِ
وأَراك تصطنع الرجال ولم أَكن دون امــرىءٍ قدمتـــه بمؤخرِ
فهل انت متخذى لنفسك جُنَّةً وعلىَّ عهــدُ الله إن لم أَشكـــرِ
ولقد صبرت لسوءةٍ صادفتهــا ممــن يلاقينى بخـــدٍّ أَصْعَرِ
لمــا رأوك جفوتــــنى فتركتنى إن آت أُقصى أَوْ أَغبْ لاأُذكر
إنى إذا بلــغَ العــدوّ حَمِيَّــتى برَّزت أَمشى مشية المتبختـرِ
ريمُوا العــداوة صاغرين وحاذروا صولاتِ ذى لُبدٍ هزبرٍ مُخْدرِ

فأقبل عليه المهدى ، وأعطاه حكمه فقال :

يا أمين الله فى الشرق والغـرب ... علينا ويا ابن عمِّ الـــرســـول
إنّ حكمى عليك تفديك نفسى ... وكثيرى واسرتى وقليـــلى
مجلسى بالعشىّ عندك فى الميدا ... ن والإذن منك لِى فى الــدخولِ
ليس شيءٌ من الأمـــور وإن ... كان عظيماً عندى له تَعدْيـلُ

فأجابه لذلك فجعله من جلسائه ، وأصاب أموالا عظيمة . وارتفعت حاله

• ومن جميل السؤال ، ولطيف التقاضى قول أمية بن أبى الصلت الثقفى وكانت له حاجة عند عبدالله بن جدعان ، فتقاضاه بقوله :

أأذكر حاجتى أم قــد كفانى ... حياؤك إنَّ شيمتك الحيـــاءُ
وعلمك بالحقوق وأنت فـرع ... لك الحسب المهـــذَّبُ والسَّناءُ
وأرضك أرضُ مكرمةٍ بنَتْها ... بنوتيم وأنت لهـــا سَمَـــاءُ
إذا أثنى عليك المــرءُ يــوماً ... كفاهُ مـــن تعـــرّضِه الثناءُ

وهذا ألطف تقاض ، وأشرف مدح .

• وقال آخر :

لسانى وقلبى شاعـران كلاهُما ... ولكنَّ وجهى مُفْحَمٌ غير شاعرِ
فلو كان وجهى شاعِراً كسب الغنى ... ولكن وجهى مثل وجه ابن طاهر
فتى يتّقِي أن يخدشَ اللؤم عرضه ... ولا يتّقِى حَدَّ السيـــوف البواتِرِ

• ويقال عن جميل بثينة بن معمر العذرى إنه ما مدح أحداً قط أنفة ، وصحب الوليد بن عبدالملك فى بعض سفره ، والوليد على نجيب فزجربه ابن العذرى ، فقال : (١)

---

(١) أورده ابن رشيق فى العمدة مع تصرف فى رواية الخبر ١ / ٨٤

يا بكر هل تعلم من علاكـا　　خليفـة الله عَـلاَ ذُراكـا

فقال الوليد لجميل : انزل فازجر ، وظنه يمدحه ، فقال :

أنَا جميلٌ فى السَّنام من مَعَدْ　　فى الذِّروةِ العَليـاءِ والرّكنِ الأشدْ

وأخذ فى مدح نفسه وقومه . فقال : اركب لا حماك الله .

وعامة قضاعة لا يزعمون أنهم من معد ، وإنما ينسبون فى قحطان . وجميل عذرى من قضاعة ، يزعم أنه من معد كما ترى ، وكذلك يقول نسابو ربيعة ومضر. يقولون قضاعة من معد بن عدنان ، وبقضاعة كان يكنى معد . قال الزبير بن بكار : وعلماء قضاعة يرون أنهم من معد ، والشعراء منهم كذلك مثل جميل والقطامى والكميت بن زيد ، وابراهيم بن هرمة . قال جميل :

واى معدّ كان فَىْءَ رمـاحه كما　　قَدْ أفاْءنَا والمفـاخـر منصفُ
ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا　　وإن نحن أومأنا إلى الناسِ وقفوا
تُحِبُّ العذارى البيضُ ظل لوائنا　　إذا ما دعانا الصارخُ المتَلَهِّفُ
وكنّا إذا ما معشرٌ أجحفوا بنا　　ومرت جوارى طيفهم وتعيَّفُوا
وضعنا لهم صاعَ القَصَاصِ رهينةً　　وسوف نوفِّيها إذا الناسُ طَفَّفُوا
برزنا وأصحرنا لكل قبيـلةٍ　　بأسْيافنا إذ يُؤْكل المتضَعَّفُ
ونحن حمينا يوم مكـةَ بالقنا　　قُصَيًّا وأطرافُ القنا متقصِّفُ
فحطنا بها أكناف مكةَ بعدما　　أرادت بها ما قد أبى اللهُ خِنْدِفُ

لما سمع الفرزدق قوله :

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا . . . البيت .

حسده الفرزدق ، وقال له : تجاف لى عنه ، فأنا أحق به منك . متى كان الملك فى عذرة؟، إنما هو لمضر ، وأنا شاعرها . فهى تزوى للفرزدق . (١)

* سمع الفرزدق الشمردل بن شريك اليربوعى يقول : (٢)

فما بين من لم يعط سمعًا وطاعةً　　وبين تميم غير حـــــزّ الحلاقِم

فقال له : أنا أحق به منك ، لتدعنه أو لتدعن عرضك . فقال : خذه لا بارك الله لك فيه .

* وقال ذو الرمة للفرزدق : لقد قلت أبياتا إن لها لمعنى بعيداً . قال : ماهى؟ قال : (٣)

أَحين أعاذت بى تميمٌ نساءَهـا　　وجُرِّدت تجريد الحسام من الغِمْدِ

ومدت بضبعىَّ الربابُ ومالك　　وعمرو وسَارَتْ مِن ورائى بنوسَعْد

ومن آل يربوع زهـــاءٌ كأنـه　　دُجَى الليل محمود النكايةِ والرقد

قال الفزرق : لا تعودن فيها ، وأنا أحق بها منك . فقال لا أنشدها أبدا إلا لك . فهى فى شعر الفرزدق .

* زعموا أن ذا الرمة مر بجرير فقال : يا أبا غيلان أنشدنى ما قلت فى هشام المرى . فأنشد : (٤)

---

(١) أورد ابن رشيق البيت : « ترى الناس ما سرنا ... » من شواهد الاغارة فى السرقات فقال : والاغارة أن يضع الشاعر بيتا ... إلخ كما فعل الفرزدق بجميل وقد سمعه ينشد البيت .

(٢) العمدة لابن رشيق وجعله من الغصب فى السرقة ٢/٢٨٥

(٣) أورده ابن رشيق فى الغصب أيضا مع تصرف فى الخبر : « قال الفرزدق : إياك وإياها . لا تعودن إليها ، وأنا أحق بها منك . قال : والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبدا إلا لك » العمدة ٢/٢٨٥

(٤) أورده ابن رشيق فى « المرافدة » من أقسام السرقات ، وقال : « وأما المرافدة فأن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له ، كما قال جرير لذى الرمة : أنشدنى ما قلت لهشام المرى فأنشده قصيدته »

نَبتْ عيناك عن طللٍ بحُزوى   محتْهُ الرِّيحُ وامتَنحَ القِطَارا (١)

فقال له : ألا أعينك ؟ . قال بلى . قال : قل له : (٢)

يَعُدُّ النَّاسِبُونَ إلى تميمٍ   بيوتَ المجد أربعةً كِبارًا

يعدُّون الرِّبابَ وآل سَعْدٍ   وعمراً ، ثم حنظلةَ الخيارا

ويهلك بينها المرئىّ لغواً   كما ألغيت فى الدية الحوارا

ثم مر بالفرزدق فأنشده هذه الأبيات ، فقال له : لقد علكهن أشد لحيين منك .

* وقد روى محمد بن سلام (الجمحى) أن جميلا مدح عبدالعزيز بن مروان فقال : (٣)

أمين الصدق يحفظ من تولى   بما يكفى القوىُّ به النبيلُ

أيا مروان أنت فتى قريش   وكهلُهُم إذا عُدَّ الكهولُ

تُوليِّهِ العَشيرةُ ما عَناهَا   فَلا ضيّقُ الذّراع ولا بخيلُ

إليك تشير أيديهم إذا ما   رَضُوا أو غالهم أمرٌ جليلُ

كلا يوميه بالمعروف طلقٌ   وكل بلائه حسنٌ جميلُ(٤)

---

(١) الأبيات فى مطلع قصيدة لذى الرمة من ديوانه ص ٢٧٣ رقم ٢٧ طبع المكتب الاسلامى .

(٢) الأبيات من رقم ١٧ – ١٩ بالقصيدة ديوانه ص ٢٧٦ ، ورواية الأول : « بيوت العز » ورواية الثانى « يعدون الرباب لهم وعمرا » ، ورواية العمدة مطابقة للأصل هنا :

(٣) الطبقات ٢/٦٧٣ وأورد ابن رشيق الخبر مع ثلاثة من هذه الأبيات من قوله : « أبا مروان ... » العمدة ١/٨٤ :

(٤) رواية الطبقات : « وكل فعاله حسن جميل » ، ورواية ابن رشيق متفقة مع الأصل :

نمابكَ فى الذؤابة من قريش بناةُ المجدُ والعزُّ الأثيلُ
أرُومٌ ثابتٌ يهتزُّ فيه بأكرمِ منبتٍ فرعٌ طويلُ

* ويقال إن رجلا من عذرة يقال له جواب وكان ابن بلويه ، وكان شاعراً وكان جميل بن عبدالله أمه جذامية ، فخرج جميل فى أخواله من جذام وهو يقول :

جذامُ سيوف الله فى كل موطنٍ إذا ماأزمَتْ يوم اللقاء أزام
همُ وسعوا ما بين مصر فذى القرى إلى الشام من حِلٍّ به وحرام
بِضَربٍ يُزيلُ الهامَ عن سكناته وطعنٍ كانزاع المخاض تؤام
إذا قصَّرتْ يوماً أكفٌّ قبيلةٍ عن المجد نالته أكُفٌّ جُذام

فأعطوه مائة بكرة ، وخرج جواب فى أخواله بلى وقال :

إن بليًّا غرةٌ يهتدى بها كما يهتدى السارى بمطَّلعِ النجْمِ
هم وَلدْوا أمى وكنت ابن أختهم ولم أتخول جذم قوم ٍ بِلاَ عِلْمِ

فأعطوه مائة غرة ما بين فرس إلى وليدة ففخر على صاحبه .

وذكروا أن الغرة الواحدة مما معه تعدل كل شئ مما أتى به جميل .

* قال محمد بن سلام : قام روح بن زنباع الجذامى فى يوم جمعة إلى يزيد ابن معاوية حين فصل بين الخطبتين فقال : يا أمير المؤمنين ألحقنا باخواننا ، فانا قوم معديون .

قال يزيد : إن اجتمع على ذلك قومك فعلناه . فقال عدى بن الرقا العاملى . وعاملة من قضاعة لما بلغه ذاك :

إنا رضينا وإن عانت جماعتنا ما قال سيدنا روح بن زنباع

فبلغ ذلك ثابت بن قيس ، فجاء حتى دخل المقصورة فقال : أين الغادر الكاذب روح بن زنباع ؟ ثم قال : يا أمير المؤمنين زعم روح أنه من معد ، وليس نعرف ذلك ، ولكنا من قحطان يسعنا ما يسع قحطان .، ويعجزنا ما يعجزهم . فبلغ ذلك ابن الرقاع فقال :

قحطان والدنا الذى نُدعى له ... وأبو خزيمة خندفُ بن نزارِ

أنبيع والدنا الذى ندعى له ... بأبي معاشر غائب متوارى

أظلال ليل ساقط أكنافه ... فى الناس أعذر أم ظلالُ نهارِ

ونسابو مضر يزعمون أن جذام بن أسد بن خزيمة . ويقال إن قضاعة بن معد أكبر من ربيعة ومضر عدداً ، وأن كلب بن وبرة بسماوة كلب تربى على قيس وخندف فى البدو والحضر . وقال ذو الشامة ، وهو المثلم الكلبى :

أبيتُم أن تكونوا من نزارٍ ... وخيرُ الناس كلِّهُم نزارُ

وربيتم عجوزكم وكانت ... حصانا لا يُحلُّ لها إزارُ

حصان لو تلمسها يمانٌ ... للاقى مثل ما لاقى يسارُ

وقال القطامى واسمه عمر بن شييم التغلبى :

أكلبُ هلمَّ نحو بنى أبيكم ... ودَعْوَى الزورِ منقَصةٌ وعارُ

وقد علمت كهولُهم القدامىَ ... إذا قَعَدُوا كأنَّهم النسَّارُ

بأنَّ قُضاعةَ الأُولَى معدٌّ ... لقوم لا تَغُطُّ له البكارُ

---

(١) ديوان القطامى : من قصيدة طويلة يمدح عبد الملك بن مروان مطلعها :

أمن طرب بكيت وذكر أهل ... وللطرب المتاح لك إدكار

ص ١٣٧ القصيدة رقم ٢٢ بتحقيق إبراهيم السامرائى وأحمد مطلوب دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦٠

قضاعةُ كانَ جزءاً من معدّ ... فحظهم المَعَائبُ والسرارُ (١)

فإن تعزلْ قُضاعةُ عن مَعـدٍّ ... نَصِرْ تبعاً وللتّبعِ الصَّغَارُ (٢)

ومن يَكُ يومَ دعْوتهِ غريباً ... يخنْهُ من جناحَيْهِ انكِسَارُ (٣)

ونصرُ ذَوِى الأَباعِدِ مِنكَ وثبٌ ... وأحشاءُ ابنِ عَمِّكَ تُستَطَارُ

وقلتُ لِذِى الكُلاَعِ وَذِى رُعَينٍ ... أَحقٌّ قول حمير أَم جوارُ

تداعيهم قَضاعةُ بعدَ دهرٍ ... وفى الدَّهرِ التقلُّبُ والغيَارُ (٤)

ونسابو نزار يجعلون أهل اليمن من ولد إسماعيل . وقال يعقوب بن السكيت إن كندة ولد قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبْت بن اسماعيل (٥) . وقال المبرد : قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد نذرت أن تعتق قوماً من ولد اسماعيل فسبي قوم من (بني) العنبر فقال إن سرك أن تعتقي العميم من ولد اسماعيل فا عتقي هؤلاء .

وقال بعض النسابين إن بنى العنبر من قضاعة ، وقضاعة من معد .

---

(١) رواية الديوان :
قضاعة كان حزبا من معد ... تصر تبعا وللتبع الصغـار
ويبن أن رواية الأصل أصح وأليق بتآلف شطرى البيت فى المعنى :

(٢) ويبدو أن البيت الثانى سقط فى رواية الديوان وألحق شطره الثانى بشطر البيت الأول .

(٣) يردفى الديوان بعد سابقه ببيتين .

(٤) رواية الديوان « تدعيهم » :: وهذا البيت وسابقه يردان فى الديوان بعد أبيات مما قبلها .

(٥) فى قلائد الجمان الهميسع بن أبين بن نيت بن إسماعيل ص ٣٦ وفى العبر الهميسع بن أبين بن قدار ين نبت بن إسماعيل

ومن زعم أن قضاعة ابن مالك بن حمير فهو الحق (١) . قال : فالنسب الصحيح فى قحطان الرجوع إلى إسماعيل وهو الحق ، وقول المبرزين من العلماء : وإنما العرب المتقدمة من أولاد عابر ورهطه عاد وطسم وجديس وجرهم والعماليق . فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الهميسع بن نبت بن قندر (٢) بن اسماعيل .

---

(١) نقل القلقشندى عن الجوهرى أن قضاعة هو قضاعة بن مالك بن حمير ، و قال أبو عبيد : قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير (قلائد الجمان ٤١) وذهب بعض النسابين إلى أن قضاعة من عدنان دون قحطان ؛ وقال هو قضاعة بن معد بن عدنان

(٢) هكذا فى الأصل ويرد أحيانا قدار

باب

فيمن نوه به المدح وحطه الهجـاء ، وأنف من اللقب ورغب الاسم الى اللقب

قال أبو عبيدة : كان الرجل من بنى نمير إذا قيل له : ممن الرجل ؟ . فقال من بنى نمير بن عامر كما ترى ! — فما هو إلا أن قال جرير : (١)

فغُضَّ الطرف إنك من نُميرٍ ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

صار الرجل من بنى نمير إذا قيل له ممن أنت قال : من بنى عامر .

وكان الرجل من بنى أنف الناقة إذا قيل له ممن الرجل قال : من بنى قريع ، ويأنف من بنى أنف الناقة ، فما هو إلا أن قال الحطيئة :

سيرى أمام فإن الأكرمين حصاً ... والأطيبين إذا ما يُنْسَبُونَ أبا

قومٌ هم الأَنْفُ والأذنابُ غيرهم ... ومن يساوى بأنف الناقة الذَّنَبا

صار الرجل منهم إذا قيل له ممن أنت ؟ قال : من بنى أنف الناقة . واسم أنف الناقة جعفر بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

وقال جرير :

اذَا جلَستْ نساءُ بنى نُميرٍ ... علىِ تِبراكَ خَبَّثت التُّرابَا

---

(١) العمدة ١/٥٠ قال ابن رشيق : « وممن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبه وسقط عن رتبته وعيب بفضيلته بنو نمير » وكانوا جمرة من جمرات العرب ، إذا سئل أحدهم : ممن الرجل ؟ فخم لفظه ومد صوته وقال : من بنى نمير ، إلى أن صنع جرير قصيدته .. إلخ »

تبراك : ماء لبني نمير ، وهي مسبة لايكاد أحد يذكرها لمكان بيت جرير . إذا قيل لأحدهم أين تنزل ؟ قال : على ماء ،ولم يقل تبراك . وتبراك ماء لبني العنبر .

• وكانت بنو فزارة تعاب بشعر القفا فيخزون من ذلك . قال الحارث بن ظالم المرى وادعى فى بنى عامر بن لؤى من قريش :

فما قومى بثعلبة بن سعدٍ ولابفزارة الشُّعْرَى الرِّقابا
وقومى إن سألت بنى لؤىٍّ بمكة علَّموا الناسَ الضِّرابا

وكانت بنو فزارة تأنف من هذا الاسم حتى مدحهم مزرد به فقال :

منيح بين ثعلبة بن سعدٍ وبين فزارة الشُّعرى الرقاب
فما قد كان بيتهما بنكسٍ لعمرك فى الخطوب ولابكاب

فصار ذلك مدحاً لهم كأنهم شبهوا بالأسود لمكان زبرة الأسد واكليله فرضوا بذلك . والعربى إذا نفى من نسب إلى نسب غيره فيرضى معروف لم ينكر ذلك ورضي ومدحه وحسنه .

وكان حارثة بن بدر الغدانى حول ديوانه إلى قريش ، وترك قومه فقال خندف . (١)

شهدت بأن حارثة بن بدرٍ غدانِيّ اللهازِم والكلام
وسجحة فى كتاب الله أولَى به من حارثٍ وابنى هشامِ

سجحة يعنى سجاح المتنبئة ، وحارث وابنا هشام يعنى بنى مخزوم .

• وكان رهط الزبرقان بن بدر يخلجون إلى بنى كعب بن يشكر ، فقال الزبرقان : (٢)

---

(١) حارثة بن بدر الغدانى من بنى اليربوع قوم سجاح المتنبئة — وفى هامش الطبقات أن قائل البيتين رجل من كاب ه

(٢) طبقات ابن الاسلام ١/١٢٠

فإن أكُ من كعب بن سعدٍ فإننى رضيت بهم من حىّ صدقٍ ووالِد
وإن يك من كعب بن يَشكر منصبى فإن أبانا عامر ذو مجاسِـــدِ

وكان الحطيئة ينمى إلى بنى ذهل ، فقال : (١)

إنَّ اليمامة خـير ساكِنهـا أهـل القُريَّة من بنى ذُهْلِ

* وقال مزرد (٢) لكعب بن زهير (٣) :

فلست كحسان الحسام بن ثابت ولست كشماخٍ ولا كمنخّلِ
وأنتَ امرؤٌ مِن آل قُدْسٍ وآرةٍ أَحَلتَّك عبدالله أكناف مُبْهلِ (٤)

* قال محمد بن سلام البصرى : أخبرنى بعض أهل العلم أن بنى أبى سلمى عندهم (٥) بالبادية من بنى عبدالله بن غطفان . ولم يثبت أحد ممن عزى إلى قبيلة غير آل أبى سلمى ، فانهم ثبتوا فى مزينة إلى يومهم هذا ، فنماهم مزرد بن عبد الله بن غطفان إلى مزينة بأن قدس وآرة منازل مزينة ، فثبت كعب نفسه أنه من مزينة . فقال كعب يجيب مزرداً : (٦)

---

(١) البيتان فى طبقات ابن سلام ١/١٠٩ ط محمود شاكر ورواية البيت الثانى « ذو المحاسد » .
(٢) هو مزرد بن ضرار ، واسمه يزيد ، أخو الشماخ
(٣) يهجو كعبا ويعرض به ، رواها ابن سلام ثلاثة أبيات ، ولم يذكر المؤلف البيت الأول — طبقات فحول الشعراء ط محمود شاكر ١/١٠٦ — ١٠٧ ورواية البيت الأول عند ابن سلام ولا كالمخبل يعنى المخبل السعدى .
(٤) فى الأصل قدس وآرة ، وحولها خلاف فى ضبطهما ، فقدس جبل لمزينة ، وآرة جبل لجهينة ، وهما بين حرة بنى سليم والمدينة . ومبهل جبل لغطفان .
(٥) الفقرة فى طبقاته ص ١٠٩ على خلاف فى اللفظ
(٦) القصيدة فى شرح ديوان كعب بن زهير للسكرى ص ٦١ نشر الدار القومية ١٩٦٠ .

أتعرفُ رسْماً بين رَهْمانَ فالرَّقَمْ ... إلى ذى مراهيطَ كما خُطَّ بالقَلَمْ
عفتهُ رياحُ الصَّيف بعدى بمَوْرها ... وأنديةُ الجوْزَاءِ بالوَبْلِ والدِّيَمْ

يقول فيها :

ألا أبْلِغَا هذا المعرِّضَ أنَّهُ ... أيقظانَ قالَ القولَ أم قالَ أو حلَمْ(١)
أنا ابن الذى قد عاش تسعين حِجةً ... لمْ يُخْزَ يوماً فى مَعَدٍّ ولم يُلَمْ
وأكرمه الأكفاءُ من كلِّ معشرٍ ... كرامٍ ، فإن كذَّبْتَنى فسَلْ الأُمَمْ
أنا ابن الذى لم يُخْزنِى فى حياته ... ولمْ أُخْزِه حتى تغيَّب فى الرَّجَمْ
فأشبهته من بين مَنْ وَطِئَ الحصَى ... ولم ينتزعنى شبهُ خالٍ ولا ابن عم
أعيرّتنى عزًّا عزيزاً ومعشرا ... كراماً بَنَوْا للمجْدِ فى باذخ أشَمّ(٢)
هم الأصلُ منى حيث كنت وإننى ... من المزنيِّين المصَفَّيْنَ بالكرَمْ
هم ضربوكم حين جرتُمْ عن الهُدَى ... بأسيافهم حتى استقمتم على القيم
فسَاقَتْكَ منهم عُصْبةٌ خِنْدِفِيَّةٌ ... فلاَلَك فيها قيدُ كفٍّ ولا قدم (٣)
وهم منعُوا حَزْنَ الحجاز وسهلَهُ ... قديماً وهم أجْلُوا أباك عن الحرم

وكان أوس بن حجر الأسدى أنتمى إلى طىء فعيرته امرأته فقال :

غَضِبتِ على أنِّى اتصلتُ بِطيءٍ ... وأنا امرؤ من طيءٍ الأجبال
وإذا دعوتُ بنى جَديلةَ جاءَنى ... مُرْدٌ على جُردِ المتُونِ طوالِ

---

(١) رواية ابن سلام « إذ قال أو حلم » ورواية الديوان « إذ قال أم حلم »

(٢) رواية ابن سلام « بنوا لى المجد فى باذخ » ورواية الديوان « بنوا لى المجد »

(٣) « وساقتك منهم » و « فمالك فيهم ... » رواية الديوان

• وقال بشر بن مروان لزفر بن الحارث الكلابى : ما رأيت غلاماً قط يحوط من ليس منه ويضع من هو منه إلا أنت ، فانك رجل من كندة . فقال زفر :

فنحن بنو وهب كما قد زعمتُم برئنا إليكم من كلابٍ ومن كعب

أنجعل اخلاقا عليها عباؤنـــا ككندة ترديف المطارِفِ والعصْبِ

أولئك أهل المجد إن كنت فيهم وفى هؤلاءِ من سوقةٍ سرف حسبِ

• فأما من وضعه الشعر من القبائل وقصر به حتى صار مثلا ، وإن كان فيهم خير كثير ، وشرف وفرسان . فعاملة ، وغنى ، وعكل ، وسلول ، ومحارب وجشم ، وتيم ، والحبطات من عمرو بن تميم الذى قال فيهم الشاعر :

رأيت الخمر من شرّ المطايا كما الحبطاتُ شرُّ بنى تميم

* وروى أن الفرزدق بلغه أن رجلا من الحبطات خطب امرأة من بنى دارم فقال : (١)

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع وتخْطِبُ فى أكفائِها الحبِطاتُ

فقال رجل من الحبطات يجيبه :

أما كان عبّادٌ كفيًّا لدارم بلى ولأبياتٍ بها الحجراتُ

عباد بن الحصين الحبطى . وكان شريفاً وأبنه المسور . وقال الحسن : ما ظننت رجلا يعد بألف فارس حتى رأيت عبادا ليلة كابل . والحبط هو الحارث بن عمرو بن تميم . وقيل له الحبط لعظم بطنه . وكان عباد صاحب شرطة الحارث بن عبدالله بن أبى ربيعة المخزومى إذ كان على البصرة من قبل عبد الله بن الزبير .

---

(١) ديوان الفرزدق ١/٢٦ ، وروايته « بنو مسمع أكفاؤهم آل دارم وتنكح فى اكفائها : : »

قال الفرزدق : (١)

وقالوا لعبادٍ أَغِثْنا وقد رَأَوْا ... شآبيبَ موتٍ يُقْطِرُ السَّم وابلُهْ

وما عند عبادٍ لَهم من كريهةٍ ... روَاحٌ إذاما الشَّرُّ عَمت رواحِلُهْ (٢)

أتحسب قلبي خارجاً من حجابِه ... إذا دُفُّ عبَّادٍ أَرنَّتْ جلا جِلُهْ (٣)

أفي قَمَلٍّ من كليب هجــوتُــه ... أَبو جَهْضم تغلي عليَّ مراجِلُهْ

فقبلك ما أعييت كَاسِرَ عَينه ... زياداً ، فلم تقدِرْ عليَّ حبَائلُهْ

فأَقسمتُ لا آتيه تَسعين حِجَّةً ... ولو كُسِرَت عينُ القُبَاعِ وكَاهِلُه

أبو جهضم: عباد ، وكانت بنو طيب أستعانت به من هجاء الفرزدق ، والقباع الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة ، وكاسر عينه زياد بن أبي سفيان وكان أحول ، فطلب الفرزدق ، فأعجزه ، وهرب من البصرة إلى الكوفة فطلبه بالكوفة فهرب إلى المدينة ، فاستجار بسعيد بن العاص ، فلم يزل بالمدينة حتى مات زياد :

* وقال رجل : ما رأيت رجلا بين يدى زياد ، وزياد كاسر عينه جاعل رجله على ركبته إلا رحمت ذلك الرجل .

* وقال آخر :

إذا تخادرتُ ومابِي من خَدَر ... ثم كسَرْتُ العينَ من غير عَوَرْ

ألفيتني آلو بعيد المستمــرّ ... أَحمل ماحملت من خير وشرّ

كالحيَّةِ الرقشاءِ في أَصل الحَجرْ

---

(١) ديوان الفرزدق ٧٤١/٢ من قصيدة فى مناقضة جرير

(٢) رواية الديوان « إذا ما الشر عمت رواحله »

(٣) في الديوان يأتي هذا البيت سابقا على الأبيات هنا بعدة أبيات

هذه الأبيات للنعمان بن المنذر يقولها فى خالد بن معاوية السعدى .

* وأما باهله بن أعصر ، فاسمه منبه ، وإنما سمى أعصر بقوله :

قالت عميرةُ مالِرأسِك بعدما   فقد الشباب أَتى بلونٍ منكر

أَعميرَ إنَّ أَباكَ غيرَّ رأسَـــهُ   مَرُّ الليالى واختلافُ الأَعْصرِ

وأعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار .

قال زيد الخيل الطائى : (١)

وخيبة من يَخيبُ على غَنِىٍّ   وباهلةَ بن أعصر والرباب

واسم غنى بن أعصر عمرو ، وكانت غنى وباهلة توالى عامر بن صعصعة فى الجاهلية بالحاجة إليهم فى الأعتصار والأنتصار بهم ، وكانت بنو عامر تحمل عنهم النوائب والديات وكذلك كانوا يشترطون عليهم فى حلف الذل والقهر . فلذلك قال معاوية بن مالك معوذ الحكماء :

رأيت الصدع من كعب وكانت   من الشنآن قد دعيت كعابـــا

سأَحملها ونغفــلها غَنِــــىٌّ   وأورثُ مجدهَا أبـداً كِلابَــا

تعوِّذُ مثلها الحكماءَ بعـــدى   إذا ما المرؤ فى الأَشياءِ نابـــا

وبهذا البيت سمى بمعوذ الحكماء . وذلك أن النعمان بن المنذر بعث لطيمة خفيرها قرة بن هبيرة القشيرى فى السنة التى هرب فيها النعمان من كسرى فاحتوى عليها ، فقالت بنو عقيل بن كعب إن هذا للملك ، فاعطونا منه بعضه ، فأبت بنو قشير فاقتتلوا ووقعت بينهم دماء ، فتراضوا بأحد بنى أم

---

(١) فى معانى الشعر لابن قتيبة ٥٧٧/١ وروايته :

« وبا هلة بن أعصـــر والركاب »

ومعناه كما روى ابن قتيبة أن من غزا فخاب فإنه يكر على غنى ويا هلة فيغنم لأنهم لا يمنعون من أرادهم كالركاب »

البنين (١) عامر أو طفيل ابني مالك ، فأتوهما وهما غازيان ، ووجدوا معاوية ، فقال : ما طلبتكم ، فاما أن أفصل وإما أن أحمل ، فتحاكموا إليه ، فحكم بينهم ثم حمل عنهم . وقال :

ساحملها ونغفلها غـــنيٌّ ...

وقال الأخطل : (٢)

شفى النفسَ قتْلَى من سُلَيْمٍ وعامرٍ ولم يَشْفِها قَتْلى غَنِيٍّ ولا جَسْرِ
ولاجُشَمٍ شَرِّ القبائلِ إنَّهـــا كبيضِ القَطا ليسُوا بسودٍ ولاحُمْرِ
ولو تبتَنِى ذُبيان بَلَّتْ رِمَاحُنَا لقرَّتْ بِهم عَيْنِى وباءَ بهم وِتْرِي

وتنافر عيينة بن حصن ، وزبان بن سيار ، فقال عيينة : أنا عيينة ، فقال زبان : أنا زبان . قال عيينة : أنا ابن حصن . قال زبان : أنا ابن سيار قال عيينة : أنا ابن حذيفة ، قال زبان : أنا ابن أبي عمرو . قال عيينة : أنا ابن بدر . قال زبان : أنا ابن جابر . قال عيينة : أنا ابن الجون .. فلما انتسب فى كنده ، ورغب عن نسبه فى فزارة قال زبان : (٣)

قرعتُ المجدَ فى غطفانَ حتَّى تفاخِرَنَا بزينةَ بنتِ بَدْرِ

يقال إن أم بدر كانت عند الجون الكندى فحملت ببدر وخلف عليها عمرو بن جونة بن لوذان ، فولدت له بدرا على فراشه ، فقال حاتم بن عبدالله لحصن بن حذيفة حين جاوره زمن النسار :

فإنَّ أباكَ الجونَ لم يكُ غادِراً ولا مِن بنى بدرٍ أبيك الغوائل

وقال الفرزدق لجرير : (٤)

---

(١) هى أم البنين بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وعمرو بن عامر هو فارس الضحياء . وولدت أبا براء ملاعب الأسنة وطفيلا فارس قرذل وربيعة ربيع المقترين ، ومعاوية معوذ الحكماء / المحبر ص ٤٥٨

(٢) ديوان الأخطل ص ١٣٢

(٣) زبان بن سيار بن عمرو بن جابر أحد بنى مازن من فزارة

(٤) ديوان الفرزدق ١/١١٣

وما استشهد الأقوام من روح حرة   من الناس إلا منك أو من محارِب

أى يأخذون عليه العهد أنه ليس من كليب ولا من محارب . ومحارب كليب بن يربوع . ومحارب بن خصفة بن قيس عيلان . وإياهم أراد ، ومحارب أيضا ابن فهر بن مالك بن النضر ، ومحارب بن عمرو بن وديعة بن عبدالقيس.

• وممن حالف على لؤم الحلف جسر بن محارب ، حالفت بنى عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ثم فى آل فارس الضحياء ، وهو عمرو بن عامر جد خداش بن زهير الشاعر على اللؤم والذلة . وخداش بن زهير الذى يقول : (١)

يا راكبا إما عرضت فبلِّغَـــنْ   عقيلاً وأبْلغ إن لقيت أبا بكرْ

فـيا أخـوينا مـن أبينا وأُمنا   إليكم إليكم لاسبيل إلى جَسْرِ

دعوا جانبي إنى ساترك جانبـــا   لكم واسعاً بين اليمامة والفَهرِ

أغرَّكم من قومكم عددُ الحَصَى   وأن الفضول فى رواس وفى وَبْرِ

أبى فارس الضحياء عمروبن عامرِ   أبى الذمَّ واختار الوفاء على الغَدْرِ

عقيل بن كعب وأبو بكر بن كلاب ، وبنو كلاب عشرة أبطن : عبدالله بن كلاب ، وأبو بكر اسمه عبيد ،وعمرو بن كلاب ، ورؤاس بن كلاب ، والوحيد وكعب ووبر . هؤلاء سبعة أمهم سبيعة بنت سلول . وجعفر بن كلاب وربيعة بن كلاب والضباب وهم ولد عمرو بن معاوية بن كلاب ، وأم هؤلاء الثلاثة ذؤيبة بنت عمرو بن سلول .

وعمرو بن عامر فارس الضحياء أبو أم البنين التى يعنى لبيد بقوله :

نحن بنو أم البنين الأربعـــــة

(١) هو خداش بن زهير بن خباب الكلبى العامرى : من الشعراء المجيدين فى الجاهلية . فارس مغوار جيد للرأى

وكانت تحت مالك بن جعفر فولدت له عامر بن مالك أبا براء ، وطفيل بن مالك ، ومعاوية بن مالك ، وربيعة بن مالك أبا الوليد .

* قدم عمرو بن معدى كرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : حياك إلهك . أبيت اللعن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . إن لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، فآمن بالله واليوم الآخر يؤمنك من الفزع الأكبر . فقال عمرو : ما الفزع ؟ ، فانى لا أفزع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو إنه فزع ليس كما ظننت . أو تظن أنه يصاح بالناس صيحة لايبقى حى إلا مات إلا ما شاء الله من ذلك . ثم يصاح بالناس صيحة لا يبقى ميت إلا نشر ، ثم تلك الصيحة تدوى تنهد منها الأرض وتخر منها الجبال ، وتنشق منها السماء فى عرضها انشقاق القباطى الجـديدة إلا ما شاء الله من ذلك ، ثم تبرز النار فينظر الناس إليها خمراء مظلمة فيطار لها لسان فى السماء يرمى بمثل رءوس الجبال من شرر ، لا يبقى ذو روح إلا أنخلع قلبه . فأين أنت من ذلك ياعمرو ؟ . قال : لا إنى أسمع أمراً عظيما .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعمرو أسلم تسلم . فأسلم وبايع قومه على الإسـلام ، وذلك فى شهر رجب من سنة تسع ، فلما بلغ ذلك قيس بن مكسوح أو عد عمرا وعظم عايه ، فقال عمرو فى ذلك :

أمرتك يوم ذى صنعـا	ء أمراً بينـاً رَشَدُهْ
أمـرتك بـاتقـاء الله	والمعـروف تتّعـدُهْ
خـرجت مـن المنـا	مثل الحميرّ عـزّهُ وتدُه
عنـانى عـلى فـرسٍ	عليـه جـالساً أسده
يـرد الرمح شبا السّـ	نان عـوائراً قَصَدُه
فـلولا فتنـتى لا	قيت ليثـاً فوقه لبدهْ

يُسامى القرن إن قرن تَيممه فيعتصِدُهْ

فيأخذه فيرفعه فيخفضه فيقتصدَهْ

فيدمغه فيحطمه فيزدردُهْ

فأقام عمرو فى قومه بنى زبيد وعليهم فروة بن مسيك ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو . وقال حين ارتد :

وجدنا ملك فروة شر ملكٍ حماراً ساف منخره بثفْرِ

وكنتُ إذا رأيتُ أباعمير أرى الخيلاءَ من خبث وَغدَرِ

ثم أسلم بعد ذلك وغزا القادسية ، فأبلى ومعه قيس بن مكسوح ، وشهد مع النعمان بن مقرن فتح نهاوند فقتل هناك

* ووفد عمرو بعد فتح القادسية على عمر فسأله عن سعد فقال خير أمير بطئٌ فى حبوته عربى فى نمرته أسد فى تامورته أو ناموسته ، يعدل فى القضية ، ويقسم بالسوية ، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة حبوةٌ من حباية الخراج ». يقال حيث المال والماء حبوه ، وهو حسن الحبيبة . والحبوة للخراج . والنمرة : بردة من صوف يلبسها الأعراب والإماء . وجمعها نمار ، والنامورة عريسة الأسد وعرينه والنامورة الصومعة . والنامور علقة القلب ، والناموسة مكمن الصائد شبه به موضع الأسد .

* ومن مختار شعر عمرو بن معدى كرب : (١)

أَمِنْ ريحانَة الداعى السميعُ يُؤرِّقُنِى وأَصحَابِى هُجوعُ (٢)

---

(١) قال هذه القصيدة وعنى أخته ريحانة فى مطلعها — الأصمعيات القصيدة رقم ٦١

(٢) ويقال ريحانة امرأته المطلقة ، السميع : المسمع •

ينادى مِنْ يَرَاقِش أو مَعينٍ فَأَسمَعَ واتلأَبَّ بنا مَلِيعُ (١)

وقد جاوَزْنَ منَ غُمدانَ أرضًا لأَبْوالِ البِغالِ بها وقيعُ (٢)

وربَّ مُحرَّشٍ في جَنبِ سَلْمَى يُعَلُّ بِعَيبِهَا عِندى شفيعُ (٣)

كأن الإثمد الجَارِىّ منها يُسَفُّ بحيث تُبتَدَرُ الدُّموعُ (٤)

وأبكارٍ تَمَوتُ بِهَنَّ حِيناً نواعمَ فى أَسِرَّتها الرُّجوع (٥)

أمشِّى حولهَا وأطوفُ فيها وتعجبنى المحاجِرُ والفروعُ (٦)

إذا يضحكن أو يَبْسمْنَ يوماً ترى برداً ألحَّ به الصقيعُ

كأن على عوارضهنّ راحاً يُفَضُّ عليه رُمَّانٌ يَنيعُ

تراهَا الدّهرَ مُقْتِرةً كِباءً وتقدح صفحةً فيها نقيعُ

وصبغُ ثيابِها من زعفرانٍ بِجُدَّتها كما احمرَّ النجيعُ

وقد عجبت أمامةُ أن رأتني تَفَرَّعَ لِمَتِى شيبٌ فظيعُ

أشابَ الرأسَ أيامٌ طوالٌ وهمٌّ ما تبلَّغَهُ الضّلوعُ (٧)

وإسنادُ الأَسِنَّةِ نحو صَدرِى وهزُّ المشرفيةِ والوقوعُ

---

(١) يراقش ومعين حصنان باليمن ، واتلأب : استقام واستوى ؛ ومليع الفلاة أو الأرض المتسعة

(٢) غمدان قصر مشهور باليمن ، وجاوزن يعنى الركاب

(٣) يعل : يسقى مرة ثانية ، ويروى فى حب سلمى

(٤) والحارى : نسبة إلى الحيرة ؛ الإسفاف أن يكحل الجلد

(٥) الأسرة الخطوط فى باطن الكف ، والردوع أثر الطيب فى الجسد

(٦) المحاجر يعنى العيون ، والفروع الشعور الطويلة المسترسلة

(٧) البيت لا يلى سابقه فى رواية الأصمعيات ، بل يتبعه بأبيات ص ١٧٥

وسوق كتيبةٍ دَلفتْ لأُخرى ... كأنَّ زهاءها رأسٌ صَليــعُ
دَنَتْ واستأخر الأَوغالُ عَنْها ... وخُلِّيَ بينهم إلاَّ الوَزيــعُ
وخيل قد دلفت لها بخيـلٍ ... تحيةُ بينهم ضربٌ وجيعُ
فِدًى لهمُ معاً عمى وخالى ... وشرخُ شبابهم إن لم يُضيعوا
فإن تنبْ النوائِبُ آل عُصْمٍ ... تُرى حكاتُهم فيها رُفوُعُ
إذا لم تستطع شيئاً فدعْـهُ ... وجاوزه إلى ما تستطيـــعُ
وصِلْه بالزِّماع فكل أمـرٍ ... سَمَالَكَ أو سموتَ له ولوعُ
وكم من غائطٍ من دونِ سلمى ... قليلِ الأنس ليس به كتيعُ
ترى السرحان مفترشا يديه ... كأن بياضَ لبَّتهِ الصّديـعُ
وأرضٍ قد قطعت بها المَوامِى ... من الجنَّانِ سوبَخُها مَليـعُ
ترى جيفَ المطىِّ بجانبيه ... كأنَّ عظامهَا الرَّخَمُ الوُقوعُ

قوله : ترى حكماتهم فيها رفوع . يقال إنه لمرتفع الحكمة عن هذا الأمر إذا لم ينله : وكان الصمة سبَى ريحانة بنت معدى كرب فاتبعه عمرو وهى تناديه بأعلى صوتها ، فلم يقدر على استعادتها فقال :

أمن ريحانة الداعى السميعُ .... القصيـــــــدة المذكـورة

• كتب رجل على بابه : لا يدخل هذا المنزل شر ، فقال له ديوجانس : فمن أى باب تدخل امرأتك ؟. وقيل لرجل: أنت وسيم وتزوجت امرأة دميمة فقال : اخترت من الشر أقله . وقيل لسقراط : أى السباع أحسن ؟ . قال : المـرأة •

ورأى آخر جارية تتعلم الكتابة فقال : يا معلم لاتزد الشر شراً . ورأى امرأة تحمل ناراً فقال : نار على نار والشر بالشر يهلك ، وحامل شر محمول.

ورأى امرأة حملها السيل فقال : زادها على كدره كدرا . ورأى جارية حسناء فقال : خير قليل وشر كثير . ورأى امرأة تتعلم الكتابة فقال : سهم يستم ليرمى به يوماً ما . ورأى عجوزاً متزينة فقال لها : إن كنت تهيأت للأحياء فأنت مخادعة ، وإن كنت تهيأت للموتى فبادرى .

* وكان الحارث بن تولب العكلي سيداً ، فأغار على بنى أسد فسبى منهم امرأة يقال لها حمرة بنت نوفل ، فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففركته فحبسها حتى استقرت وولدت له أولادا ثم قالت أزرنى أهلى . فقال لها : إنى أخاف إن صرت إلى قومك أن تغلبينى على نفسى فواثقته لترجعن إليه ، فخرج بها فى شهر حرام حتى أقدمها بلاد بنى أسد ، فلما أطل على الحى ، تركته واقفا وانصرفت إلى منزل بعلها الأول ، فمكث طويلا ، فلم ترجع إليه ، فعرف ما صنعت ، فانصرف وقال :

جزى الله عنا حمرةً بنت نوفلٍ ... جزاءَ مغلٍّ بالأمانةِ كاذبِ

بما سألت عنىّ الوشاة ليكذبوا ... علىَّ وقد أبليتُها فى النوائبِ

تدارَكها منىّ بدوٌ كأنها ... لدى النجم نِيطَت عنده بالذوائبِ

فصدّت كأن الشمس تحت قناعِها ... بدا حاجب منها وصدت بحاجِبِ

يعنى أنها أعرضت . عنه . وقال فيها أيضا :

وكل خليل عليه الرغاب ... والجبلات كذوبٌ مَلِق

وقامت إلىَّ فأحلفتها ... بهدىٍ قلائِدهُ تختَفِق

بان لا أخونك فيا وليت ... فإن الخيانة شر خلق

ولكننى امرأة إن نأيت ... فرفدى البكا وعطائى الشرق

والبيت الأول من هذه الأبيات يجب أن يكون فى آخرها . وكذلك الرواية . ثم حج عاماً من الأعوام فنزل بمنى ،ونزلت مع بعلها قريباً منه ، فعرفته ، فأرسلت إليه بالسلام وسألته عن حاله وماله ، فقال محيياً لها :

ودست رسولاً والركابُ مناخةٌ بأن حَيِّهِمْ واسألهم ما تموّلوا

فحييت عن شحط بخير حديثنا ولا يأمن الأيــام إلا مُضَلَّلُ

ثم بلغه بعد ذلك موت حمرة فقال :

ألم تر أن حمرة جــاء منهــا بيان الحق إن صدق الكــلام

نَعاهَا بالندىِّ لنـا حـــرامٌ حديث مـا تحـدث يا حرام

فلا تبعد وقد بعدت فأَجْدى عـلىَ قبرٍ تضمنهـــا الغمـامُ

وقال النمر بن تولب فى أخيه الحارث :

فو الله ما أسقى الديار لحبّهــا ولكنما أَسْقيك حَــارِ بنَ تَوْلَبِ

ومثل هذا المعنى لبعضهم يرثى امرأته :

سقى جدثا تضمنَ أم عمــرو بنخلة ما استهلَّ من الغمـــامِ

وما للأرض أستسقى ولكــن لأصداءٍ أقمــنَ بهـا وهـــامِ

* وقال القطامى يهجو محارب : (١)

تقول وقد قربت كورى وناقتى إليك فلا تذعر عــلىَّ ركابِى

فجَنَّتْ جنوناً من دلاتٍ مُنيخة ومن رجُلٍ عارى الأشاجِعِ شَاحبِ(٢)

---

(١) ديوان القطامى ٤٧

(٢) دلات ناقة ماضية ، والأشجع عرق باليد

سرى فى جليد الليل حتى كأنما ... تخرمَ بالأطرافِ شوكَ العقاربِ

فسلمت والتسليم ليس يَسُرُّها ... ولكنه حقٌّ على كل جانب

فردّت سلاماً كارها ثم أعرضت ... كما انحازت الأفعى مخافة ضاربِ

فقلت لها لا تفعلى ذا براكبٍ ... أتاكِ مصيبٍ ما أصابَ فذاهِبِ

ولما تنازعنا الحديث سألتها ... من الحىُّ قالتْ معشرٌ من محارب

من المشتوين القدَّ ممن تراهُمْ ... جياعًا وريفُ الناسِ ليس بناضب

ولما بدا حِرْمانُها الضَّيفَ لم يكُنْ ... علىَّ مناخ السوءِ ضربةَ لازِبِ

• وقال بعضهم يهجو بلال المحاربى :

يقولون آتينا البعير ومالهُ ... سنامٌ ولافى ذروة المجدِ غاربُ

أرادت وذاكم من سفاهة رأيها ... لأهجوها لمَّا هجتنى محاربُ

معاذَ إلهى إننى لعشيرتى ... ونفسىَ عن ذاك المقام لراغبُ

وأنشد المبرد لرجل من عبد القيس يهجو باهلة :

أباهلَ يَنْبحُنى كلبكُم ... واسدكم لكلابُ العربْ

ولو قِيل للكلب يابا هلى ... عوى الكلْبُ من لؤم هذا النسبْ

وأنشد :

سل الله ذا المن من فضله ... ولا تسألنَّ أبا وائلَهْ

فما سألَ اللهَ عبدٌ فخاب ... ولو كان يعزى إلى باهِلَهْ

هذا على أن لباهلة فى الإسلام شرفاً باذخاً ، ومنهم رجال لهم صيت ، وفيهم كرم ومروءة ودين ورياسة . ومنهم أبو أمامة الباهلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم المستورد بن قدامة الشاهد على نسب زياد ومنهم

جنان بن زيد الذى قال له أبو موسى الأشعرى : إن باهلة كانت كراعا فجعلتها ذراعا . قال : ألا أخــبرك بالأم من باهلة ؟ . علك وأخلاطها من الأشعريين . فقال له أبو موسى : ياساب أميره . ومنهم حاتم بن النعمان سيد عصره ، وهو الذى افتتح هراة ، وابنه عبد العزيز أصم باهلة ، وكان على حرب قيس أيام بنى تغلب .

ومنهم سلم بن عمرو بن حصين البــاهلى وابنه قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ، وابنه سلم بن قتيبة ، وإليهم ينتهى شرف باهلة .

وكان سلم بن عمرو أخص الناس بيزيد ، ويكنى أبا صالح ، وهو رب الحرون . كان إذا سبق الخيل فى بعض الحلبة جرت حتى تلحقه ثم يجرى فيسبقها ، فسمى الحرون .

وقال الشاعر يفخر بهم :

إذا ما قريش خــلا ملكها   فإن الخلافة فى باهِــلَهْ
لرب الحرونِ أبى صـالح   وما تِلْكَ بالسنة العادِلَهْ

* وكان سعيد بن سلم شريفا مقــدماً عند السلطان ، وكان صالحاً ورعاً يتصدق فى أول السنة التى تستقبل بعشرة آلاف درهم ويعتق نسمة . وقال له الرشيد من أى بيت قيس . فقال : فى الجاهلية فزارة ، قال : فمن فى الإسلام؟ قال : الشريف من شرفتموه قال لعمرك أنت وقومك .

قال أبو عبيدة : كان عمرو بن يربوع الباهلى أول من ربع قيساً .وبلغنى أن قيساً لم تجتمع على أحد غيره .

* قال المبرد : حدثنى رجل من أهل مكة قال : رأيت سعيد بن سلم فى المنام فى هيبته فى حياته وفى نعمته وكثرة عدد ولده وحسن مذهبه فقلت فى نفسى : ما أجل ما أعطيه سعيد ! . فقال لى والدى : أعد الله له فى الآخرة أكثر . ومع تمام مروءته وكما له وموضعه من السلطان كانت الشعراء لاتهيبه

وتسرع إليه بالهجاء . قال سعيد بن سلم : عرض لى أعرابى فمدحنى فبالغ فقال :

ألا قل لسارى الليل لاتخش ضلَّة — سعيد بن سلم ضوءُ كـل بلادِ
لنا سيدٌ أربى عـلى كـلّ سيدٍ — جوَادٌ حثَا فى وجه كل جوادِ

فتأخر عنه بره قليلا فقال :

لكلّ أخى مدح ثوابٌ علمتُه — وليس لمدح الباهِلىّ ثـــوابُ
مدحتُ ابن سلم والمــديح مهزةٌ — فكـانَ كصفوانٍ عليه ترابُ

* وقال قتيبة بن مسلم لهبيرة بن مشموخ الكلابى : أى رجل أنت ؟ ، لو كان أخوالك غير سلول ! . فبادل بهم . قال : أيها الأمير بادل بهم من شئت وجنبنى عبساً وباهله .

* قال أبو قلابة الجرمى : حججنا مع أبى جزء عمرو بن سعيد بن سلم . قال : وكلنا فى داره وهو إذ ذاك بهى وصبى ، فجلسنا فى المسجد الحرام إلى قوم من بلحارث بن كعب لم أر أفصح منهم ، فلما رأوا هيبة أبى جزء وإعظامنا إياه ، قال قائل منهم : أمن أهل بيت الخليفة أنت ؟ . قال : لا ، ولـكنى رجل من العرب . قال : ممن ؟ . قال : رجل من مضر قال : أعرض ثوب الملبس . من أيها عافاك الله ؟ . قال : من قيس . قال : أين يراد بك ؟ صر إلى فصيلتك التى تؤويك . قال رجل من بنى سعد بن قيس : اللهم عفوا . قال : من أيها عافاك الله ؟ . قال : من بنى يعصر . قال : من أيها ؟ قال : من باهلة . قال : ثم عنا . قال أبوقلابة : فأقبلت على الحارثى فقلت : أتدرى من هذا ؟ . قال : ذكر أنه باهلى . قلت : نعم . هذا أمير بن أمير بن أمير هذا عم وأمير ابن سعد أمير بن سلم أمير بن قتيبة أمير . فقال الحارثى : الخليفة أعظم أم الأمير ؟ . قلت : الخليفة قال : والله لو عددت له فى الخلافة أضعاف ما عددت له فى الإمارة لما كان باهليا ما عدا الله قريشا . قال : فكادت نفس أبى جزء تخرج ، فقلت له : أنهض بنا ، فهو لأشر الناس أحياء .

* وركب هارون الرشيد يوما على حماره ، وعاد سعيد بن سلم ، فدعا بمحمد الراوية المعروف بالسدى ، وكان أملح الناس إنشادا ، فقال له الرشيد : أنشدنى قصيدة الجرجانى التى يقول فيها :

لا تبعد الأيام إذ ورَق الصِّبا　　خضرٌ وإذ غصْنُ الشباب نضيرُ

فأنشده ، فقال : الشعر اليوم فى ربيعة . فأنشده ، فقال سعيد : استنشده يا أمير المؤمنين قصيدة أشجع السلمى . قال : الشعر فى ربيعة سائر اليوم ، فلم يزل سعيد يستنشده حتّى أنشده محمد البيدق :

وعلى عدوّك يا ابن عم محمد　　رصدان ضوءُ الصبح والإظلامُ
فإذا تنبه رُعْته واذا غَفَا　　سَلّتْ عليه سُيوفك الأحلامُ

فقال الرشيد : لو خرس بعد هذا لكان أشعر الناس .

* أخذ قوله هذا من قول الأخطل ، وقد توعده الجحاف بن حكيم ، فحم ، فقال له عبدالملك : خفف عليك ، فأنا أجيرك منه . قال : يا أمير المؤمنين ! هبلك أجرتنى منه فى اليقظة ، فمن يجيرنى منه فى النوم ؟

* قال الجاحظ : قال سعيد بن سلم : كنت واليا بأرمينية ، فعبر أبو دهمان العلائى على بابى أياماً ، فلما وصل مثل قدامى بين السماطين وقال : والله إنى لأعرف أقواماً لو علموا أن سف التراب يقيم من أود أصلابهم لجعلوه مسكة لأرماقهم إيثاراً للتنزه عن عيش دقيق الحواشى . أما والله إنى لبعيد الوثبة بطىء العطفة ، إنه والله ما يثنينى عليك إلا مثل ما يصرفلك عنى ، ولأن أكون مقلا مقرباً أحب إلى من أن أكون مكثراً مبعداً ، والله مانمتثل عملا إلا ونضبطه ولا مالا إلا ونحن أكبر منه . إن هذا الأمر الذى صار فى يديك قد كان فى يديك قد كان فى يد غيرك ، فأمسوا والله حديثاً ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر وابن الجحاف فان خلفة أمناؤه عبيده ورقباؤه على من أعوج سبيله .

• وقال طفيل الغنوي :

وخيبة من يخيبُ على غنيٍّ ... وباهلة بن أعصر والركاب

المعنى أن من غزا فخاب كر على غنى وباهلة فغنم ، لأنهم لايمتنعون على من أرادهم بمنزلة الركاب لا امتناع بها .

وقال آخر : من صار فى يده أسير من غنى أو باهلة فقد خاب ، وإنما الغانم من أسر من قشير ، ومن كلاب . قال طفيل : (١)

سمونا بالجيادِ إلى الأعادى ... مُغَاوَرَةً بجِدٍّ واعْتِصَابِ
نَؤُمُّهم على هَوْلٍ وبُعْدٍ ... بِقُود يطَّلِعْنَ من النقابِ
بِمشعلةٍ تخالُ الشمس فيها ... بُعيد طلوعها تحت الحجابِ
ترى فيها المذاكىَ مُنْعَلاتٍ ... مجنبة تخُبُّ مع الركابِ
عليها كلُّ أشمطَ جَزْلِ حربٍ ... وكلُّ أَشَقَّ مقْتبلُ الشباب
طُوالُ السَّاعِدَين يهزُّ لدنا ... يلوحُ سِنانهُ مثل الشهابِ
فقتَّلْنَا سَرَاتَهُم جهاراً ... وأُبنا بالنساءِ وبالنهابِ
سبايا طيِّءٍ من كلِّ حيٍّ ... نَمىَ فى الفرع منها والنِّصابِ
وما كانت بناتُهم سباءً ... ولا رَغَباً يُعَدُّ مع الرِّغَابِ
وكانوا بين معتفرٍ قتيلٍ ... وبين مكلَّبٍ طوع الخبابِ

(١) ذكر أبو الفرج أبياتا منها ، وقدم لها بقوله : « فلما أدركوا ثأرهم أجاب طفيل — زيد الخيل — فقال : » ورواية الأول « سمونا بالجياد إلى أعاد »
ورواية الثانى :
« تؤمهم على وعث وشحط »

وما كانت دماؤهم وفاء … لنا فيما يُعَدُّ من العقاب(١)

وقال شاعر لبشر بن مروان :

يا بشر يا ابن العامرية ما … خلق الاله يديك للبُخل

جاءت به عجسر مقابله … ما هن من جَرْمٍ ولا عُكْلِ

وقال شاعر من باهلة :

يبيت عكلاً وحمّانا يفاخرنى … واللؤم أكرم من عكل وحمّان

ماذا قَت المجدَ حمانٌ ولا فَزَعتْ … عُكْلٌ وتيمُ عدىٌّ بابَ سُلطَانِ

وماالبراجم (٢) إلاحيص عاهرةٍ … ولاطهيةُ (٣) إلَّاَفنَّ أفنانِ

وكانت غنى حلفاء بنى جعفر ، وأحسنوا إليهم ، فقال فى ذلك طفيل الغنوى :

جزى الله خيراً جعفراً حين أزلقت … بنا نعلنا فى الواطئين فَزلَّتِ (٤)

أبوْا أن يملُّونَا ولو أنَّ أُمَّنا … تُلاقى الذى لا قوهُ مِّنالملَّتِ(٥)

---

(١) روايته فى الأغانى « ولا كانت دماؤهم وفاء »
والأبيات فى ديوانه تحقيق محمد عبد القادر أحمد وطبع الكتاب الجديد بيروت ١٩٦٨

(٢) البراجم خمس بطون من بنى حنظلة : قيس وغالب وعمرو وكلفة والظليم وهو مرة . تبرجموا على إخوتهم يربوع وربيعة ومالك .

(٣) طهية أو بنو طهية هم أولادطهية بنت عبشمس بن سعد

(٤) الوحشيات لأبى تمام ص ٢٥١ ط دار المعارف بمصر، ١٩٦٣ وروايته « جزا الله عنا جعفراً .. »

(٥) رواية الوحشيات « .. الذى يلقون منا » وكذا فى لباب الآداب لابن منقذ ص ٢٦٨/ ٣٦٦

وقتل رجل من غني ابنا لعروة الرجال فخافت غني بني جعفر فتحملوا ونزلوا على بني أبي بكر بن كلاب وأبت بنو جعفر إلا أن يقتلوا منهم عقلاء دون عشرة من غني بصاحبهم ، فقال طفيل :

بنى جَعْفرٍ لا تكفروا حسن سَعْيِنَا   وأثْنُوا بِخَيْرِ القَوْلِ فى كُلِّ مَحْفل
ولاتكفروا فى النائبات بَلاءنـــا   إذا مسكم منْهُ العدوُّ بكلكل
فنحنُ منعنا يومَ جرش نساءكم   غداة دعانا عامر غير مؤتـــلِ
ردَدْنا السَّبايا مِن نُفَيْلٍ وجَعْفرٍ   وهنَّ حَبالى مِن مُخِفٍّ ومُثقـــلِ

• واستهانت العرب بعكل وتيم ، لما كان يقع عليهم فى الجاهلية من السبي وكان سباهم بعض التبابعة فنقلهم من نجد إلى سبأ فغزا الأضبط بن قريع والنمر بن مرة بن حبان فاستنقذوهم فكانت تميم تأكلهم وتعيرهم بأنهم كانوا عبيداً . فقال جرير لابن لجأ : (٣)

لم تشكروا نمرا إذ فككم نمرٌ   ولا القُرَيْعُ من الحيِّ اليَمانينا

وهذه قبائل وضع منها الهجاء مع ما أعانه ما نالهم من السبي وسوء الخلف أعني بأهلة وأخاه غنياً وعكلا والتيم ومحارب ، ولم ينجع الهجاء فى غيرهم من قبائل العرب لما بهر مجدهم وسناؤهم ، وغلب شرفهم ، وعزهم . على أن فيهم مع ذلك شرفا سنذكره .

• قال أبو زياد الكلابي وغيره : فى عكل على كثرة ما وضعوا منهم ، فيهم شعر وفصاحة وخيل معروفة الأنساب فى الجاهلية والإسلام .

• وقال يونس بن حبيب : إن عكلا أحسن الناس وجوهاً فى غب حرب

---

(٣) ديوان جرير ص ٥٨٤ من قصيدة يهجو التيم ويلي البيت قوله :

تدعوك تيم وتيم فى قرى سبإ   والتيم يومئذ فيهم ولا فينا

* أغارت بنو عامر بن صعصعة على بنى سعد ، فأسروا وسبوا ، وكان فيمن أسروا بدر وحذيفة ابنا خلف البهدليان ، ابو الزبرقان بن بدر وعمه فادركتهم عكل ، فاستنقذوهم ، فقال النمر بن تولب العكلى فى ذلك :

أيا رَاكبًا إما عرضتَ فَبلِّغَنْ بنى خلف ولاتُقيلَنَّ من بَدْرِ

فنحن نقبنا عن حرام ورهطه بتولان ريعان المسومةِ والسَفرِ

فوارس من آل الوحيدوجعفرٍ وآل نَفَيْلٍ يدعى وأبى بكْرِ

فذلك من آلائنا وبلائنــــا إليكم ولكن لاسبيل إلى شُكْرِ

ولغنى بمثل الذى فعلته عكل كثير .

* أغار عنترة فى ناس من بنى عبس على الأغيار حى من محارب بن خصفة ، فجاء الخبر غنياً ، فركبوا فاستنقذوهم من بنى عبس .

وأغارت غنى على طى الجبليين فنكوا فيهم وأثخنوا ، وفارسهم شيطان بن الحكم . فلما انهزم القوم قال شيطان : من أخذ شعرة من ذنب الحذواء فرس شيطان بن الحكم ، والحذواء التى فى أذنيها استرخاء .

وهذه وقعة انتصفت فيها غنى من طى بغارتهم عليهم يوم محجر . ولذلك قال طفيل : (١)

فذوقوا كما ذقتم غداة محجَّرٍ من الغيظ فى أكبادنا والتحوّب

---

(١) فى ديوانه : « قال الأصمعى : كانت غنى قد أغارت على طىء بعد وقعة محجر ، ودخلوا سلمى وأجا ، وهما من جبال طىء وسبوا سبايا كثيرة ، فقال طفيل فى ذلك :

بالعفر دار من جميلة هيجت سوالف حب فى فؤادك منصب

والبيت المذكور رقم ٦١

* قال رجل من تميم يمدح رجلا من عكل :

خليلى الفتى العكلى لم أر مثله   تحلّب كفّاه النّدى، سابغَ القِدْرِ
كأن سهيلاً حين أوقد ناره   بعلياء لاتخفى على أحدٍ يسْرِى

* وقال النجاشى (١) يمدح هند بنى عاصم السلولى ، وكان اجتازبه حين ضربه على بن أبى طالب رضى الله عنه فى شرب النبيذ ، وشرب فى شهر رمضان فجعله الحد ، وزاده عشرين لحرمة الشهر وأقامه للناس فى مسح شعر ، فألقى عليه هند كساء خز أرجوان .

إذا الله حيّ صالحاً من عبادِه   كريماً فحيّ الله هندبن عاصم (٢)
وكلّ سلولىّ إذا ما لقيتــه   سريعٌ إلى داعى العُلاوالمكارم
هم البيض ألواناً وديباج أوجهٍ   كرام إذا ماارثّتْ وجوه الألائم

وقال أبو زياد الكلابى أما أن سلول كرام من كرام تحالفوا ولم يدخلوا فى صغار . وإنما كلمه عامر بن الطفيل التى حدثت هى التى سامتهم وهى قوله : غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية .

وأكرم العرب فى أنفسها يشتد تخوفها من الهجاء ، وتتمنى أن يبقى ذكر ذلك فى الاعقاب . وكانوا إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق لايهجوهم ، وربما شدوا لسانه كما فعل بنو تميم يوم الكلاب بعبد يغوث (١) ، فسألهم أن

---

(١) النجاشى هو قيس بن عمرو بن مالك من بنى الحارث بن كعب . شاعر فحل من شعراء اليمن . أسلم فيمن أسلم من قومه ، وكان من شيعة على كرم الله وجهه يوم صفين . وكان رقيق الدين .

(٢) الأبيات الثلاثة من أربعة أبيات أوردها الجاحظ فى البيان والتبيين ج ٣ ص ٦٢ طبع التجارية سنة ١٩٣٧

(٣) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثى شاعر جاهلى فارس ، سيد قومه وقائدهم فى يوم الكلاب الثانى إلى بنى تميم ، وقد أسر فى ذلك اليوم فقتل

يطلقوا من لسانه لينوح على نفسه ، فقال : (١)

أقول وقد شدُّوا لسانى بنسعـــةٍ — أمعشر تيم أَطلقوا من لسانيــا (٢)

وتضحك منى شيخـــةٌ عبشميةٌ — كأَن لم تر قبلى أَسِيرًا يمانيــاً (٣)

كأَنى لم أركب جواداً ولم أَقـــل — لخيلىَ كرِّى كرةً عن رجاليا (٤)

فيــا راكبا إمَّــا عرضت فبلِّغَـنْ — ندامایَ من نجرانَ ألاَّ تلاقيـــا

أبا كَرِب والأَيْهَميْنِ كليهما (٥) — وقيساً بأَعلى حضرموتَ اليمانيَا

---

(١) الأبيات من قصيدة فى المفضليات مطلعها :

ألا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا — وما لكما فى اللوم خير ولا ليا

(٢) لا يرد هذا البيت فى موضعه من الأبيات التى تليه ، فقد اختار المؤلف الأبيات الأربعة من القصيدة ورتبها هو تقديما وتأخيرا

(٣) عبشمية : نسبة إلى عبد شمس ، وكان من أسر الشـــاعر فتى من بنى عمير ابن عبد شمس . والشيخة التى يقصدها هى أم ذلك الفتى التى سخرت منـــه عند أسره إياه .

(٤) رواية المفضليات : « .. لخيلى كرى نفسى عن رجاليا »

(٥) فى الأصل كلاهما ، والأيهمان هما الأسود بن علقمة الحارث ، والعاقب وهو عبد المسيح بن الأبيض . وقيس هو ابن معدى كرب ، والد الأشعث ابن قيس الكندى .

باب
فيه النهى عن تعرض الشعراء

قالوا : لاينبغى لعاقل أن يتعرض لشاعر ، فربما كلمة جرت على لسانه فصارت مثلا آخر الأبد ، كالذى قال للأقيشر الأسدى : يا أقيشر — وكان يغضب من ذلك فنظر إليه طويلا ، وكان الرجل من بنى عبس فقال :

أَتدعونى الأُقيشر ذلك اسمى وادعوك ابن مطفئَة السراج
تناجى خدْنهَا بالليل سِـرًّا وربٌّ الناسِ يَعرفُ من تناجِى

فسمى ذلك الرجل ابن مطفئه السراج ، ويعرف به ولده إلى اليوم

* ومر الأقيشر بمطر بن ناجية اليربوعى حين غلب على الكوفة أيام الضحاك الشارى ، ومطر على منبر الكوفة يخطب فقال :

أبنى تميم مـا لمنبر ملككم لا مستقر قعوده يتمرمَرُ
إن المنابر أنكرت أَشباهكم فادعوا خزيمة يستقر المنبرُ
خلعوا أمير المؤمنين وبايعوا مطراً لعمرك بيعة لاتظفَرُ
واستخلفوا مطراً وكان كقائلٍ حلف لعمرك من يزيد أَعورُ

فبلغ جرير بن الخطفى قول الأقيشر ، فأتى بنى أسد فقال : أما والله لولا الرحم ما أجزئ على حليفكم ، فناشدوه الله ، وأخذوا الأقيشر فشتموه ، فانصرف جرير عنهم ، ودس إلى الأقيشر رجلا فقال : إنى جئت لأهجو قومك وتهجو قومى قال : ممن أنت ؟ قال : من تميم . فقال الأقيشر :

لا أسداً أسبُّ ولاتمــيما وكيف يحل سبُّ الأكرمينا

ولكن التفاوض حلَّ بيني وبينك يا ابن مضرطة العجينا

فسمى الرجل بذلك .

* ومر الأقيشر بمجلس من بني فزارة ، فقال صبيانهم : ذهب الأقيشر فلما أصبح دعا بدواة ولوح ، واستأذنت عليه بنو فزارة ، فدخلوا عليه فقالوا إنه قد بلغنا ما كان من سفهائنا ، فهب لنا ذلك . قال : قد فعلت ، ولكني قد قلت بيتا فاسمعوه : قالوا : وما هو ؟ . قال :

ذَهبَ القبائِلُ بالمكارِمِ والعُلاَ وبنو فزارةَ يَلعُبونَ الكيكبا

وهي لعبة للصبيان يركب بعضهم بعضا .

وكان يقال لعمرو بن سعيد بن العاص (١) لطيم الشيطان ، ولمروان بن الحكم حبط باطل .

قال الشاعر يذكر قتل عمرو بن سعيد :

كأن بني مروان إذ يقتلونــه بغاث من الطير اجتمعن على صقرِ

غدرتم بعمرو يابني حبط باطل وأنتم ذوو قربى به وذوو صهْرِ

فرحنا وراح الشامتون عشيةً كأن على أكتافنا فلق الصَخْرِ

لحا الله دينا يدخُلُ النار أهلها ويَهتك مادون المحارم من سترِ

---

(١) ويلقب أيضا بالأشرف ، وهو أحد التابعين ، ولى المدينة لمعاوية ويزيد ، ثم طلب الخلافة وغلب على دمشق ، فقد بايع عبد الملك بشرط أن يكون هو الخليفة بعده ، فلما أراد عبد الملك خلعه ومبايعته أولاده بعده خرج عليه فظفر به عبد الملك وقتله بعد أن أعطاه الأمان سنة ٧٠ ﻫ راجع البيان ١–٣١٤ ولطائف المعارف للثعالبي ٣٧

وعبدالملك بن مروان أول من قال : الملك عظيم ، فصارت مثلا ، ولعمرو يقول عبدالملك : أمكر وأنت فى الحديد . وكان عمرو مكبلا : فقال له : إن رأيت ألا تفضحنى بأن تخرجنى إلى الناس فتقتلنى بحضرتهم . ففطن له فقال له ما قال ، فصارت مثلا لمن أراد أن يمكر وهو مقهور .

* وهجا الفرزدق عنبسة الفيل ، وذلك أنه كان يفضل جريراً على الفرزدق ويروى قصائده ، فقيل للفرزدق : ها هنا رجل يعيب شعرك ، ويروى قصائد جرير فيك ، ويفضله عليك . قال : من هو ؟ قالوا : عنبسة بن معدان من مهرة قال : أهو من أهل البصرة ، ولديه منزل ؟ . قالوا نعم . قال : ويحكم ! رجل من مهرة له منزل بالبصرة لا أعرفه إن هذا لعجب ! . أرونى داره . فأروه داره ، فقال هذه دار معدان الفيل ، فمتى كان هذا من مهرة هذا قدم أبوه البصرة أيام عبدالله بن عامر فأثرى . وأنشأ يقول :

لقد كان فى معدان والفيل راجز لِعَنْبَسَة الراوى على القصائدا

فروى هذا البيت بالبصرة ، فلقى أبو عيينة بن المهلب عنبسة على باب بعض الولاة فقال له : ياعنبسة ما أراد الفرزدق بقوله :

لقد كان فى معدان والفيل زاجر

فقال : لم يقل والفيل إنما قال : واللؤم ، فقال أبو عيينة والله إن شاء فررت منه إلى اللؤم لأمر عظيم .

* قالوا : رب رمية من غير رام ، ورب لقب قد وضع من شريف وأزرى بكريم .

* قال الجاحظ : ربما كان اسم الجارية غليم ، وصبية ، فيستملح ذلك إذا كانت حديثة السن ، فاذا اكتملت تغير ذلك الاستملاح ، وإذا صارت عجوزا ولها أولاد وصاربنوها رجالا ، وبناتها نساء ، فما أقبح حينئذ أن يقال لها : ياغليم ، وكيف أصبحت يا صبية . ولأمر ما كنت العرب البنات ، فقالوا : ما فعلت أم الفضل . وقالت أم عمرو . وذهبت أم حكيم .

* والعرب تقول : رب قول أنفذ من صول . ألا ترى إلى علقمة بن علاثة بن الأحوص بن جعفر بن كلاب كيف بكى من قول الأعشى : (١)

تَبيتون فى المشتى ملاءً بطونكم ... وجاراتكم غرثى يَبِتْنَ خمائِصَا

يراقبنَ من جوع خلاءً مخافة ... نجوم الثريا الطالعات الشواخِصا

فماذنْبُنا أن جاش بحرُ ابن عمكم ... وبحرك ساجٍ مايوارى الدعامِصَا

أتانى وعيد الحوص من آل جعفرٍ ... فياعبد عمرو لو نهيت الأَحَاوِصَا

والعرب لاذل عندها أذل من البكاء . ويمدحون الشدة والقساوة . وقال:

يُبكى علينا ولا نبكى على أَحد ... لنحنُ أَغلظ أَكباداً من الإبلِ

وقال أحمد بن الحسين المتنبى . قيل له المتنبي لفطنته : (٢)

وأَنْهَ المشيرَ عليكَ فىَّ بضَلَّةٍ ... فالحرُّ ممتحنٌ بأَولادِ الزنـــا

وإذا الفتى طرحَ الكلامَ معرِّضاً ... فى مجلسٍ أَخذَ الكلامَ اللَّذْعَنَى

ومكائِدُ السُّفهاءِ واقعةٌ بهم ... وعداوةُ الشُّعراءِ بِئس المقْتَنَى

* قال أبو عبيدة وقد قيل له : أيما أشعر أبو نواس أو ابن أبي عيينة ، أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء . فقيل له : سبحان الله أما يتبين هذا لكل أحد ؟ فقال : أنا ممن لم يتبين له (٣) .

---

(١) ديوان الأعشى ويروى البيت الأول فقط

(٢) ديوان المتنبي طبع عزام ص ١٤١

(٣) العبارة فى العمدة لابن رشيق وتختلف عما أورده المؤلف فى آخرها حيث قال : « فقيل له : سبحان الله كأن هذا ما تبين لك ؟ . فقال : أنا ممن لم يتبين له : » وعبارة المؤلف أدق ١/٧٦

* وقد كره عمر (بن الخطاب) رضى الله عنه أن يحكم بين النجاشى وابن مقبل ، وكان عالماً بالشعر فدعا بحسان بن ثابت ، فقال : هل هجاه ؟ قال لا ولكن سلح عليه . (١)

* وقال دعبل بن على الخزاعى : (٢)

لاتعْرضَنَّ بمزْح لامرىءٍ طبنٍ ... ماراضَه قلبُه أجراهُ فى الشَّفَةِ

فربَّ قافيةٍ بالمزحِ جاريـــةٍ ... فى محفلٍ لمْ يُرَدْ إنماؤها نَمَتِ

إنى إذا قلت بيتاً ماتَ قائله ... ومن يقالُ له والبيتُ لم يَمُتِ

* وسمع جرير امرأة من كندة تساب امرأة من بنى كلب وإذا هى تقول :

أتعدلــين معرضــاً بأوسٍ ... والخطفى بأشعث بن قيس

ماذاك بالعدْلِ ولا بالكَيْسِ

فطلب إليها جرير حتى كفت .

* وسابت امرأة من كندة امرأة من بنى الهجيم ، فأقبلت الكندية على الناس فقالت :

تسبُّنى اليومَ رجالُ ضبَّـــــهْ ... يَالَكَ من عبدٍ يَسُبُّ ربَّهْ

قال الله تبارك وتعالى : (ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الإثم الفسوق بعد الإيمان) .

---

(١) العمدة ١/٧٦ إشارة إلى الخبر بلفظ مغاير

(٢) العمدة ١/٧٧

* ومن العرب من يرمى بخلة من خلال السوء ، وثم تصير لقبا، وقد رمى بها مثل بنى كلب . قال الجاحظ كانوا يرمون بإتيان الضأن ، وكذلك بنو الأعرج وأشجع وسليم ترمى بنيك المعزى . قال النجاشى : (١)

ولو شتمتنى من قريش قبيلةٌ سِوَى ناكةِ المِعزَى سليم وأَشْجَعُ

* وقال الفرزدق : (٢)

فلستُ مضحياً مادمتُ حيًّا بشاةٍ من جَلوبةِ أَعرَجِىٍّ

فما أَدْرِى إذا أَنفقت مالِى لعلَّ الشاةَ تُبْعُرِ عن صَبِىٍّ

* الفرزدق أشد هجاء من جرير ، وأحسن مقطعات من كل شاعر فى زمانه ، واكثر نوادر ومضحكات .

* وقال الشاعر لبنى فقعس :

قبيلةُ شرٍّ خيرهم مثل شرهم ترى منهم للضأْن فحلاً وراعيا

إذا خُلّيتْ منهم عروس وبَعْلُها ترى النعجة البقعاء تبكى البواكيا

إذا حُلبت أَغضَى وصدَّبوجهه وظلَّ إلى مايصنَعُ التيسُ رانيا

وبنو فزارة يرمون بنيك النوق ، قال الفرزدق أو غيره :

لاتأْمَنَنَّ فزاريًّا خلوتَ بــه على قلوصك واكْتُبْهَا بأَسْيَارِ

أى شدها .

قال المدائنى : سأل رجل من أهل الشام محمد بن الحنفية : أعلى أفضل أم عثمان قال : اعفنى . فقال : أنت شبيه فرعون حين سأل موسى : ما بال

---

(٢) ديوان الفرزدق ص ٨٨٧ ط الصاوى وروايته : « وما أدرى وقد أنفقت مالى »
وقوله فى العجز « لعل الشاة تبعر : : »
والبيتان فى هجاء بنى الأعرج :

القرون الأولى ؟ قال علمها عند ربى . فصاح الناس بالشامى : ياشبيه فرعون فهرب من الشام إلى مصر .

* دخل الأحنف على معاوية فقال له معاوية : ما الشيء الملفف فى البجاد ؟ قال : السخينة يا أمير المؤمنين . أراد معاوية قول الشاعر :

إذا ما ماتَ ميتٌ من تميم ... فسرَّك أن يعيش فجيء بـزادِ
بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ ... أو الشيء الملفَّف فى البجادِ
تراهُ يُطوِّفُ الآفاقَ حرصاً ... ليأْكل رأس لقمانِ بن عادِ

وأراد الأحنف قول خداش : (١)

يا كرَّة ما كررنا غيرَ كاذبةٍ ... على سخينة لولا الليلُ والحَرَمُ

الشيء الملفف فى البجاد وطاب اللبن ، والبجاد الكساء والسخينة حساء كانت تصنعه قريش فى الجاهلية عند غلاء السعر .

* عرض معاوية فرساً على عبد الرحمن بن حسان فقال : كيف تراه ؟ . قال : أراه أحش هزيما . أراد قول النجاشى الحارثى تعيير معاوية بالفرار فى يوم صفين فقال :

ونجَّى ابن حربٍ سابح ذو علالة ... أَحشُّ هزيمٌ والرماح دوانى
إذا قلت أَطراف الرماح تنالُه ... مَرتْه به الساقانِ والقدمَانِ

وقال الفرزدق لمضرس الأسدى : كيف تركت القيان يا أخا بنى أسد ؟. فقال تركتة نساء لصاف . أراد الفرزدق قول ابن مهوس :

---

(١) راجع الأغانى م ٢٢ ص ٦٧ ط بيروت وروايته :
يا شدة ما شددنا غير كاذبة ... على سخينة لولا الليل والحرم

ضِمنَ القَنَانُ لفقعسٍ سراتها إنَّ القَنانَ لفقعسٍ لمعمـــرُ

وأراد الفقعسى قوله :

وإذا تَسُرُّك من تَميم خَصْلَةٌ فلمَا يسوءُك من تميمٍ أكـثرُ

قد كُنتُ أَحسبهمَ أسودَخَفية فإذا لصافُ تبيض فيها الحمَّرُ

ذهبت قُشيشَةُ بالأَباعرحولنا سرفًا فَصَبٌّ على قشيَشةأبجرُ

القنان جبل بنى أسد ، ولصاف ماء لبنى تميم ، وأبجر بن جابر العكلى أبو حجار وكان نصرانيا .

* قال المدائنى : دخل رجل من محارب بن قيس على عبد الله بن يزيد بن زياد الهلالى ، وهو عامل على أرمينية ، وقد بات فى موضع قريب منه غدير فيه ضفادع ، فأسهرة نقيقها فقال للمحاربى لما دخل عليه : ما تركتنا أشياخ محارب ننام ليلتنا هذه لشدة أصواتها . فقال المحاربى : أصلح الله الأمير إنها أصابت برقعاً ، فهى فى طلبه . أراد عبدالله بن يزيد قول الأخطل فى محارب يهجوها : (١)

تنِقُّ للاشىءِشيوخُ مُحارِب ومَاخِلْتُهاكانتْتَرِيشُولاتبْرِى

ضفادعُ فىظلماءِليلتجاوبت فدلَّ عليها صوتُها حيَّةَ البحرِ

وأراد المحاربى قول الشاعر يهجو عبدالله بن يزيد :

لكلّ هلالىٍّ من اللؤم برقعٌ ولابن يزيد برقُعٌ وقميصُ

---

(١) ديوان الأخطل ١٣٢ طبع الأب أنطون صالحانى الطبعة الثانيـــة : دار المشرق ببيروت .

• لقى شريك النميرى رجلا من بنى تميم ، فقال له التميمى : يعجبنى من الجوارح بازى فقال له شريك : وخاصة إذا اصطاد القطا . . أراد النميرى بالبازى قول جرير : (١)

أنا البازى المطلُّ على نُمَيرٍ   أُتيح من السماء لها انصبابـا

وعنى شريك بصيد القطا قول الآخر :

تميمٌ بطرقِ اللُّؤمِ أهدَى من القَطا   ولو سلكتْ سُبْلَ المكارم ضَلَّتِ

• تعرض دغفل النسابة للحنيف بن زيد العنبرى عند ابن عامر بالبصرة ، فقال : متى عهدك بسجاح أم صادر ؟ . قال : مالى بها عهد قد أصلت أم حلس ، وهى بعض امهات دغفل. فقال له : نشدتك الله أنحن كنا أكثر لكم غزوا فى الجاهلية أم أنتم ؟. قال : بل أنتم ، فلم تفلحوا ولم تنجحوا . غزانا فارسكم وسيدكم وابن سيدكم فهزمناه مرة وأسرناه مرة ، وقتلناه مرة ، وأخذنا فى فدائه خرج أمه . وغزانا أكثركم غزوا وأنبهكم ذكراً فأعرجناه ، ثم أرجلناه. قال ابن عامر : عزمت عليكما إلا كففتما .

• قال : وسار عمر بن هبيرة الفزارى يوماً ، وإلى جانبه شريك النميرى ، فتقدمت بغلته فصاح به عمر : غض من لجامها . فقال : إنها مكتوبة ، فتبسم عمرو قال : ويحكم ! لم أرد هذا قال شريك : ولا أنا أردته .

ظن النميرى أن عمر عرض له بهذا البيت : (٢)

فغضَّ الطرف إنك من نُمَيرٍ   فلا كعباً بلغت ولا كلابـا

---

(١) ديوان جرير ص ٦١ من قصيدته : « أقلى اللوم عاذل والعتابا »
ورواية الديوان :
« أنا البازى المدل على نمير   أتحت من السماء لها أنصبابا »

(٢) البيت لجرير من قصيدته فى هجاء الراعى النميرى
« أقلى اللوم عاذل والعتابا »

فعرض لعمر بهذا البيت الآخر :

لاتـأْمَنَنَّ فزارياً خلوتَ بـــه على قلوصِك واكتبها بأَسْيار

قال أبو عبيدة : عبث شبة بن عقال بعبدالله بن عباس على باب الخليفة وكان على كف عبدالله وضح ، فقال : ما هذا الذى على ظهر كفك يا ابن عباس ؟ . قال : سلح النعامة . وكان شبة يلقب بسلح النعامة لأ نه كان مفرط الطول .

* حدث بعضهم قال : حضرت مجلس عمر بن فرح الرجحى وهو يتقلد ديوان الخراج . وقد حبس للمظالم . وكان إذا جلس رفع الحجاب . ووصل إليه الناس كيف شاءوا . قال : والناس يتكاثرون بين يديه إذ دخل عبد الحميد بن سلم بن سعيد الباهلى ومعه ابنه الأفوه ، كان متعصباً ، فجعل يتخطى الناس ، وعليه دراعة صوف ، وابنه معه يتخطى الناس ، فأنكر عمر ذلك وجعل ينظر إليهما ولم يقل شيئا ، فلما قربا منه اقبل على عبد الحميد فقال له : من هذا ؟ . فقال له : هيهات ! أصلحك لله ، وهل يخفى القمر ؟! هذا ابنى . فقال عمر : إن كان كذلك فارفع عنه حاشية الإزار . فقام خجلا . أراد قول بشار :

إذا أَعيتك نسبةُ باهِـــــلىٍّ فكشِّفْ عنه حاشيةَ الإزارِ
على أَستَاهِ سادِتِهم كتابٌ مَـــوَالى عامــرٍ وسْماً بِنــارِ

* ودخل بشار الحمام ، فقال له رجل من باهلة : وددت أن الله يابشار رد عليك بصرك . قال بشار : ولم ؟ . قال : أتعلم أنك كذبت فى قولك :

إذا أَعيتْك نسبٌ باهِلىٍّ .... البيتان

فقال بشار : إنما قلت على أستاه سادتهم وأنت من السفلة .

وقالت دختنوس بنت ربيع بن زرارة يوم الشعب :

فرت بنو أسد خروءَ الطير عن أربابها

فقيل لبنى أسد : خروء الطير .

* وقال امرؤ القيس فى بنى أسد :

قولا لدودان عبيد العصا ما غركم بالأسد الباسل

فسميت بنو أسد عبيد العصا .

* وسأل مزرد بن ضرار أمه أن تعطيه ديناراً فأبت ، فقال : لئن لم تعطنى لأعرض بعرضك لأخبث شاعر فى مضر ، فلم تعطه شيئاً ، فقال :

حكّ الحمار برأس فيشته أم الحطيئة من بنى عبس

فأتت أمه إلى الحطيئة فأخبرته بخبره معها وسألته فى الكف عنها ، فكف.

* قال أبو عبيدة خرجت إلى البادية لأسمع بعض كلام الأعراب ولغاتهم ، فدخلتها فرأيت رجلا نائما متلفعاً بازاره فركضته برجلى، فقال لى: من أنت ؟. قلت : أنا رجل من أهل الحضر ، أردت أن أسمع من كلامكم ولغاتكم . قال: فأنشدنى :

يحنُّ قلوصِى ذوالخِياط صبابة بمكة يومًا من تذكرهَا نجداً

تذكرّتْ نجداًموْهناً بعدما انطوت بمثلته وازداد من أهله بعدا

فقلت له لاتبك ليلك كلّه أَصَابَ حِمامُ الموت أهونَنا وجْدَا

قال : فأنشدته :

باتت تُشَوِّقُنِي برَجْع حديثها ... وأَزِيدها شَوْقاً برجع حنينى

نِضوين مغتربين بين مهامةٍ ... طَوَيَاالضُّلُوعَ على جوًى مكنونِ

لو خبرَّت عنى الضُّلوع لخبَّرت ... عن مستقرٍّ صبابة المحـزونِ

قال : فقال لى : ويحك ! . معك هذا وأنت تطلب من كلامنا .

القلوص فى الإبل الأنثى ، مثل الجارية من الناس . والبكرة مثل الفتاة والناقة مثل المرأة، والجمل مثل الرجل ، والبعير مثل الإنسان . وذو الخياط أى ذو سمة فى الفخذ طويلة عرضاً ، وهى سمة لبنى سعد .

* قال العتبى : وسمع أعرابى رجلا يقع فى السلطان فقال : ويحك ! . إنك غفلٌ لم تسمك التجارب ، وفى النصح لسع العقارب ، وكأنى بالضاحك إليك باكيا عليك .

* قال العتبى : سمعت أعرابيا يقول : ما رأيت أحداً غفلا من نوائب الدهر ، ولكن مواسمه تختلف، فميسم أحرق جلداً، وثان شوى لحما، وثالث هاض عظما ، ورابع أتلف نفسا، وفى كل واحد منها له واعظ لو عقل عن دهره ، ولكن العقل لو عمر مائة عام وشاهد ما تملى عليه به الأيام لم تجده إلا جزعاً فى الغرة .

ولما عزل مسلمة عن العراق ، وولى عمر بن هبيرة الفزارى . قال: الفرزدق : (1)

راحت بمسلمة البغال مورَّعــاً ... فارعَىْ فزارة لاهناك المرتــعُ

---

(1) ديوانه ص ٥٠٨ ط الصاوى مع خلاف فى رواية الأبيات وترتيبها فآخرها هنا يأتى أولها بالديوان .

فسد الزمان وبدّلت أَحلامُه حتى أَميةُ عن فزارةَ تنزعُ (١)

ولقد علمتُ إذا فزارةُ أُمِّرَتْ أَنسوف تطمع فى الإمارة أَشجعُ (٢)

نزع ابن بشر وابن عمرو بعده وأَخو هراة لمثلها يتوقعُ

ابن بشر عبدالملك بن بشر بن مروان. كان مسلمة أمره على البصرة . وابن عمرو هو سعيد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وكان على خراسان ، وأخو هراة عبدالعزيز بن الحكم بن أبى العاص وعرض لعمر بن هبيرة الفزارى .

ولما ولى خالد بن عبدالله القسرى قال : (٣)

بكت المنابر من فزارة شجوها فاليوم من قسر تضجُّ وتجزعُ

وقال : (٤)

أَلاَ قطَع الرَّحْمَنُ ظهر مطيةٍ أَتَتْنَا تهادَى من دِمَشقٍ بخالِدِ

وكيف يؤُمُّ النَاسَ(٥) من كانتْ امُّه تَدينُ بأَنَّ اللهَ ليس بواحِدِ

وقال أيضا لخالد بن عبدالله حين جلد بسبب عبدالله بن شيبة العبدرى : (٦)

---

(١) رواية الديوان :

إن القيامة قد دنت أشراطها حتى أمية عن فزارة تنزع

(٢) رواية الديوان : « ولقد علمت لئن فزارة أمرت »

(٣) البيت ليس فى الديوان طبع الصاوى

(٤) ديوانه ص ١٨٩ ورواية عجزه « أتتنا تخطى من دمشق .. »

(٥) ديوانه ص ١٩٠ وروايته « وكيف يؤم المسلمين وأمه »

(٦) وهو ابن شيبة الحجبى وكان خالد قد ضربه مائة سوط لأنه لم يفتح له الباب وتغافل

لعمرى لقد سار ابن شَيبةَ سيرةً   أرتك نجوم الليل ضاحيةً تجرى(١)

لعمرى لقد صبت على رأْس خالد   شآبيب ما استهللن من سبل القطر

أتَضْرِبُ فى العِصْيانِ من كان عاصيا   وتَعْصَى أميرَ المؤمنين أَخا قَسْر (٢)

فلولا يزيد بن المهلب حلَّقتْ   بكفك فتخاءُ إلى جانب الوكر(٣)

وذلك أن عبدالله الأصغر بن شيبة بن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة كان يقال له الأعجم لثقل كان فى لسانه أخافه خالد أيام إمرته على مكة فهرب منه واستجار بسليمان بن عبد الملك ، فكتب له إلى خالد ألا تفتحه ، فجاء بالكتاب وأخذه فوضعه ولم يفتحه . وفى الكتاب

« ألا سلطان لك عليه ، ولا على أحد من بنى شيبة »

فأمر به فجلد مائة سوط ، ثم فتح الكتاب ، فأتى الشيبى سليمان ، فأراه ظهره وثوبه مترملا بالدماء ، فكتب سليمان إلى طلحة بن داود الحضرى ، وكان قاضى مكة : إن كان خالد ضربه وقد قرأ الكتاب ثم جلده قطعت يده . وإن كان جلده قبل أن يقرأ الكتاب فاقتد منه . فاقتاد منه عبدالله بن شيبة ، ففى ذلك قال الفرزدق قوله فى الأبيات المتقدمة . وكان هشام فى خلافته قد

---

(١) الأبيات فى الديوان ص ٣٧٢ ومطلعها قوله :

لعمرى لقد صابت على ظهر خالد   شآبيب ما استهللن من سبل القطر

وفى الأغانى :

« لعمرى لقد هال ابن شيبة صولة »

وفى الديوان « أرتك نجوم الليل ظاهرة تجرى »

(٢) فى الديوان « أتضرب فى العصيان تزعم من عصا »

(٣) فى الديوان : « بكفك فتخاء إلى الفتخ فى الوكر » . ويزيد بن المهلب شفع فى خالد القسرى لدى سليمان بن عبد الملك حتى لا يقطع يد خالد لضربه الحاجب القرشى ابن شيبة

كتب إلى خالد عند تغيره عليه بكتاب فزعه فيه بما كان من حربه على ابن شيبة ، ومن الانتقام منه ، ويتوعده أنه سيكون له منه أشد من ذاك ، ففعل به ما قال ، وعـــزله وأهانه . وكان خالد بن عبد الله أيام أمرته بالعراق أمر على الشرطة مالك بن المنذر بن الجارود ، وكان عبدالأعلى بن عبدالله بن عامر يدعى على مالك فرية فأبطلها خالد ، وحفر النهر الذى سماه المبارك فانتقض عليه ، فقال الفرزدق فى ذلك : (١)

أهلكت مال الله فى غير حقـــه على نهرك المشئُوم غير المبـــارك

وتضربُ أقوامًا بـــراءً ظهورُهم وتتركُ عهْد الله فى ظهر مالك (٢)

أإنفاقَ مالِ الله فى غير حقه (٣) ومنعاً لحق المرملاتَ الضَّرائك (٤)

فكتب خالد إلى ما لك بن المنذر : احبس الفرزدق فانه هجا أمير المؤمنين ، فأرسل خالد إلى أيوب بن عيسى الضبي فقال : ائتنى بالفرزدق ، فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه فطلب إليهم الفرزدق أن يمروا به على بنى حنيفة . فلما قيل لمالك : هذا الفرزدق انتفخ سحره وربا . فلما أدخل عليه قال : (٥)

أقول لنفسى حين غصت بريقها ألاليت شعرى ماالها عند مالك (٦)

لها عنده أن يرجع الله رُوحهــا إليها وتنجو من عظام (٧) المهالكِ

---

(١) راجع طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١–٣٤٧ طبع محمود شاكر

(٢) فى الطبقات « وتترك حق الله »

(٣) فى الطبقات « كنهه »

(٤) والمرملات الضرائك الفقيرات الهالكات من سوء المال

(٥) طبقات ابن سلام ١–٣٤٨والديوان ص ٦٠٠ والأغانى ١٩–١٨

(٦) رواية الديوان ص ٥٩٩ :

أقول لقيس لا يجـــاد بمثلها ألا ليت شعرى ما لها عند مالك

(٧) رواية الديوان « حذار المهالك »

وأنت ابن جَبَّارَىْ ربيعة أدركا(١) بك الشمس فى الخَضْراءِ ذَاتِ الحبائِكِ

فشكاه مالك وأمر به إلى السجن ، فقال يهجو أيوب بن عيسى الضبى :(٢)

نَمتْ له بالرحم بينى وبينـــه وألفيته مِنى بعيداً أَواصِره
وقلتُ امرؤٌ من آل ضبة فانتمى إلى غيرهم جلد استهه ومناخِرُه
فسوف يرى الزّنجىُّ ما اكتدحت له يداه إذا ما الشِّعرُ غَنَّتْ فواقِـرُه

ثم امتدح مالكا بعد ذلك فقال : (٣)

قرومٌ بَيْنَ أولادِ المعـــلاَّ وأولادِ المسامحةِ الكرام (٤)
تخمَّطَ فى ربيعة بين بكرٍ وعبدالقيس فى الحسب اللُّهامِ

فلم ينفعه مدحه خالداً ومالكا .

ومر الفرزدق بخالد وهو يضرب ، فقال له : ضم إليك جناحك يا ابن النصرانية . قال خالد : وانتفعت بما قال . وكان الفرزدق قال حين حبسه خالد : (٥)

وإنى لأَرجو خالداً أن يفـــكَنىّ ويطلق عنىّ مُثْقَلاتِ الحدائِد
فإن يكْ قيدى ردَّ هَمىِّ فرُبَّمـــا تناوَلت أطراف الهموم الأَبَاعدِ(٦)
يقول لى الحدَّاد هل أنت قائِمٌ وما أنا إلا مثل آخر قاعِـــدِ

---

(١) الديوان « حلفت » والخضراء ذات الحبائك السماء
(٢) الأبيات فى الأغانى ٢٤/١٩
(٣) الديوان ص ٨٤٨
(٤) رواية الديوان « وأبناء السامعة » ، وصدره : « تحنك قروم »
(٥) الديوان ص ١٥٧ وهى على غير الترتيب الموجود بالقصيدة
(٦) الديوان : العجز « ترامى به رامى الهموم الأباعد »

وكان الفرزدق مدراً ، ويقع له الغريب . واتفق الحذاق بالشعر على أنه أعجب الشعراء مقطعات .

وقال له عنبسة مولى عثمان : يا أبا فراس : متى تذهب إلى الآخرة ؟ . قال : وما حاجتك إلى ذلك ؟ . قال : أكتب معك إلى أبي . قال : أنا لا أذهب حيث أبوك . أبوك في النار ، ولكن أكتب له مع دبالويه واصطفانوس

* ومر بباب رجل من تميم وهو على الشرط ، فرأى امرأته وخادمتها فأعجبته المرأة ، وعليه برد وشي ، فقالت الخادم للمرأة : ياسيدتي أترين هذا البرد على هذا الأعرابي ما أحسنه ! . فقال الفرزدق للخادمة : هو لك إن قبلت مولاتك . فقالت الخادمة لمولاتها : وما عليك من قبلة هذا الأعرابي الأحمق ! الذي لايعرفه الناس ! .. فلما بايعته على ذلك قبلها ودفع اليها البرد ، ثم استسقى من الجارية ماء ، فأتته بماء في إناء زجاج فشرب ثم ألقى الإناء من يده فانكسر ، ثم قعد جانباً إلى أن جاء رب الدار ، فأبصره فقال : أبا فراس ما أقعدك هنا ألك حاجة ؟ . قال : لا والله ، ولكني استسقيت من هذه الدار فأتوني بماءٍ في قدح من زجاج فوقع الإناء من يدي فانكسر ، فأخذوا بردي رهناً . فدخل الرجل فشتم أهله ثم قال : ردوا على الفرزدق برده .

* ومر بامرأة من بني مازن وهي على فرس لها فقال : بأبي أنت وأمي لوددت أني أقبل على مقبلك هذا فقالت : إذا والله تقبل على كمرة حارة . فأخجلته .

* ووقف الفرزدق على بني ربيع ، وفيهم ابن محكان شاعرهم ، وقد كان هجا الفرزدق غضباً لبني منقر ، فقالوا له : مرحباً لسيدنا وشاعرنا . وكان الفرزدق راكباً على بغل ، فقال : بغلي في حرم سيدكم يعني ابن محكان . وكان الفرزدق هجاهم ، فقال فيهم : (٢)

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٣٢٦ على اختلاف في الرواية

(٢) المصدر نفسه ص ٣٢

كَأَنَّ رُبَيْعاً من عَماية مِنْقَر أَتَانٌ دعَاها فاستجابت حمارُها

تُرجِّى رُبيعٌ أَن تجيءَ صغارها بخيرٍ ، وقد أَعي رُبْيعاً كِبارُها

فلما قال البعيث : (لجرير) (١)

تُرجِّى كليبُ أن تجيء صغارها ... البيت

قال الفرزدق :

إذا مـا قلتُ قافيـة شروداً تنحَّلهَا ابن حمراءِ العِجانِ

* ومات الفرزدق وقد قارب المائة ، ويقال إنه ولد ليلة بدر . وقيل له في مرضه الذى مات فيه : أذكر الله عز وجل . فسكت طويلا ، ثم قال :

إلى من تفزعون إذا حثوتم بأيديكم على من بالتراب

ومن هذا يقوم لكم مقامى إذا ما الريق غص من الشرابِ

فقالت مولاة له : نفزع إلى الله . فقال : أخرجوا هذه من الوصية . وكان أوصى لها بمائة درهم .

* لقى الفرزدق شاب من أهل البصرة فقال : يا أبا فراس أحب أن أسألك عن مسألة قال : سل . قال : أيما أحب إليك ، تسبق الخير أم يسبقك الخير؟ . قال : يا ابن أختى أتثيبنى إن أجبتك ؟ . قال : نعم . فحلفه على ذلك ثم قال : نكون معاً لا يسبقنى ولا أسبقه . أسألك الآن ؟ قال : نعم قال : أيما أحب إليك أن ترجع إلى منزلك فتجد امرأتك قابضة على أير رجل أو تجد رجلا قابضاً على حرها ؟ .

* قال ومر الفرزدق بسكة المربد فاذا نسوة به ، فنزل عن دابته ، فجعل يطلب التراب ، وقال سقط منى ايرى . فقالت له إحداهن : متاعك أشد جعودة من حر أمك .

---

(١) الزيادة بين المعقوفين من الطبقات ص ٣٢٧ وتمام البيت فى الطبقات :

ترجى كليب أن يجىء حديثها بخير وقد أعيى كليبا قديمها

* قال أبو عبيدة : مر الفرزدق على نسوة وهو على بغلة فلما حاذاهن ضرطت فضحكن . فقال : مم تضحكن ، فما حملتني انثى إلا صنعت ما ترين . قالت إحداهن : ما حملتك انثى أكثر مما حملتك أمك تسعة أشهر ، فكيف كان ضراطها إذا ؟ .

* ودخل على عبد الملك بن مروان وتقدم بعض جلسائه حول الفرزدق فقال : يا أبا فراس كأنما وجهك أحراح النساء مجموعة . فقال له : تأمل عسى أن ترى فيهن حر أمك . فخجل الرجل .

* وكتب الفرزدق إلى جرير كتابا يدعوه إلى الصلح ويقول : « ويحك ! ذهبت أيامنا وكثرت آثامنا وقطعنا الدهر بشتم العشيرة ، فهلم إلى الصلح . » وفى آخر كتابه :

شهدتْ طهيةُ والبراجمُ كلها　　　أَن الفرزدق ناكَ أَم جرير

وقال لهما بعض الخلفاء : حتى متى لا تنزعان ؟ . فقال جرير : إنه والله يظلمنى . قال : صدق : أنا أظلمه ، ووجدت أبى يظلم أباه !

* دخل الفرزدق على بلال بن أبى بردة فقال له : أحججت ؟ . قال : نعم . قال : فما رأيت يا أبا فراس ؟ . قال : رأيت شيخاً يطوف بالبيت آخذة امرأته بحجزته ، خلفها ولدان لها وهو يقول :

أَنت وهبت زائِداً ومزيـدَا　　　وكهلةً أُولج فيها الأَجردا

وهى تقول : إذا شئت إذا شئت . فقلت له : ممن أنت ؟ قال : أشعرى . قال له بلال بن أبى بردة : كذبت والله . مارأيت هذا ، ولقد أتتفكتها من حينك . (١)

---

(١) فى الأصل غير واضحة وصححتها من طبقات ابن سلام ١ / ٣٧٠ — ٣٧١

* ودخل الفرزدق على بلال بن بردة فالتحاه فى مدح اليمن ، فقال له الفرزدق : إن فضل اليمن الذى لا يدفع ولا سيما الواحدة التى ثار بها أبو موسى فقال بلال : ان فضائل أبى موسى لكبيرة ، وإنها تغنى . قال الفرزدق : بحبسه عن النبى صلى الله عليه وسلم حين حجمه . قال بلال : قد فعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفعل مثل ذلك قبله ولا بعده . فقال الفرزدق : الشيخ كان اتقى لله وأعلم به من أن يقدم على ريبة بغير خوف .

* قال ابن سلام(١) : قدم الأحوص فنزل على عمرو بن عبيد الأنصارى وكان الأحوص يشتكى رجله ، فجاء على عصا حتى قعد معه فى الحلقة قبلىّ قُبا فأخذ عمرو عصاه فضرب بها رجله الأخرى فكسرها فحمل إلى منزله ، فمر به الفرزدق ، فقال له : متى عهدك بالزنا يا أبا فراس ؟ فقال : منذ ماتت العجــوز .

* بينا الفرزدق يسير إذ مر برهط من كليب ، فأخذوه ، وجاءوا بأتان ، فقالوا أنت تعيرنا بالأتن ، فوالله لاتريم حتى تنزو عليها . قال : دعونى لا أبالكم ، فأبوا عليه . فقال : أما إذا أبيتم فجيئونى بالصخرة التى كان يقوم عليها عطية إذا أراد ذلك . (٢)

وقال الفرزدق(٣) حين صار إلى الحجاز : (٤)

---

(١) فى كتاب الطبقات ٢١١/١ ، ... نا ابن سلام قال : حدثنى يونس قال : قدم الأحوص الشاعر ، فنزل على عمرو بن عبيد الأنصارى ، فمر به الفرزدق فقال له : متى عهدك بالزنا يا أبا فراس ؟ قال منذ ماتت العجوز .

(٢) طبقات فحول الشعراء ٣١٠/١ مع بعض التغيير فى لفظ آخر العبارة .

(٣) قال ابن سلام : « وقال الفرزدق حين صار إلى الحجاز ولجأ إلى سعيد » وسعيد هو سعيد بن العاص

وقد ذكر ابن سلام بيتين فقط هما الرابع والخامس هنا ٣١٠/١ وهما على غير ترتيبهما هنا بالنسبة إلى الأبيات السابقة ، وقد جاء بهما ابن سلام متتابعين كما هما هنا ، على خلاف الديوان .

(٤) الأبيات الثلاثة الأولى فى الطبقات لابن سلام ص ٣٠٨/١

أَلم يأْته أَنىِّ تَخلَّلُ ناقتى ... بنعمانَ أَطرافَ الأَراكِ النواعِم(١)

مُقَيَّدةً ترعَى البريرَ ورحْلُها ... بمكَّةَ مُلْتَقٍّ عائِذٌ بِالمحارِم (٢)

فدعنى أَكنْ ماكنتُ حيًّا حمامةً ... من القاطناتِ البَيتَ غيرِ الروائم (٣)

نَمتْكَ العَرَانينُ الطوالُ ولاأَرَى ... لِسَعْيكَ إلا جَاهِداً غير لآثِم

فإلا تداركنى من الله نعمةٌ ... ومن آل حَرْبٍ أَلقَ طيرَ الأَشَائِم

فلما سمعها زياد رق له ، وقال : لو أتانى لأمنته ، وأعطيته ، فقال الفرزدق فى كلمة له : (٤)

دعانى زيادٌ للعطاءِ ولم أَكُنْ ... لآتيه ماساَقَ ذو حَسبٍ وفْرا

وعندزيادٍ لو يريد عطاءَهم ... رجالٌ كثيرٌ قد يرى بهمُ فَقْرا

قُعُودٌلدى الأَبْوابِ طالِب حاجةٍ ... عوانٍ من الحاجاتِ أَوحاجة بكرا(٥)

فلما خشينَا أَن يكون عَطَاؤُه ... أَداهمَ سوداً أَو محدرجةً سُمْرا

نميْتُ إلى حرفٍ أَضرَّ بَنيِّها ... سُرَى اللَّيْلِ واستعراضُها البلدالقفْرا

يرومُ بها الموماَةَ من لايَرى له ... لدى ابن أَبى سفيان جَاهاً ولاعُذْرا

---

(١) والضمير فى يأته عائد على زياد ، وكان قد توعده فلجأ إلى سعيد بن العاص بالمدينة . وتخلل الناقة : ترعى الخلة ، وهى نبت فيه حلاوة ، ونعمان واد بالقرب من مكة وعرفات لبنى هذيل وبه ينبت الأراك .

(٢) والبرير ثمر الأراك .

(٣) غير الروائم المفارقين

(٤) الطبقات ١/٣٠٤

(٥) فى الأصل « ظالم » نكرا بدلا من حاجة بكرا

* قال الجاحظ : قال شيخ من المسجد : ماكنت أريد أن أجلس إلى قوم إلا وجدت من يحدث عن الحسن ، ويروى عن الفرزدق ، وينشد له .

* وحدث الرياشى قال : كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بنى تميم والمصاحف فى حجورهم فيسر لذلك ، ويقول : إيه ! فدى لكم أبى كذا . والله كان أبركم .

وهو القائل فى آخر عمره حيث تعلق بأستار الكعبة ، وعاهد الله ألا يكذب ولا يشتم مسلماً :

أَلم تـرنى عاهـدتُ ربىّ وإننى ... لـبين رِتاجٍ قائمٌ ومَقَامِ
على حِلْفةٍ لا أشتم الدَّهْرَ مُسْلِماً ... ولا خارجاً من فِيَّ زُورُ كلام (١)

أراد أن ينشد هذه القصيدة الحسن البصرى ، وفيها هجا إبليس ، فتوقف عليه ، فقال الفرزدق : لئن لم تسمعها منى لا خرجن فأقول للناس إن الحسن البصرى (٢) ينهى عن هجاء إبليس . فأنشده القصيدة وفيها :

أطعتك يا إبليس تسعين حجةً(٣) ... فلما انقضىَ عمرى وتم تَمـامى
[فررْت إلى ربىّ وأيقنتُ أنَّـنى ... ملاقٍ لأيامِ المنونِ حِمَامِى] (٤)

* قال أبو عبيدة (٥) : كان الفرزدق قد حج وعاهد الله بين الباب والمقام

---

(١) البيتان فى الديوان ص ٧٦٩ من قصيدة مطلعها :
إذا شئت هاجتنى ديار « محيلة » ... ومربط أفلاء أمام خيـام
وفيها يهجو ابليس ، والبيت الثانى هنا يخالف رواية الديوان ففيه فى مطلعه : « على قسم » بدلا من على حلفة
(٢) فى الأصل العبارة غير واضحة وبها نقص وصحتها من الطبقات ١/٣٣٦
(٣) هكذا فى الأصل وفى الديوان « سبعين » و « فلما انتهى شيبى »
(٤) البيت من الديوان ليتم المعنى
(٥) فى الأصل ابن عبيدة

ألا يهجو أحداً أبداً ، وأن يقيد نفسه ، فلا يحل قيده حتى يجمع القرآن .
فلما قدم البصرة قيد نفسه . وقال : توبة من الشعر :

ألمْ ترنى عاهدت نفسى ... الأبيات

وبلغ نساء مجاشع فحش جرير بهن ، فأتين الفرزدق مقيداً ، فقلن : قبح الله قيدك ، وقد هتك جرير عورات نسائك ، فلا حييت شاعر قوم ! .
فأحفظنه ، ففض قيده . وقال : (١)

أَلاَ استهزأت منى سويدة أن رأت ... أسيراً يدانى خطوَهُ حَلَقُ الحِجْلِ
ولــو عَلِمتْ أن الوثاق أَشَــدُّهُ ... من النار قالت لى مقالة ذى عقلِ (٢)
لعمرى لِئنْ قيدتُ نفسِى لطالما ... سعيتُ وأَوضعتُ المطية فى الجْهلِ
ثمانينَ (٣) عاماً ما أرَى من عمَايةٍ ... إذا برقتْ إلاَّ شَددْتُ لها رَحْلِىَ
أتتنى أَحاديثُ البعيث ودونـــه ... زرودٌ ،فشاماتُ الشقيقِ إلى الرَّمْلِ (٤)
فَقُلْتُ أظَنَّ ابن الخبيثة أنَّـــــنى ... شُغِلْتُ عن الرَّامِى الكِنَانَةَ بالنَبْلِ
فإنْ يَكُ قيدى كان نذراً نذرتُه ... فمابىَ عن أحسابِ قَومى مِنْ شُغْــلِ
أَنا الضامِنُ الراعِى عليهم ، وإنما ... يُدافعُ عن أَحسابِهم أنا أَو مِثْلى
ولو ضَاعَ ماقالوا ارْعَ منا وجدتَهُمْ ... شحاحاً على الغالى من الحسب الجَزْلِ
إِذًا ما رضوا منى إذا كنتُ ضامناً ... بأَحْسَابِ قومى فى الجبال وفى السَّهْلِ

---

(١) ديوانه ص ١١١١ ورواية الأول : « الا استهزأت منى هنيدة »
(٢) فى الأصل « مقالة من عقل » وصحته من الديوان
(٣) فى الديوان « ثلاثين عاما » . ولا يتفق مع ما جاء فى الميمية السابقة من أنه أطاع ابليس سبعين حجة على رواية الديوان ، ولكنه يقترب من قوله : « تسعين » كرواية المؤلف
(٤) زرود ماء لبنى مجاشع

فمهما أَعِشْ لايُضْمِنُونى ولاأُضِعْ   لهم حَسَباً ما حَرَّكَتْ قَدمِىنَعْلى (١)

أشده من النار أى من خوف النار ، والعماية الجهل ، وزرود ماء لبنى دارم والشامات يفع من الرمل . والبعيث ابن عم الفرزدق .

* قال ابن سلام : كان الفرزدق إذا أصاب دراهم أتى بها النوار (٢) فتمسك(٣)بعضها وتعطيه بعضاً ، وكانت دينة (٤) ، وكانت تزعم أنه طلقها ، ويجحد هو ذلك (٥) ، فاحتاجا يوماً ، فقالت : أعطيك كذا وكذا درهما على أن تشهد الحسن على طلاق (٦) . قال : نعم . فأعطته ، فأتى الحسن (٧) ، فقال : أيها الشيخ (إنى) قد طلقت النوار . قال : قد سمعنا ما قلت فلما حضرها الموت أوصته (٨) أن يصلى عليها الحسن ، فأخبره . فقال : إذا أخرجتموها (٩) فأعلمنى . فأخرجت فجاء الحسن والفرزدق ، وقد سبقها الناس فانتظروهما فأقبلا والناس ينظرون إليهما ، فقال الحسن : ما للناس ؟ . قال الفرزدق : يرون خير الناس وشر الناس . فقال الحسن : كلا : لستُ بخيرهم ، ولستَ بشرهم . ثم قال له على قبرها : ما أعددت لهذا المضجع ؟ ! يا أبا فراس ؟ . قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة (١٠) . فزعم بعض التميمية أن

---

(١) الضمن : الزمن ، والضمانة الزمانة والعجز

(٢) النوار هى النوار بنت أعين بن ضبيعة ابنة عم الفرزدق وزوجه ، والفقرة فى طبقات ابن سلام ١ / ٣٣٤

(٣) فى الطبقات فتحرز

(٤) فى الطبقات مسلمة تأله

(٥) فى الطبقات ويجحدها ،

(٦) فى الطبقات ، على أن تشهد على طلاقى الحسن

(٧) سقطت عبارة فأتى الحسن فى نسخة الطبقات . والحسن هو الحسن البصرى

(٨) بعدها فى الطبقات عبارة « وهو ابن عمها »

(٩) فى الطبقات « إذا فرغتم فأعلمونى »

(١٠) فى الطبقات « مذ سبعون سنة »

الفرزدق رئى فى النوم فقيل له : ما صنع بك ربك ؟ . فقال : غفر لى . فقيل : بأى شيء ؟ . قال : بالكلمة التى نازعنيها الحسن . (١) .

وقال الفرزدق : (٢)

أَخَافُ وراءَ القبر إن لم يُعافِنِي ... أَشدَّ من القَبْرِ التهاباً وأَضْيَقَا

إذا قادَنِي (٣) يومَ القيامةِ قائدٌ ... عنيفٌ ، وسَوَّاقٌ يسوقُ الفرزدقَا

لقد خابَ من أولاد دَارِمٍ من مشى ... إلى النارِ مغلولَ القلاَدةِ أَزرقا (٤)

إذا شربوا فيها الحميمَ (٥) رأيتهم ... يذوقونَ(٦) من حرّ الحميمِ تمَزُّقَا

* قال المدائنى : قال سابق البربرى : بينا نحن بباب معاوية بن هشام إذ خرج الفرزدق مسحوباً على وجهه حتى ألقى بين أيدينا . فقلنا : ماله ؟ . فذكروا أن معاوية قال له : من أشعر الناس ؟ . قال : حسان بن ثابت . ثم أنشده :

أَرونى سعوداً كالسعود التى سمت ... بمكة من أبنــاءِ عمرو بن عامِرِ

هُمُ عقــدوا لله ثم وفَــوا بمـا ... تضايقَ عنــه كلُّ بادٍ وحاضِرِ

أَقاموا قناةَ الــدين حتى تمكنت ... أَواصِرُهُ بالمرهفــاتِ البواترِ

بأَسيافهم ذلَّتْ معــدٌّ لرَبّهـا ... فقام على قصد الهُدَىَ كلُّ جائِرِ

---

(١) الفقرة من أول فزعم بعض التميمية زيادة فى الكامل للمبرد ٢ ص ٢٠

(٢) الأبيات فى الديوان ص ٥٢٨ بترتيب مخالف تبدأ بالبيت الثالث هنا

(٣) فى الديوان « جاءنى »

(٤) فى الديوان « مشدود الخناقة أزرقا »

(٥) رواية الديوان « الصديد »

(٦) الديوان « يذوبون من حر الحميم »

* وقال الفرزدق لمالك بن المنذر بن الجارود : (١)

يا مال هَلْ هو مهلكى ما لم أَقُـلْ ... ولتعرفَنَّ مِنَ القصائِدِ قيلى (٢)

يامال هَلْ لَكَ فى كبير (٣)قدأتتْ ... تسعُون فوقَ يديه غير قَليـــل

فَتَجُزَّ ناصِيتى وتفرجَ كُرْبــتى ... عَنِّى وتُطلِقَ لى يدَاكَ كُبُولى

ولقــد نمت بِكَ للمعالى ذروةٌ ... رفعتْ بناءَكَ فِى أَشَمّ طوِيلِ (٤)

والخيل تعلَمُ (٥) فى جَذِيمَةَ أَنهَّــا ... تردى (٦) بكلّ سَمَيْدَع بُهْلولِ

إن ابن جَبَّارَىْ ربيعــةَ مالــكاً ... لله سيفُ صنيعـــةٌ مسلولِ

* وقال النجاشى الحارثى لابن مقبل العجلانى : (٧)

أَولئك إخوانُ اللَّعين وأُسْرَةُ الـ ... هَجين ورَهْطُ الـوَاهِـن المتَذلِّلِ

ومــا سُمِّىَ العجـــلانَ إلا لقولهم ... خذْ القَعبَ واحلُبأَيها العَبدواعَجل

إذا الله عادَى أَهْل لُؤم ورِقَّــةٍ ... فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

قُبيِّلـــةٌ لا يغـــدرونَ بذمة ... ولا يظلمونَ الناسَ حبَّةَ خَرْدَلِ

ولا يردون المـــاءَ إلا عشيَّةً ... إذا صَدَر الـورَّادُ عن كل مَنْهَلِ

تعاف الكلابُ الضارياتُ لحومَهُم ... ويأْكُلْنَ من كعب بن عوف بن نَهشَلِ

---

(١) الديوان ص ٦٨٠

(٢) رواية الديوان يأتى هذا البيت تاليا لبيت الثانى وبينهما ثالث . و « هل أنا مهلكى » بدلا من « هل أنا »

(٣) رواية الديوان « أسير »

(٤) رواية الديوان :

« ولقــد نمت بك للمعل ســوره » ص ٦٢٨

(٥) رواية الديوان : تعرف .

(٦) فى الديوان : « تعــدو »

(٧) هو تميم بن أبى بن مقبل

واستعدى بنو العجلان عمر بن الخطاب رضى الله عنه على النجاشي فقالوا : هجانا . قال : وما قال لكم : قالوا قال : (١)

إذا اللهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ ورقَّةٍ... البيت

قال : إنما دعا عليكم ، والله لا يعادى مسلما . قالوا : فقد قال :

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْـدِرُونَ بِذِمَّةٍ ... البيت

قال عمر : ليتنى من هؤلاء . فأنشدوه .

ولا يَرِدُونَ المـاءَ إلا عشيَّةً ... البيت

فقال : ذاك أقل للزحام (٢) ، فأنشدوه :

تَعافُ الكلابُ الضَّارياتُ لحومَهُمْ
ويأكُلْن من كعبِ بن عوف بن نَهْشَلِ

فقال عمر : كفى ضياعاً بمن تأكل الكلاب لحمه .

فأنشدوه :

وما سُمِّيَ العجْلانُ إلاَّ لقوله خذ القعب .. البيت

فقال : كلنا عبد ، وسيد القوم خادمهم .

فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا . فقال : ما اسمع ذلك ، إنما دعا عليكم. قالوا : فسل حساناً . فسأله ، فقال : ما هجاهم ولكنه سلح عليهم .

---

(١) أورد ابن رشيق الخبر مع بعض الاختلاف العمدة ١/٥٢

(٢) رواية ابن رشيق « أقل للسكاك » العمدة ١/٥٢

وكان بنو العجلان يفخرون باسم أبيهم ، وإنما سمى العجلان لتعجيله القرى للضيفان فكان ذلك شرفاً لهم ، فلما هجاهم النجاشى جزعوا منه فوسموا به إلى اليوم .

* وكان ابن مقبل من الشعراء الحذاق المجودين . وكان يجيد البديع فى شعره . وقال عبدالملك بن مروان للأخطل : أى الناس أشعر ؟ قال : العبد العجلانى . قال : لمِذاك ؟ . قال : وجدته قائماً فى بطحاء الشعر ،والشعراء على الحرفين .

ويقال إن عمر رضى الله عنه قال للنجاشى : أما قولك :

تَعافُ الكلابُ الضارياتُ ... البيت

فلا أعذرك فيه وحبسه وضربه .

* حدث الزبير بن بكار قال : قال رجل :

ليهن ابن بهثة ما عنــدهُ فلستُ وإن حسدوا حاسِدا

مهاتان لونهما واحــدٌ يُعلاَّنِه ثغرًا بـاردا

فبورك فيه وفى أهلــه وفى مالـهِ ونما صاعِدًا

فاستعدى عليه عمر بن الخطاب وقال : نسب بزوجى . فقال : ما أسمع بأساً وعلى ذاك لا أسمع رجلا ذكر حرمة رجل إلا نكلت به .

* والعرب تمدح فترفع ، وتهجو فتضع ، فاذا مدحت الشئ بلطاقتها وذلاقة ألسنتها أختير وبسط عذره ، كما غطيت بالهجاء محاسنه . ألا تسمع إلى قول الأول :

فعين الرضا عن كل عين كليلةٌ ولكن عين السخط تبدى المساويا

وإنما سميت البلاغة بلاغة لابلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع . (١)

* مر غيلان بن خرشة الضبي مع عبدالله بن عامر على نهر أم عبدالله الذى يشق البصرة فقال عبدالله : ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر ! . قال غيلان : أجل والله أيها الأمير ، فيتعلم العوم فيه صبيانكم ، ويكون لسقياهم ومسيل مياههم ، ويأتيهم بميرتهم . قال : ثم مر غيلان يساير زياداً على ذلك النهر ، وكان زياد عدواً لابن عامر فقال زياد : ما أضر هذا النهر بأهل هذا المصر . قال غيلان : أجل أيها الأمير تنزُّ منه دورهم ويغرق فيه صبيانهم ، ومن أجله يكثر بعوضهم .

فكره بعض الناس من البيان مثل هـــذا المذهب (٢) . وقال الأحنف لرجل أثنى على يزيد بين يدى معاوية ، ثم أعتذر للأحنف . فقال الأحنف : إن ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيهاً .

---

(١) نقل ابن رشيق عن عبد الكريم فى هذا المعنى قال : ومن كتاب عبد الكريم : قالوا حسن البلاغة أن يصور الحق فى صورة الباطل ، والباطل فى صورة الحق . العمدة ١/٢٤٦

(٢) نقل ابن رشيق معنى هذه العبارة فى العمدة ١/٢٤٨ . قال : قال : ومنهم من يعيب ذلك المعنى ، ويعده اسهابا ، وآخر يعده نفاقا وينقل الخبر السابق عن غيلان بن خرشة الضبي حتى قوله فكره بعض الناس .. » وقال انقضى كلام عبد الكريم .

وعلق ابن رشيق على ذلك بقوله : « والذى أراه أنا أن هذا النوع من البيان غير معيب بأنه نفاق لأنه لم يجعل من الباطل حقا على الحقيقة ، ولا الحق باطلا ، وإنما وصف محاسن شىء مرة ثم وصف مساويه مرة أخرى » .

باب
فى ذكر المهيرات والسرارى

تقدم إلى سوار بن عبدالله (١) العنبرى رجل من بنى العنبر فقال : إن أبى مات وتركنى وأخالى وخط خطين ثم قال : وهجينا لنا وخط ناحية فكيف نقسم المال : قال : أها هنا وارث غيركم ؟ قال : لا . قال : فالمال بينكم أثلاثاً . فقال : ما أحسبك فهمت أنه تركنى وأخالى وهجينا لنا . فقال سوار : المال بينكم أثلاثا . فغضب الأعرابى ثم أقبل على سوار فقال : تعلم . والله إنك قليل الخالات تالدة فينا(٢). فقال: سوار : إذا لايضيرنى ذلك شيئاً. وكان سوار ابن أمة .

شهد السيد الحميرى عند سوار فرد شهادته وقال : أنت رافضى ، فقال : (٣)

قف بنايا صاح وارِ بع بالمغانى الموُحشاتِ
يا أمين الله يا منصو ر يَا خيرَ الولاةِ

---

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار . كان قاضيا للمهدى على البصرة ، ومن قبله كان للمنصور وظل فى القضاء سبع عشرة سنة ، وولى صلات البصرة مرتين ومات وهو أميرها . كتب إلى المنصور أن عندنا رجلا شديد الترفض يدعى السيد الحميرى . فوقع فى كتابه : إنا بعثناك قاضيا لا ساعياً .
راجع المعارف للثعالبى ص ٦٨ وخاص الخاص له ص ٨٨

(٢) ربما قرئت بالدهناء

(٣) ديوان السيد الحميرى ص ١٣٨ القصيدة رقم ٣٢ بتحقيق شاكر هادى شاكر طبع مكتبة الحياة ببيروت بدون تاريخ

إن سوّارَ بنى عبد الله مِن شرِّ القضاةِ
حملٌ نعْثَلٌ لكمُ غيرُ مُسوّاتِ (١)
جدُّه سارقُ عَيْرٍ فجرةٌ من فجراتِ (٢)
والذى نادى رسولَ الله خلْفَ الحجراتِ (٣)
يا هناة اخرجْ إلينا إنّنا أهلُ هنَاتِ
فاكفناهْ لا كفاه الله شرَّ الطارقاتِ

فلما بلغ المنصور كتب إلى سوار أن لا يدلك عليه . فقيل للسيد : أعتذر إليه فقد أسأت القول فيه . ففعل ، فلم يقبل سوار منه . فقال :

أتيتُ دعِىّ بنى العنبرِ أَدُوم اعتذارا فلم أعْذر
فقلت لنفسى وألزمتها الـ ملامَةَ من لومها أقصرى (٤)
أيعتذر الحرُّ مما أتى إلى رَجُل من بنى العَنْبرِ
أبوكَ ابن سارق عَنْزِ النبيِّ وأمُّك بنْتُ أبى جحدَرِ
ونحن على رغمك الرافضون لاهل الضلالةِ والمنكَرِ (٥)

---

(١) قبله فى الديوان بيت ، وهو قوله :
أن سوارا لأعمى من ذوى جهر جناة
(٢) رواية الديوان « سارق عنز »
(٣) جاء معنى هذا البيت فى الديوان فى بيتين : قال :
ارسول الله والـ ـقاذفه بالمنكرات
والذى كان ينادى من وراء الحجرات
(٤) الأبيات فى ديوان السيد الحميرى ص ٢٣٣ القصيدة رقم ٨٥ ورواية البيت :
فقلت لنفسى وعاتبتها على اللوم فى فعلها أقصرى
(٥) رواية الديوان « على زعمك الرافضون » والمثبتة أصح

الهجين الذى أمه أعجمية أمة كانت أو حرة ، وأبوه عربى ، وكانوا لايرون قتل الهجين ثأراً .

رأيت المنايا خبط عشواءَ من تُصِبْ تُمِتْه ومن تُخْطِئْ يُعَمَّر فيهرَم

* وقال زيد بن على بن الحسين بن على عليهم السلام : بئست الجاهلية جاهلية زهير حيث يقول :

وأعلم ما فى اليوم والأَمس قبله ولكننى عن علم ما فى غدٍ عم

فقال له زيد : ما يسقى عليك الدواء . فقال له عبدالله : صدقت حين كان أبى ابن عم أمى يعنى أنه لم يكن ابن أمة ، يعرض بيزيد أنه ابن أمة .

قال : وتزوج عبدالله بن خالد بن أسيد امرأة من مراد ، فولدت له جارية ، فتزوجها عبدالله بن مطيع العدوى (١) ، فدخلت المرادية على عبدالملك ، فقال لها : خدعتم الشيخ حتى زوج ابن مطيع وما رجوتم منه ؟ قال : الذى رجا أبوك من ابن حنطب ، ثم قالت :

مالى لا أبكى بعين حزينةٍ وقد نكحَ البيضَ الأَوانِسَ حنطبُ
بنى السود المغابن جعدة لها نسبٌ فى آلِ دومة مطنبُ

آل دومة هم الزنج .

* قال يونس النحوى : قال أبو مهدية يوماً : خير الناس بنو مروان . قال : فحسبته ذهب إلى صلاح سليمان ، وإلى عدل عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ، وإلى نسك يزيد الناقص . ثم قلت له : بم صاروا عندك كذلك ؟ . قال : كانوا لايملكون ابن أمة . قال : وقلت لعبيد الله الكلابى : أيسرك أنك

(٣) عبد الله بن مطيع العدوى كان على المهاجرين يوم الحرة ، وقتل مع ابن الزبير فى مكة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب

هجين ، وأن لك ألف جريب فى أرض العرب ؟. وكان عبيد سائلا . قال : ما أحب اللؤم بشئ . قلت : فان أمير المؤمنين ابن أمة . قال : فأخزى الله من سمع له وأطاع . قلت : فان إسماعيل النبى وهو الفخر وأبوك الأكبر ابن أمة . قال : لا أصدقكم عليه . قلت هذا لا تختلف فيه العرب . قال : إذا والله لا أومن به . قلت : فإن إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أمة . قال : ما يقول هذا إلا قدرى . قلت : ما القدرى ؟ . قال : لا أدرى والله

وقيل لأبى المحش الغنوى ، وكان شديد التعصب على القحطانية : من خير الناس يا أبا المحش ؟ . قال : معد والله . قيل : فمن خير معد ؟ . قال : مضر والله . قيل : فمن خير مضر ؟ قال : قيس.قيل : فمن خير قيس ؟ . قال : غنى والله . قيل : فمن خير غنى ؟ . قال : محدثك والله . قيل له : فأنت إذا خير خير خير الناس قال : إى والله ! . قيل : أفيسرك أنك تزوجت بنت يزيد بن المهلب ، ولك الخلافة ؟ . قال : لا والله . قيل : فلك الجنة . فأطرق ثم قال عقلى أن لا تتنيد منى .

* ويمدحون الرجل الكريم فيقولون : هو ابن حرة . قال الزبير بن بكار : كان العرجى عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان رضى الله عنه يتعشق أم الأوقص المخزومى القاضى ، وهو محمد بن عبدالرحمن المخزومى ، وأمه من بنى تميم ، وكان يتعرض لها ، فاذا رأته سترت منه . فمر بها وهى فى نسوة ، وهن يتحدثن ، فعرفها ، وأحب أن يتأملها من قرب ، فعدل إليها ولقى أعرابيا على بكر له ومعه أطباء لبن ، فدفع إليه دابته وثيابه ، وأخذ قعوره ولبنه ولبس ثيابه ، ثم أقبل فمر على النسوة ، فصحن : يا أعرابى ! . أمعك لبن ؟ . قال : نعم . ومال إليهن . وجلس يتأمل أم الأوقص ، وتواثب من معها إلى الوطبين ، والعرجى يلحظها وينظر إليها وأحيانا إلى الأرض ، وهن يشربن اللبن . فقالت أمرأة منهن : أى شئ تطلب يا أعرابى فى الأرض ؟ ، أضاع منك شئ ؟ قال : نعم . قلبى ! . فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه وكان أزرق فعرفته ، فقالت : ابن عمرو ، ورب الكعبة . فوثبت وسترها

نساؤها ، وقلن له : انصرف عنا . لا حاجة بنا إلى لبنك . فمضى منصرفا وقال فى ذلك :

أقول لصاحبيَّ ومثـــل ما بى ... شكـاه المرءُ ذو الوجد الأليم

إلى الأخوين مثلهما إذا مـا ... تـــأوبــه مــؤرقـــةُ الهُمُومِ

لحين والبلاءِ لقيت ظهـــراً ... بنا على النقع اخت بنى تميم

فلما أن رأت عينـاىَ منها ... أسيل الخـــدّ فى خَلْقٍ عَميم

وعَيْنَىْ جوذرٍ خرقٍ وثغـراً ... كلونِ الأقحوانِ وجَيدَ رِيم

جَـــنىَ اترابها دونى عليهـا ... حنوَّ العائدات عَلى سَقيمِ

ويقال عن العرجى إنه واعد امرأة فخرجت إليه راكبة على أتان ومعها جاريتها وخرج العرجى على حمار ومعه غلامه ، فوقع على المرأة ، ووقع غلامه على الجارية ، والحمار على الأتان ، فلما نظر إلى ذلك قال : هذا يوم غاب عذاله .

* خبر موته . كان على مكة محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومى، وكان يعادى العرجى ، لأنه هجاه ، وتغزل بأمه جيداء ، وبامرأته حبرة ، وفيها يقول :

عوجى علىَّ وسلِّمِى حَبْرُ

وكان يطلب عليه العلل ، فوافق أن العرجى كان له مولى يقوم بأمور حرمه ، فبلغه أنه يخالف إليهن فلم يزل يرصده حتى رآه يحدث بعضهن ، فقتله وأحرقه بالنار ، واستعدت عليه امرأة المولى إلى ابن هشام ، فوجد عليه السبيل ، وأقامه على الناس بالحناطين بمكة ، ثم سجنه حتى مات فى سجنه .

* قال أشعب : كنت حاضراً العرجى وهو يشتم مولاه ، فأكثر عليه ، فرد المولى عليه ، وأختلط العرجى من ذلك وقال : يا أشعب أشهد على ما

سمعت ، قال : اشهد على ما تشهد . قد شتمته ألفاً وشتملك واحدة ، والله لو أن أملك أم الكتاب . وأمه حمالة الحطب مازاد على هذا .

* وقال العرجي لما جلده ابن هشام :

وكم من كاعبٍ حوراءَ بِكرٍ   ألوفِ السِّتْرِ واضحةِ التراقى

بكت جزعاً وقد شحرت كبول   وجامعة تشد بها خنـاق

ستغضب لى بأجمعها قصىٌّ   قطينُ البيت والدمث الرفَاقِ

بمجتمع السيول إذا تنحَّى   إمَامُ الناسِ فى الشعب العماقِ

* ولما حبس المنصور عمه عبدالله بن على كان يكثر التمثيل بقول العرجي :

أضاعونِى وأىَّ فتىً أضاعـوا   ليـوم كريهةٍ وسدادِ ثغـرِ

وخلّونى بمعترك المنايَـــا   وقد شرعت أسنتها بصدْرى

كأنى لم أكن فيهم وسيطاً   ولم تك نِسْبَتى فى آل عَمروَ

فقال المنصور : هو أضاع نفسه بسوء فعله ، فكانت أنفسنا آثر عندنا من نفسه .

* وقال العرجي لما حبس :

سينصرنى الخليفةُ بعدَ ربِّى   ويغضبُ حينَ يُخبَرُ عنمساقِ

علىَّ عباءةٌ برْقَاءُ ليْسَـتْ   مع البلْوَى تُغيّبُ نصفَساقِ

وتغضبُ لى بأجمعها قصىٌّ   قطين البيت والدمث الرقَاقِ

فلما استبطأ نصر قومه قال :

أضاعُونِى وأىَّ فتىً أضَاعُوا   ليوم كريهةٍ وسدادِ ثَغْرِ

* والعرج موضع بالطائف نسب إليه لنزوله فيه ، وكونه به . وقال :

زارتك ليلى وكالى السّجنِ قد رَقَدا ... ولم تخف من عدوٍّ كاشح رَصَدَا

تكلَّفَت ذاك ما كانت معـــاودَةً ... سُرَى الظلام إذا ماعرسها هَجَدا

ياعقبَ ،وَيحَكَ لِمْ حَلَّأْت صادِيةً ... عن مشربٍ لم يكن من بعدها وردا

ليس الإله بعاف عَنْكَ رَدَّكهـا ... إن عذَّب الله ممن قد تَرى أَحَـدَا

وقال :

ياليت شعرى وليتَ الطيرَ تخبرُنى ... هل أدخلُ القبة الحمراءَ من أَدَمِ

أسلمتنى أسرتى طـراق حاشيتى ... حتى كأنى من عادٍ ومن إرَمِ

وقال فى ذلك أيضا :

ياليت سلمى رَأَتْنا لاتُـراع لنا ... لما هبطنا جميعاً أبطح السوقِ

وكشرَنا وكبولُ القـوم تنكبنا ... كالأسد تكشر عن أنيابها الرُّوقِ

والناسُ صنفان من ذى بغضة حنقٍ ... وممسك بدموع العين مخنوقِ

وفى السطوح كأمثال الدُّمى خُردٌ ... يكتُمْنَ لوعة حبٍّ غير ممذوقِ

من كل ناشرةٍ فـــرعاً لرؤيتنا ... ومفرقٍ ذى نَباتٍ غير مفروق

يضربنَ حُرَّ وجوهٍ لايُلَوِّحُهَـــــا ... لفحُ السَّمُوم ولاشمس المشاريقِ

كأن أعناقهنَّ التَّـــلْعُ مشرقـــة ... من الرهـــوٍّ كأعناق الأباريقِ

وقال فى زوجته عثيمة بنت بكير بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه :

إن عثمان والـزُّبير أَحَـلاَّ بيتها باليفاع إذ ولداها

بنيّ الهدى وحمزة أَيْدُ وهما إن نسبتها خالاها

إنها بنت كلّ أبيض قَرْمٍ نالَ فى المجْدِ من قُصَىٍّ ذُراها

سكنَ الناسُ فى الظواهر منها وتبـوَّا لنفسه بطحَاهَا

فابتنوا بالسِّهابِ والحزنِ منها ونفَى عن بنيّة سيلاها

وبحسب المنافرين من المجْـ ـدِ قُصيًّا أن يبلغوا مولاها

فيهم الطيب النبيُّ بـه الله إلى كل باب خيرٍ هدَاها

من تراب بين المقام إلى الركـ ـنِ نداها الإلهُ حين نداها

فضرى منه قصىٌّ ولم يُخْلَطْ بطين القُرى ولا أكباها

سارَ فى الخيل والرجال فلم تشْـ ـعُرْ قريشٌ بذاك حتى أتاها

فى كراديس كالجبالِ وَرَجْلٍ يَقْرَعُ الاخشبين طولُ قناها

* قال الزبير : حج محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وحج معه بابى حرزة القاضى يعقوب بن مجاهد ، واشعث بن جبير مولى ابن الزبير فى جماعة من ولد عثمان ، فظن العرجى أن محمد بن عبدالله يتكلم فيه ، ويخرجه فلم يفعل ، وخرجوا فى النفر الأول . فقال العرجى :

عذرت بنى عمىّ إلى الضعف ماهم وخالى فما بال ابنى عمىّ تنكَّبا

تعجّل فى يومين عنىّ بنفسه وآثر يعقوباً علىَّ وأشعَبا

ولو كنت من آل الزبير وجدتنى بمندوحَةٍ من ضيم من ضام أجنبا

بأن فلا يَحتاتُنى الطيرُ ساعةً ونـاط محلىّ البدر قارن كوكبا

ولكنَّ قومى غرهم ذل أمرهم أراذ لهم من بين سقطى وأجربا

• وكان الوليد بن يزيد مصطغنا على محمد بن هشام بأشياء كانت تبلغه عنه فى حياة هشام . فلما ولى الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم ، وأشخصا إلى الشام ، ثم دعا لهما بالسياط . فقال له محمد : أسألك بالقرابة . قال : وأى قرابة بينى وبينك، وهل أنت إلا من أشجع ؟ قال : فأسألك بصهر عبدالملك . قال : لم تحفظه . قال : يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب قرشى بالسياط إلا فى حد . قال : ففى حد نضربك وقود . أنت أول من سن ذلك على العرجى، وهو ابن عمى وابن عثمان رضى الله عنه ، فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام ، ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر وأنا ولى ثأره . أضرب يا غلام ، فضربهما ضربا مبرحاً ، وأثقلا بالحديد ، ووجه بهما إلى يوسف بن معين بن عمرو بالكوفة ، وأمره بتعذيبهما حتى يتلفا . وأمره أن يجلسهما مع ابن النصرانية خالد (بن عبد الله) القسرى . وقال له : نفسك نفسك إن عاش أحد منهما . فعذبهما يوسف عذابا شديداً ، وأخذ منهما مالا عظيما ، ولم يبق فيهما موضع للضرب . وكان محمد بن هشام مطروحا ، فاذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجبذوه بها ، فلما أشتدت عليهما تحامل إبراهيم لينظر فى وجه محمد فوقع عليه ، فماتا جميعاً ، ومات خالد معهما فى يوم واحد . ثم نقمت اليمانية بعد ذلك على الوليد بن يزيد بقتل خالد فقتلوه .

.. قال إسحق الموصلى : غنيت الرشيد يوماً بقول العرجى :

أضاعونى .... الأبيات

فقال : ما كان سبب العرجى حتى قال هذا الشعر ؟ . فأخبرته بخبره من أوله إلى أن مات ، فرأيته يتغيظ كلما مر منه شئ ، ثم أتبعته بحديث مقتل ابنى هشام ، فجعل وجهه يسكن وغيظه يسكن . فلما انقضى الحديث قال لى : يا إسحاق ، والله لولا ما حدثتنى من فعل الوليد لما تركت أحداً من أماثل بنى مخزوم إلا قتلته بالعرجى .

وقال خالد بن يزيد بن معاوية ، وتزوج لبابة بنت عبدالله بن جعفر الطيار :

جاءَتْ بِهَا دُهْمُ البِغالِ وشُهْبُها   معتقةً فى جوفِ قـرٍ مخـدَّرِ
مقابلة بين النـبيّ محمـد   وبين عـلىّ والحـوارىّ جَعْفرِ
منَافِيّةٌ حارت بخالص ودّهـا   لعبد منافٍ أغـرٍّ مُشهّـرِ

القر : مركب صغير للنساء فى الهودج .

* وقال مالك بن أسماء بن خارجة الفزارى : (١)

أنا ابن أسماءَ أعمامى لها وأبى   إذا ترامى بنو الأموان بالعارِ
لاأرضع الدهر إلاّثغر واضحةٍ   لواضِح الخدّيحوىحوزةالجارِ
من آلسفيان أو ورقاءَ يمنعها   تحت العجاجةِ ضربٌغيرعوّارِ
ياليتنى والمنى ليست بنافعـةٍ   لمالِكٍ أو لحصنٍ أو لسيّارِ
طوال أنصيةِ الأعناقِلميجدوا   ريح الإماءِ إذا راحتبأوْقارِ

يريد أنه افتقر به على لبن أمه ، ولم ترضعه إلا ماء فيميل إلى أخلاقهن .

* قال بعضهم : رأيت المولود قبل أن يغتذى بلبن أمه ، وعلى وجهه مصباح من البيان يريد بيان الشبه ، لأن ألبان النساء تغيره .

* قال الأصمعى : نظر إياس بن معاوية المزنى أبو وائلة إلى رجل من ثقيف أبيض طوال فقال : أهندية أمك ؟ . قال : لا والله ما صرت فى هندى ولا هندية قط . قال : بلى والله ، وإنى لأرى فيك آثار ذلك . قال : لا والله

---

(١) مالك بن أسماء بن خارجة بن جعفر الفزارى — أبو الحسن ، أو أبو سعد شاعر أموى . تقلد خوارزم . وهو من أشراف أهل الكوفة ، تزوجت أخته هند بنت أسماء بنت الحجاج بن يوسف
راجع ترجمته فى المرزبانى ، معجم الشعراء ٢٦٦ ، والأغانى ١١/١٦٠ بيروت ، والشعر والشعراء ٦٦٦

إلا اللبن فى الحضانة ، فان خادماً هندية كانت لأبى أرضعتنى خمسة أعوام .
قال : فهو ذاك .

* قال سفيان بن عيينة : نظر عمر بن الخطاب إلى رجل فقال : أمن سعد بن بكر أنت ؟ قال : لا ، ولكنى مسترفع فيهم . قال : إن اللبن يشبه على . وكان عرافا فائقاً . وقال الحصين المرى (١) لبنى عمه :

دفعناكم بالحلم حتى يطرتُم ... وبالراح حتى كانَرفع الأَصابع
فلما رأينا جهلكم غير منتــهٍ ... وماقدمضى من حلمكم غير راجع
مسسنا من الآباءَ مَسًّا وكلُّنـا ... إلى حسب فى قومه غير واضع
فلما بلغنا الأُمهات وجـدتم ... بنى عمكم كانوا كرام المضاجع

وقال غيره :

تـخيَّرتُها للنسل وهى غريبــةٌ ... فجاءت به كالبدر خرقاً مُعَمَّمَا
فلو شاتَمَ الفتيان فى الحَىِّ ظالمـاً ... لما وَجَدُوا غير التكَذُّب مشتَما

* قال الجاحظ : هجا رجل من بنى سدوس عبيدالله بن أبى بكرة ، ولم يكن فى الأرض زنجى إلا وعبيد الله أشد سواداً منه ، فقال :

أَولادُ أَسودَ نوبىٍّ ومُومِسَــةٍ ... لم يجعَلْ الله فى أَلوانهم نُورَا
قَومٌ جعادٌ تَرىَ باقِى شعورِهمُ ... مثلَ الزبيبِ على الهامات منثُورا

---

(١) الحصين بن الحمام المرى ينتهى نسبه الى بنى مرة من غطفان ، وهو شاعر جاهلى فارس مشهور يعد من أوفياء العرب ، قال أبو عبيدة : كان بين أشعر ثلاثة من المقلين وهم : المسيب بن علس ، والحصين ، والمتلمس
راجع ترجمته فى : الشعر والشعراء ٥٤٢ ، الأغانى ١٢/١١٨

وقال آخر :

أُمُّك بيضاءُ من قضاعة فى الـ ... بيت الذى يُستظَلُّ فى طُنُبِهْ

وليس يريدون بياض الجلد ، إنما يريدون إذا ذكروا البياض الرجل الخالص من العيوب وإن كان أدهم أو آدم .

* قال العريان بن الهيثم لبلال بن أبى بردة (١) : إنك ليريبنى منك بياض راحتيك وروح قدميك ، وانتشار منخريك ، وجعودة شعرك .

قال بلال : إنى أكره أن أجعل أبا موسى ندا للأسود وأبا برزة ندا للهيثم وأجعل نفسى ندا لك . ثم تمثل :

أنا مسكين لمن يعرفنى ... ولمن حاورنى جدٌّ نطِقْ

لاأبيعُ الناسَ عِرْضى إننى ... لو أبيع الناسَ عرضى لنفَق

* وكانت أم بلال أمة تسمى حوراء . وكان حوشب بن يزيد بن الحارث بن رويم أمه أمة سوداء ، وذلك أن على بن أبى طالب رضى الله عنه دخل على الحارث بن رويم يعود أبنه يزيد ، فقال : عندى جارية لطيفة الخدمة أبعث بها إليه ، فسماها لطيفة . فقال حوشب لبلال بن أبى بردة يعيره بأمه ، وبلال مشدود عند يوسف بن عمر : يا ابن حوراء . فقال بلال وكان جلداً إن الأمة تسمى حوراء وجيداء ولطيفة .

* وفى بلال يقول بعض الشعراء :

أبلالُ إنى رابنى من شأنكم ... قولٌ تزيّنُهُ وفعلٌ منكرُ

مالى أراك إذا أردتَ خيانة ... جعل السجودُ بحرٍّ وجهك يظهر

متخشعاً طبناً بكلِّ عظيمةٍ ... تتلو القرآنَ وأنت ذئبٌ أغبرُ

---

(١) بلال بن أبى بردة ، تولى البصرة من قبل خالد بن عبد الله القسرى والى العراق زمان هشام بن عبد الملك

* وكان بلال ورد الشام متصدياً لولاية العراق أيام عمر بن عبدالعزيز فلزم المسجد متكئاً بسارية تقرب من الموضع الذى يصلى فيه عمر ولا يكاد يراه عمر إلا راكعاً أو ساجداً ، فأعجب به وذكره ، فقال للعلاء بن المغيرة البندار : إن يكن سر هذا الغلام كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مدافع فقال العلاء : أنا آتيك بخبره ، فأتاه وهو يصلى فقال : اشفع صلاتك فان لى إليك حاجة . ففعل ، فقال له العلاء : قد عرفت حالى عند أمير المؤمنين ، فان أنا أشرت بك على ولاية العراق ما تجعل لى ؟ . قال : لك عمالتى سنة . وكان مبلغها عشرين ألف ألف درهم . قال : فاكتب لى بذلك . فأوفد بلال إلى منزله فأتى بدواة وصحيفة وكتب له بذلك . فأتى العلاء إلى عمر بالكتاب فلما رآه كتب إلى عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب وكان عامله على الكوفة :

« أما بعد فان بلالا غرنا بالله فكدنا نغتر به ، ثم سبرناه فوجدناه خبيثاً كله » . ويروى أنه كتب إليه : « لاتستعيننى على عملك بأحد من آل أبى موسى » .

* وقال عبدالله بن قيس الرقيات :

أبلغا جارىَ المهلَّبَ عــنىّ ... كلُّ جارٍ مفارقٌ لامَحَالـةْ
إنَّ جاراتك اللواتى بتكريـ ... ـتَ لتبدينَ رحلهنّ مَقَالَهْ
لو تعلَّقْنَ مِن زيادِ بن عمرو ... بحبالٍ لما ذَمَمْنَ حِبَالَــهْ
عتكىٌّ كأنَّه ضَوءُ بــدرٍ ... يحمد الناسُ قوله وفعالَهْ

وذلك أن عبدالملك نذر دم ابن الرقيات فهرب وصير عياله بتكريت ليخفى مكانهم . وكان المهلب على الموصل فكتب إليه عبدالملك أن أحتفظ بعيال ابن قيس فتحفظ بهم فلذلك قال ابن قيس :

ولقد غَالنِى يزيــد وكانت ... فى يزيــد خيانة ومَغَالَهْ
قلبتْ أمُّهُ عليــه أبــاهُ ... فهو كالكابِلىّ أشبه خَالَـهْ

وأم يزيد من كابل .

* وقال على بن أبي طالب يوم الجمل وهو يمشى بين القتلى حين رأى عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد قتيلا : « لهفى عليك يعسوب قريش شفيت نفسى وجدعت أنفى ، قتلت الصناديد من بنى عبد مناف ، وافلتنى الأعيارَ من بنى جمح . فقال له رجل : لشد ما جزعت عليه يا أمير المؤمنين . قال : إنه قام عنى وعنه نسوة لم يقمن عنك .

* وقال عبدالله بن عامر لعبد الله بن خازم السلمى صاحب خراسان ، وكان ابن أمة تسمى عجلاء : يا ابن السوداء قال : هو لونها . قال يا ابن العجلاء . قال : هو اسمها قال : يا ابن خازم . قال : هو خالك . وخازم بن أسماء بن الصلت ، وأم عبدالله بن عامر دجاجه بنت أسماء بن الصلت .

* وقال أمية بن عائذ الهذلى :

فأَبلغ أناساً أَنَّ عِرض ابن أختكم ... وراءك فاستصِنْ عرضَه أو تبدَّلِ

فإن أَكُ ذا مجدٍ فإنىّ ابن أختكم ... وكلٌّ ابن اخت من مدى الخال مغتلى

فكن أسداً أو ثعلباً أو شبيهَهُ ... فمهما تكن أُنْسَبْ إليه وأُشكَلِ

وما ثعلبٌ إلا ابنُ أخت ثعالبٍ ... وإن ابن اخت الليث رئْبالُ أَشْبُلِ

ولن تجد الآسادَ أخوال ثعلبٍ ... إذا كانت الهيجا تلوذ بمدخَلِ

وقال آخر :

عليك الخال راب الخال يَسْرِى ... إلى ابن الأُخْتِ بالشبهِ المبينِ

وفى الحديث : اغتربوا لاتضووا

وقال قيس بن زهير : عليكم بالطوال فإنهن أمهات الرجال .

وقال النمر بن تولب :

إذا كنت فى سعدٍ وأُمُّك مِنْهُمْ ... غريبا فلا يغررك خالُك من سعدِ

فإن ابن أخت المرء مصفى إناؤه ... إذا لم يزاحِمْ خالَه بأَب جَلْدِ

* ومن أجل الخال ترغب الملوك فى مصاهرة أشراف العرب . وإن الشبه ينزع إلى الخال كثيراً .

* كانت مارية بنت سنان بن أبى حارثة (المرى) عند عمرو بن المنذر فمدحه زهير فقال : (١)

فَضْلُه بين أقوامٍ وسـؤدده   مالم ينالوا وإن عزُّوا وإن كرموا

قود الجياد وأصهار الملوك وصُبرٌ   فى مواطنٍ لو كانوا بها سئِموا

وكانت بنت زرارة بن عدس عند الأسود بن المنذر ، فقال الأخطل : (٢)

تاج الملوك وصهرهم فى دارِمٍ   أيام يربـوع مع الرُّعْيَـانِ

وكانت أم إياس بنت عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان عند عمرو المقصور بن حجر آكل المرار ، فولدت له الحارث بن عمرو . وملك الحارث معدا ستين سنة ، فقال الحارث بن حلزة : (٣)

وولدْنَا عمروَ بنَ أمِّ أُناسٍ   من قريبٍ لمَّا أتانا الحِباءُ

إن عمراً لنـا لديه خلالٌ   غيرَ سرٍ فى كُلهنَّ البَلاءُ(٤)

ربّنـا وابننـا وأفضل مـن   يمشى ومن دون مالديه البناءُ

* وكانت الشقيقة بنت أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان عند أمرئُ القيس بن عمرو فولدت له النعمان الذى يقال له ابن الشقيقة . قال بعض بنى شيبان :

ولدُوا الملوكَ وصاهروهم بَعدمَا   صَدَعُوا رُءُوسَهُمُ بكلِّ مُهَنَّدِ

---

(١) الأبيات ليست فى شرح ديوانه لثعلب طبع هيئة الكتاب

(٢) ديوانه ص ٢٧٣ وروايته : « فى دارم تاج الملوك وصهرها »

(٣) شرح القصائد العشر ص ٤٨١ للتبريزى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد والأبيات فيه ليست بترتيبها هنا

(٤) شرح القصائد ص ٤٧١ ورواية العجز « غير شك »

• وممن تمدح بالخال حسان بن ثابت فقال : (١)

لنا الجفنات الغرُّ يلمعنَ بالضُّحى وأسيافُنا يقْطُرن من نجدةٍ دَمَــا

ولدنا ابن ماء المزنِ وابنَ محرّقٍ فأَكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

• وقالت امرأة فى بنت لها :

وما عَلَىَّ أن تكونى جارِيَهْ تغسِلُ رأسى وتكونُ الغاليَهْ

حتى إذا مــا بلَغتْ ثمانيَــهْ أنكحتُها يزيــدَ أو معاوِيَــة

أَصهار صدقٍ ومهورٍ غاليه

• على أن العرب تذم كسب المال من مهور النساء وتراثِ الموتى ، وديات القتلى ،ويحبون المال إذا كان حباء ملك أو غنيمة قوتل عليها حتى أخذت . قال الشاعر :

وما كانَ مالِى من تُراثٍ ورثته ولا صدقات من نساءٍ ولا ذِمَمْ

• وقال ذو الرمة : (٢)

ومــا كان مــالى من تراثٍ ورثتهِ ولادية كانتْ ولاكسْبَ مأْثَم

ولكن عطاءُ الله من كل رحــلةٍ إلى كلِّ مضروبِ السرادقِ خِضْرِمِ

• وقالوا : عجباً ممن تمتع بالسرارى كيف يتمتع بالمهيرات .

• وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ليس قوم أكيس من أولاد السرارى لأنهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم .

---

(١) ديوانه ص ٢٢١ من قصيدته :

« ألم تسأل الربع الجديد التكلما »

والبيت الثانى هنا يسبق فى ترتيب الديوان على البيت الأول : ورواية الديوان :

« ولدنا ابنى العنقاء وابنى محرق ... »

(٢) ديوانه البيتان رقم ٣٨ ، ٣٩ من القصيدة رقم ٨١ ورواية الأول :

نجائب ليست من مهور أشابة ولا دية كانت ولا كسب مأثم

• وقال آخر :

يارُبَّ خالٍ أغرَّ أبلجَــا من آل كِسْرَى يغتدى مُتوَّجَا

وقال آخر :

فإن تَكُ أُمّى من نساءٍ أفاءَهــا طوال القَنَا والمرهفات الصفائِحُ

فَتَبًّا لفَضْلِ الحرّ إن لم أنَلْ بـه كرائِم أبناءِ النساءِ الصرائِحِ

• وقال مسلمة بن عبدالملك : إنى لأعجب من ثلاثة . من رجل قصر شعره ثم أطاله ، أو شمر ثوبه ثم عاد وأسبله ، أو تمتع بالسرارى ثم عاد إلى المهيرات . وكان مسلمة ابن أمة ، وكان سمحاً جميلا ، شجاعاً ، فارساً . وقفت امرأة بمصر فى خصومة فحكم عليها ، فقالت له : ما أقل حياءك . فكشف عن ساقه فاذا فيه تسع طعنات ، فقال والله لو تأخرت شبراً ما نالنى منهن واحدة ، وما منعنى من ذلك إلا الحياء ، وأنت تنحلينى غيره .

• وقال الشاعر :

أخذن اغتصاباً خطبةً عجرفيــةً وأُمْهِرْنَ أرْماحاً من الخطِّ ذُبَّلاَ

• وقال خفافُ بن نَدْبَة أحد أغربة العرب (١) ، وكان فارس بنى سليم :

ومعشوقةٍ طلقّتُها بمـرشَّــةٍ لها سننٌ كالأتحمِىِّ المخَرَّقِ(٢)

فباتت سليباً من أُناسٍ تحبُّهمْ كسيباً ، ولولا طعنَتِى لم تُطلَّقِ

---

(١) هو خفاف بن ندبة بن عمير بن الحارث بن الشريد بن رياح . ينتهى نسبه إلى سليم . شاعر مخضرم وكنيته أبو خراشة ، وندبة بفتح النون أمه اشتهر بها . وهو صحابى جليل شهد فتح مكة ومعــه لواء بنى سليم : وهو ابن عم الخنساء وصخر ومعاوية ؛ وكان بينه وبين العبــاس بن مرداس مهاجاة .

(٢) البيتان من قصيدة رقم ٢ بالأصمعيات . والأتحمى ضرب من البرود أحمر اللون يعنى أنه قتل زوجها ففرق بينه وبينها .

* وقال الفرزدق : (١)

إلى كلّ حيٍّ قد خطبنا بناتِهم بأرعن مثل الطود جمٍّ صواهلهْ
كأنَّ بناتِ الحارثِيين وسطَهم ظبــاءُ صَرِيمٍ لم تفرَّق غَيَاطَلُهْ
وبنتِ كريم قد نكحنا ولم يكُنْ لها خَاطِبٌ إلا السنانُ وعامِــلُهْ

وإنما ذكر بنات الحارثيين لأن المأمور الحارثى أغار على بنى دارم فأصاب امرأتين من بنى زرارة ، فغزا الأقرع بن حابس بنى الحارث فى ألفين ، فسبى ابنتين لأنس بن الديان ، وقد ولدت له فى بنى زرارة .

* ومن الفرسان المعدودين ، والشعراء المفلقين من بنى الإماء عنترة ، وأخوه هراسة ابنا شداد العبسيان ، وخفاف بن ندبة ، وعباس بن مرداس (٢) ، وسليك بن السلكة ، وابن المغملس عمير بن الحباب ، وعبدالله بن خازم ، والجحاف بن حكيم . كل هؤلاء من بنى سليم بن منصور . وكان عبدالله بن خازم والجحاف بن حكيم عند عبيدالله بن زياد إذ دخل جرذ أبيض ، وكان عبدالله أحد من ينازل الأسد ، ويفزع من الجرذ ، فعجب منه وقال : هل رأيت يا أبا صالح أعجب من هذا ؟ وإذا عبدالله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخ ، يعصى الرحمن ويتهاون بالسلطان ، ويقبض على الثعبان ويمشى إلى الأسد الورد ويتقى الرماح بصدره ، وقد اعتراه من جرذ ما ترون ، أشهد أن الله على كل شئ قدير .

---

(١) من قصيدة فى نقائضه مع جرير مطلعها :

سمونا لنجــران اليمانى وأهــله ونجران أرض لم تديث معــاوله

ديوانه ص ١٣٥ على خلاف فى ترتيب الأبيات

(٢) العباس بن مرداس بن أبى عامر بن حارثة بن عبد قيس ، أمه الخنساء الشاعرة ، أسلم قبيل الفتح . راجع فى ترجمته الإصابة ، والشعر والشعراء ١٦٦ ، ومعجم المرزبانى ٢٦٢ والطبرى ٣/١٣٦ والأغانى ١٣ — ٦٢ وخزانة الأدب ١ — ١٣

* وسأل ابن هبيرة عن قتل عبدالله بن خازم ، فقال رجل ممن حضر سألنا وكيع بن الدورقية كيف قتلته ؟ . قال : غلبته بفضل شباب كان لى عليه ، فصرعته . وجلست على صدره ، وقلت : يالثارات دويله يعنى أخاه من أمه . فقال من تحتى : قاتلك الله ! تقتل كبش مضر بأخيك وهو لا يساوى كف نوى ، ثم تنخم فملا وجهى . فقال ابن هبيرة : هذه والله البسالة . استدل عليها بكثرة الريق فى ذلك الوقت .

وكان يقال : ما استحيى شجاع أن يفر من عبدالله بن خازم ، ومن قطرى بن الفجاءة . وسئل المهلب : من أشجع الناس ، فقال : عباد بن الحسين الحبطى وعمر بن عبيدالله بن معمر ، والمغيرة بن المهلب ، فقيل له : وابن الزبير ، وابن خازم ، وعمير بن الحباب ؟ فقال : إنما سألت عن الإنس ، ولم أسأل عن الجن .

وعمير بن الحباب ابن أمة ، وابن خازم مثله .

* ولما صار إبراهيم بن الأشتر بخازر لقتال عبيدالله بن زياد ، قال عبيدالله : من صاحب الجيش ؟ . قيل له : ابن الأشتر . قال : أليس الغلام الذى كان يطير الحمام بالكوفة ؟ . قالوا : بلى . قال : ليس بشئ . وعلى ميمنته عبيدالله بن حصين بن نمير السكونى من كندة . وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمى فارس الإسلام . قال حصين بن نمير لابن زياد : إن عمير بن الحباب غير ناس قتلى المرج ، وإنى لا أثق لك به . قال ابن زياد : أنت لى عدو . قال حصين : ستعلم . قال ابن الحباب : فلما كان فى الليلة التى نريد أن نواقع فيها ابن الأشتر خرجت إليه ، وكان لى صديقاً ، ومعى رجل . فصرت إلى عسكره ، فرأيته ، وعليه قميص هروى ، وملاءة ، وهو متوشح بالسيف يجوس عسكره ، فالتزمته من ورائه ، فوالله ما التفت إلى ، ولكن قال : من هذا ؟ قلت : عمير بن الحباب . قال : مرحباً بأبى المغلس . كن بهذا الموضع حتى أعود إليك . قال راوية هذا الحديث : أرأيت أشجع من هذا قط ؟ ! يحتضنه رجل من عسكر عدوه ، ولا يدرى من هو ، فلا يلتفت إليه .

قال (ابن الحباب) ثم عاد إلى فقال : ما الخبر ؟ ! . قلت له : القوم كثير فناجزهم ، فلا صبر لهذه العصابة على ذلك الجمع الكثير . قال : نصبح إن شاء الله ونحاكمهم إلى ظباء السيوف وأطراف القنا . فقلت : أنا منخزل عنك بثلث الناس غداً . فلما التقوا كانت على أصحاب إبراهيم أول النهار ، فأرسل أصحاب المختار الطير ، فتصايح الناس : الملائكة ! الملائكة ! ، فتراجعوا ، ونكس عمير بن الحباب رايته ، ونادى : يالثارات المرج ، وانخزل بالميسرة كلها وفيها قيس . واقتتل الناس إلى الليل ، وفنى أصحاب زياد . وقال ابن الأشتر : لقد ضربت رجلا على شاطئ النهر فرجع إلى سيفي ، وفيه رائحة المسك . ورأيت إقداماً وجرأة ، فصرعته ، فذهبت يداه قبل المشرق ، ورجلاه قبل المغرب ، فانظروه . فأتى بالنيران فاذا هو عبيد الله بن زياد .

وعبيدالله بن زياد ابن أمة تدعى مرجانة . وكان المختار دفع إلى قوم من خاصته حماماً بيضاً وقال : إن رأيتم الأمر لنا فدعوها ، وإن كان علينا فأرسلوها . وقال للناس : إن استقمتم فبنصر الله وإن حضتم حيضة ، فإنى أجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب أن الله مؤيدكم بملائكة عصاب تأتى فى صور الحمام دوين السحاب .

وكان السليك من أشد فرسان العرب وانكرهم وأدل الناس بالأرض وأجودهم عدوا على رجليه ، لا تلحق به الخيل ، وكان يقول : اللهم إنى أعوذ بك من الخيبة ، فأما الهيبة فلاهيبة . وهو ابن أمة . وقال له بنو عوف بن كنانة حين كبر أرأيت أن ترينا ما بقى من أحضارك . قال : نعم ابغونى أربعين شابا ، وابغونى درعاً ثقيلة ، فأخذها ، ولبسها فخرج بالشباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يحضر فلاث العدو لوثا ، واهتضموا فى حلبتيه ، ولم يصحبوه إلا قليلا فجاء يحضر مثيرا بحيث لايرونه ، وجاءت الدرع تخفق فى عنقه كأنها خرقة .

وقال عنترة : (١)

---

(١) ديوانه ص ٢٤٨ طبع المكتب الإسلامى ببيروت

إنّ امرؤ من خير عبس منصبـاً … شطرى وأَحْمِى سَابِرى بالمنْصُلِ

إن يَلْحقُوا أَكْرُرْ وإنْ يستلْحِمُوا … أَشْدُدْ وإنْ يُلْفَوْا بضَنْكٍ أَنزلِ

إن يَلْحَقُوا أَكْرُرْ وإنْ يستلْحِمُوا … أَشْدُدْ وإنْ يُلْفَوْا بضَنْكٍ أَنزلِ

وإذا الكتيبة أَحْجَمتْ وتلاحَظت … أُلفيتُ خيراً من معمٍّ مخولِ (١)

والخيلُ تعَلَم والفوارسُ أَنّــني … فرّقْت جمعَهُم بضربةِ فيْصَل

إذ لا أبادر فى المضيق فوارســى … ولا أُوَكَّلُ بالرَّعيــل الاوَّلِ

بكَرتْ تخوّفنى الحتوفَ كأنّنى … أَصبحتُ عن غَرض الحتوفِ بمعْزَلِ

فأجبتُها إنَّ المنيَّةَ مَنْهَــــلٌ … لابُدَّ أنْ أُسْقَى بذاك المنْهَـــلِ

فاقنَىْ حياءك لا أبالك واعلمى … أنى امرؤٌ سأَموتُ إن لم أُقْتَـل

إن المنيَّـــةَ لو تُمثَّــلُ مُثّلت … مِثلى إذا نزلوا بضنكِ المنزِلِ

والخيل ساهمةُ الوجـوه كأنّما … تَسقى فوارسها بنقع الحَنظَـلِ

يعرض فى هذا الشعر بقيس بن زهير (٢) ، وكان أكولا ، وذلك أن بنى عبس غزت بنى تميم وعليهم قيس بن زهير فهزمت بنو عبس ، فطلبتهم بنو تميم ، فوقف عنترة فلحقتهم كتيبة من الخيل فحامى عنترة عن الناس ، ولم يصب مدبر . وكان قيس سيدهم ، فساءهم ذلك حتى قال حين رجع الناس : والله ما فى الناس إلا ابن السوداء ، فبلغ ذلك عنترة فقال القصيده التى تقدمت .

ولعنترة أشعار حسان ، وأخبار طريفة ، وله القصيدة إحدى المعلقات : وكان سبب صنعته لها أنه جلس يوماً فى بنى عبس بعد ما أبلى وأعترف به

---

(١) هذا البيت يرد بعد سابقه ببيتين وهو رقم ١٣ بالقصيدة حسب رواية الديوان

(٢) الخبر فى لباب الآداب لأسامة بن منقذ ٢١٧ والأغانى ٧ — ١٤٣

أبوه ، فسابّه رجل من بنى عبس فذكر سواده وأمه وإخوته . فقال عنترة : إن الناس ليتواصون فى العطية ، وما حضرت مرقد الناس أنت ولاأبوك ولاجدك قط ، وإن الناس ليدعون فيقرعون فما رأيناك فى خيل مغيرة فى أوائل الناس قط . وإن اللبس ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أحد من أهل بيتك بخطية فيصل ، فلو كنت فقعاً نبت بقرقرة لكنت فى مزرك الذى أنت به اليوم . أى فى أصلك . فلو ما جدتك لمجدتك ، ولو سألت أباك وأمك لأخبراك أو نصحا لك ، وإنى لأحضر الناس وأوفى المغنم ، وأعف عن المسألة ، وأجود بما ملكت ، وأفضل الخطة الصمعاء .

فقال له الرجل : أنا أشعر منك . قال : ستعلم ذاك .

فكان أول ما قال عنترة يذكر قتل معاوية بن بزال وغيره . ومعاوية بن بزال خال الأحنف بن قيس .

* قاول الحمانى بلال بن جرير قال : يا ابن أم حكيم . فقال له بلال بن جرير : وما تذكر من أبنة دهقان ، وأخيذة رماح ، وعطية ملك (١) . ليست بأمك التى بالمرُّوت تعدو على أثر ضبانها ، كأنما عقباها حافرا حمارة .

* وقال رجل من قريش : كنت أجالس سعيد بن المسيب ، فقال لى : من أخوالك ؟ فقلت : أمى فتاة . فكأنى نقصت فى عينه ، فأمهلت حتّى دخل عليه سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فلما خرج قلت : يا عم من هذا ؟ . قال : سبحان الله : أتجهل مثل هذا من قومك ؟ . هذا سالم بن عبدالله بن عمر قلت : فمن أمه ؟ . قال : فتاة . قال : ثم أتى القاسم بن محمد بن أبى بكر فحبس عنده ثم نهض ، فقلت : ياعم من هذا ؟ قال : أتجهل مثل هذا من

---

(١) هى عطية الحجاج بن يوسف لجرير عندما أنشده جرير شعراً على البديهة فى هذه الجارية الأعجمية . وكان اسمها أمامة . من جوارى الحجاج .

أهلك ؟ . ما أعجب هذا ! . هذا القاسم بن محمد بن أبى بكر . قلت : فمن أمه ؟ قال : فتاة . ثم أمهلت شيئاً حتى جاء على بن الحسين بن على فسلم عليه ثم نهض ، فقلت : يا عم من هذا ؟ قال : هذا الذى لايسع مسلما أن يجهله . هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب . قلت : فمن أمه ؟ . قال : فتاة . قلت : يا عم ! رأيتنى نقصت فى عينك لما علمت أنى لأم ولد ، فمالى بهؤلاء أسوة . قال : فجللت فى عينه جداً .

وقال ابن الزبير الأسدى لعبدالرحمن بن أم الحكم (١) ، وأم الحكم بنت أبى سفيان بن حرب وهو عبدالرحمن بن عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن ربيعة الثقفى :

تبخّلْتَ لما أن أتيتَ بلادهم   وفى أرضنا أنت الهمام القملَّسُ
ألست ببغلٍ أمه عربيَّةٌ   أبوه حمارٌ أدبسرُ الظَّهرينحسُ

لما كان أبوه من ثقيف جعل ثقيفاً من بقية ثمود من نسل أبى رعال عبد صالح النبى عليه السلام ، وجعله كالبغل لأن الذى أمه عربية وأبوه أعجمى الدرع . ويشبهونه بالبغل .

وكان عبدالرحمن ولى الكوفة ، وكان ذا قدر ثم عزل عنها وصار إلى الشام .

وفيه يقول الفرزدق : (٢)

فأنت ابن بطحاوَىْ قريش وإن تشأْ   تكن فى ثقيفٍ سيلَ ذِى حَدَب غَمْرِ

---

(١) ولاه معاوية بن أبى سفيان عدة ولايات ، ومنها الكوفة ، فلم تحمد ولايته فعزله واطرحه . وكان عبد الله بن الزبير الأسدى قد هجاه فضربه وحبسه وهدم داره فشكاه إلى معاوية ، فأعطاه وأرضاه .

(٢) ديوانه يمدح عبد الرحمن بن عبد الله بن شيبة الثقفى ، وأمه أم الحكم ابنة أبى سفيان ص ٢٤٢ على خلاف فى رواية البيت الثانى

وأنت ابن سَّيار اليدينِ إلى العـلا تكَفَّتْ بِك الشمسُ المنيرةُ للبَدْرِ

* دخل يزيد بن على بن الحسين (١) على هشام بن عبدالملك ، فلما مثل بين يديه ، ولم ير لنفسه موضعاً يجبس فيه ، فعلم أن ذلك فعل به على عمد . فقال : إيه يا أمير المؤمنين لن يكبر أحد عن تقوى الله ، ولا يصغر دون تقوى الله . فقال : اسكت . لا أم لك . أنت الذى تنازعك نفسك الخلافة ، وأنت ابن أمة . قال : إن لى جواباً ، فان أذنت فيه جاوبت . قال : أجب . وما أنت وجوابك ؟! . قال : الأمهات لايقعدن بالرجال دون بلوغ الغايات ، وكانت أم إسماعيل صلى الله عليه وسلم أمة ، وقد أبتعثه الله عز وجل نبياً ، وأخرج من صلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم . أفتقول هذا وأنا ابن فاطمة ، وجدى على بن أبي طالب .

قال : صدقت . ثم خرج . فقال هشام حين بقى فى أهل بيته : ألستم زعمتم أن أهل البيت قد بادوا . لا ، لعمرى ما انقرض قوم هذا خلفهم .

قال الجاحظ : أئمة الشيعة من ولد الحسين الذين عندهم أنهم يعلمون كثيراً من مراشد الدين والدنيا ، وعند الغلاة منهم أنهم يعلمون الغيب. أولاد إماء وهم ستة: على بن الحسين ، ثم موسى بن جعفر ، ثم على بن موسى ثم محمد بن على . هؤلاء الأربعة ، وجعفر بن محمد، أمه بنت القاسم بن محمد ، وأم القاسم أمة ، فكلهم ابن أمة ، فهؤلاء خلفاء أصحاب الأهواء وخلفاء أصحاب الجماعة ،نعنى عمر بن عبدالعزيز ، ومروان بن محمد ، ومن أشير إليه بالخلافة كالقاسم وسالم . قال : ولم يكن فى بنى مروان أرجل من مروان بن محمد ، وأمه أمة ، ولا أفضل من يزيد الناقص ، وأمه أمة ، وهى بوران رخت بنت فيروز بن يزدجرد ، ولذلك كان يرتجز فى حروبه ويقول :

أنا ابنُ كِسرى وأبى خاقـانُ وقيصر جـدّى وجـدّى مروان

---

(١) زيد بن على بن الحسن ، ذكره الجاحظ من بين الخطباء الأنبياء ، وروى الجاحظ الخبر مع بعض الخلاف ١ — ٢٤٨ البيان والتبين بتحقيق السندوبى

وهذه ولادة ثالثة . وهو عند أهل النظر يعنى المعتزلة ، لأنه كان قدرياً فوق عمر بن عبدالعزيز ، فقد كان فى الفقه والزهد واللسان بالمكان الذى قد عرفتموه .

فقد كذب الجاحظ ، فمحال أن يشبه عمر بن عبدالعزيز . وقد ولدت عمر الإماء وذلك أن زينب بنت العلاء ، وابن شهاب سباها عمرو بن المشمرخ اليشكرى ، فباعها بعكاظ فاشتراها بشر بن سفيان الثقفى ، فأولدها امرأة تزوجها عاصم بن عمر ، فولدت له امرأة تزوجها عبدالعزيز بن مروان فولدت عمر .

قال الجاحظ : ولم يكن فى بنى مروان أزهد ولا أبين لساناً ولا أشد عقلا ولا أظهر فزعاً من عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز ، وهو ابن أمة . ولم يكن فيهم أشجع ولا أدهى ولا أحلم . ولا أمكر ولا آدب . ولا أجمع لكل فضيلة ، ولا أكثر فتوة من مسلمة بن عبدالملك وأمه أمة .

ما أبين بيان الجاحظ ! .

* قيل لأبى العيناء : أى شئ يحسن الجاحظ ؟ . قال : أى شئ لايحسنه الجاحظ ؟ . وأنشد الجاحظ شعر أبى العتاهية فمجه وقال : هو أملس المتون » ليس له عيون كانه ونمارة الجارية كلاماً واحداً . (١)

عليــــك بـأربــــاب النمّار فإننى رأيتُ صميم الموت فى النُّقبِ الصُّفْرِ

النمرة الجبة من الصوف القصيرة يلبسها الإماء، والنقبة الدرع تلبسه الجارية

* وقال الجاحظ : رأيت عبداً أسود لبنى أسد ، فقدم عليهم من شق اليمامة فبعثوه ناطورا ، وكان وحشياً لطول تغربه كان فى الإبل ، وكان لا يلقى إلا الأكراد ، وكان لايفهم عنهم ولايستطيع إفهامهم ، فلما رآنى سكن إلى ، وسمعته يقول : لعن الله بلاداً لبس فيها عرب .قاتل الله الشاعر حيث يقول :

---

(٢) كذا بالأصل .

حر الثرى مستعذبُ الترابِ

أبا عثمان إن هذه العرب فى جميع الناس كمقدار القرحة فى جلد الفرس ، فلولا أن الله رق عليهم فى حشاه لطمست هذه العجمانُ آثارهم ، أترى الأعيار إذا رأت العتاق لاترى لها فضلا . والله ما أمر الله نبيه بقتلهم الا لضنّه بهم ، ولا ترك قبول الجزية منهم تنزيها لهم .

* وكان عتاب بن ورقاء الرياحى (١) قد أولد مولدة له يقال لها ميثاء خالداً وزياداً ، وكانا فارسى تميم ، وخالد أشجع الناس فارساً ، وأسخاهم يداً ويكنى أبا سليمان . وكان عاملا على الرى لبشر بن مروان ، وعلى أصبهان ، فمر به طلحة الطلحات(٢) مقبلا من سجستان فأهدى إلى خالد واستهداه شهداً فحمل إليه سبعمائة ألف درهم وكتب إليه :

« إنى قد حملت ماتشترى به الشهد ولو كان فى بيت المال أكثر منها لبعثت به

* وكان خالد شجاعاً (٣) فكتب إليه الحجاج : « أنك هربت عن أبيك ليلة شبيب » . فكتب إليه : « قد علم من رآنى أنى لم أفر ، ولكنك وأباك هربتما يوم الربذة من الحتيف بن السجف ، وأنتما على بعير بقتت ، فلله أبوك أيكما كان ردف صاحبه ؟ » . (٤)

---

(١) كان يكنى أبا ورقاء ، وكان من أجود العرب ، قتل صاحب الرى ، وفتحها وولى أصبهان فى فتنة ابن الزبير ووجهه الحجاج لقتال الأزارقة ، وقتل عند ما تفرق عنه جيشه . راجع المعارف لابن قتيبة ص ١٨٢

(٢) أورد أسامة بن منقذ القصة فى لباب الآداب ص ٩٥ مع بعض الخلاف فى اللفظ .

(٣) خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى . ولى أصبهان لبشر بن مروان راجع ترجمته فى تاريخ ابن عساكر ٥/٨٢ والطبرى ١ — ٢٥١ و ٢٦٨ والأمالى ٣ — ١٩ وعيون الأخبار ٣ — ٩٣

(٤) راجع المعارف لابن قتيبة ص ١٨٣

فقدم خالد الشام فاستجار بزفر بن الحارث ، فأجاره ، ودخل على عبد الملك فأخبره ، فأمضى جواره ، فلم يزل مقيما عنده حتى مات . وقيل عتاب بن ورقاء بن الباجور السليطى (١) رأس الأزارقة .

* قال الشاعر :

لبيك ابن ورقاء الريّاحِيُّ إذ ثوىَ ... من الدهر يوماً نابلٌ وطعان

وقائلة هل كان بالمصر حَادِثٌ ... ألا هُلْكُ عَتَّاب هو الحدثانُ

---

(١) بالهامش هذه العبارة : « الصحيح أن خالد بن عتاب حضر بباب شبيب مع الحجاج ، فتقدم وقال : أعطنى أيها الأمير اللواء لآخذ بثأر أبى ، فأعطاه وقاتل أحسن قتال وتبع شبيب لما انهزم فى ذلك اليوم ، وامتطى فرسه النهد واللواء بيده لم يسقط ، فرآه شبيب على ذلك فقال : من هذا الفارس ؟ : فلله دره فارسا ولله دره فرسا ، فقيل : خالد بن عتاب . فقال : مغرس رئاسة » .

وهذا أول اختيار الجزء الثانى

باب
أنفة السادات من قول الهجاء والمناقضـــات

* وقد يفعل العرب ذلك أنفا عن قول الهجاء لما فيه من سوء الأثر ؛ وتدع جواب الهجاء تنزهاً عنه . وقال معبد بن علقمة : (١)

فقل لزهيرٍ إن شَتَمتَ سَرَاتنـــا فلسنا بشتامِـــين للمتشتِّم

ولكننا نـأبَى الظلامَ ونعتــصى بكل رقيق الشَّفرَتين مصمّم

وتجهلُ أيدينا ويحلُمُ رأيُنَــا ونشتم بالأفعــال لا بالتكلم

وإنَّ التمادى فى الذى كان بيننا بِكفَّيكَ فاستأْخِرْ له أو تقدَّم

* وكان الأعور بن براء يهجو بنى كعب بن ربيعة فأتت بنو كعب تميم بن أبى بن مقبل (٢) ، فقالوا ألا ترى ما يصنع الأعور بقومك ؟ .

---

(١) معبد بن علقمة — المازنى

والأبيات فى الحماسة ٢ — ٩١ شرح المرزوقى ، والتذكرة السعدية ١١١

(٢) تميم بن مقبل هو تميم بن أبى بن مقبل من بنى العجلان من عامر بن صعصعة وكان أعورو يعد من عوران قيس ، وهم خمسة شعراء

والأبيات ليست فى ديوانه المطبوع ، وقد ذكرنا شره الدكتور عزت حسن البيتين فى ذيل الديوان رقم ٢٥ ونقل ابن رشيق البيتين فى العمدة ١ — ٨٩ مع الخبر فى خلاف من اللفظ .

فقال : ما تشاءون ؟ . قالوا : نشاء أن تهجو بنى فلان قال : انصرفوا ، فاذا أتاكم الشعر فادووا . واندفع وهو يقول :

وَلسْتُ وإن شاحنتُ بعضَ عشيرتى ... لأَذكرَ ما الكهلُ الكلابىُّ ذاكرُ

فكم لى من أمٍّ لعبتُ بثديِهـــا ... كلابيَّةٍ عادت عليها الأَواصِرُ

فسمعت بذلك بنو كعب فشتموه ، وسمعت بنو كلاب فركبوا إلى الأعور فنهوه عن بنى كعب ، وقالوا له : العجلانى خير منك أتوه بنو كعب يأمرونه بهجاء بنى كلاب ، فمدح بنى كلاب . فقال الأعور : (١)

ولسْتُ بشاتِم كعباً ولكن ... على كعبٍ وشاعرها السَّلامُ

ولست ببائع قوماً بقــوم ... همُ الأَنْفُ المقــدّمُ والسنامُ

وكائن فى المعاشر من قبيــل ... أخـــوهم فوقهم وهم كرامُ

ولم يقل الأعور بعدها شيئاً . وقال آخر :

كم من لئيم ودَّ أنى شتمتُه ... وإن كان شتمى فيه صابٌ وعلقَمُ

وللكفُّ عن شتم اللئيم تكرُّماً ... أضرُّ له من شتمه حين يشتمُ

وتعجبُ أن حاولتُ منك تنصُّفاً ... فأَعجب منه ما تحاول من ظُلمِى

أَبا حسنٍ يكفيك ما فيك شاتماً ... لِعرضِكَ من شتم الرجالِ ومن شَتمِى

إذا شئتَ يوماً أن تسود عشيرةً ... فبالحلم سُدْ لا بالتسرُّع والشَّتْم

وللحِلْمُ خيرٌ فاعلمنَّ مغبَّــــةً ... من الجَهْلِ إلا أن يشمس من ظُلمي

* وهجا الحطيئة ، واسمه جرول بن أوس العبسى الزبرقان بن بدر فقال : (١)

---

(١) العمدة ١ — ٨٩

(٢) طبقات فحول الشعراء ١ — ١١٦

دع المكارم لاترحل لبغيتهـــا واقعد فإنك أنت الطاعِمُ الكاسي

* وكان الزبرقان شاعراً مفلقا ، فلم يرد على الحطيئة ، ولا رضى لنفسه منا قضته ، كما فعل بالمخبل القريعى (١) إذ كان الحطيئة دون المخبل فى الشرف ، واستعدى عليه عمراً فأنصفه منه . وكان الزبرقان شريفاً ، ولم يرتد بمنع الزكاة كما فعل نظراؤه ، بل كان أول من دخل المدينة على الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقات قومه ، فقدم بإبل كأنها عروق الأرطى . والأرطى شجر له عروق حمر ، فجهز بها أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد إلى أسد وغطفان ، وهم على بزاخة مرتدين مع طليحة بن خويلد الفقعسى وفيهم الحطيئة ، وهو مرتد ، وهو القائل : (٢)

ألا كلّ أرماحٍ قصارٍ أذلَّـــةٍ فداءٌ لأَرماحٍ نُصبنْ على الغَمرِ

أطعنا رسول الله إذ كان بيننــا فياليت شعرى ما لدين أبى بكْرِ

أيُورِثُها بكْراً إذا ماتَ بعده فتلك لعمر الله قاصمة الظَّهْرِ

ثم حسن إسلامه بعد ذلك .

* وقال الزبرقان :

وفيت بأَذواد الرسول وقد أَتَتْ سعاةٌ فلم يردد بعيراً مجيرُهــا

وإنى لمن قومٍ إذا عدَّ سَعْيُهُمْ أتى المحزبــات حبّها وقتيرها

* وقال الفرزدق إن الطرماح يهجونى لأرفعه . إيهات ، ايهات ! عيلت دونه القضب .

عيلت : أرتفعت . من عالت الفريضة أى ارتفعت . والقضب القصائد ، وأحدها قضيب ، أى مقضوب . والذى هجا به الطرماح الفرزدق قوله :

---

(١) هكذا فى الأصل وذكر ابن رشيق أنه المخبل السعدى

(٢) ديوان الحطيئة

لاعزّ نصر امرىءٍ أضحى له فرسٌ على تميم بحب النصر من أَحَد

إذا دعا بشعار الأزد نفّـــرهم بما ينفّر صوت السّبع بالنَقـد

أَفى تميم تُسامينا ومـا حلفـت حتى مضت قسمة الأحسابِ والعددِ

لو جاء وِرْدُ تميم ثم قيل لهـا حوض النبيّ عليه الأزد لم تَرِدِ

أو أنزلَ الله وحياً أن يعذّبهـ إن لم تعد لقتالِ الأَزْدِ لم تَعُـد

لا تأمننّ تميميًّا علـى جسـدٍ قد ماتَ ما لم تُزايل أعظَمَ الجسدِ

وكل لـؤم يبيد الدهـر سوأتَه ولؤمُ ضَبَّةَ لم ينقص ولم يَـزِدِ

لو كان يخفى على الرحمن خافيةٌ من خلقه خفيت عنه بنو أسَـدِ

قـومٌ أقـام بـدار الـذلّ أولهم كما أقامت عليه جذمة الوتد

واسأل قفيرة بالمرُّوت هل وجدتْ سوط الحُطيئة بين الكسر وَالنَّقَدِ(١)

أم كان فى غالبٍ شعرٌ فيشبهـه شعر ابنه فينال الشّعر من صدَدِ (٢)

لولا قريش وحقٌّ فى الكتاب لها وأن طاعتها تهدى إلى الرَّشَـدِ

دِنَّا تميماً كما كانت أوائلنـا دانت أَوائِلَهُمْ فى سالف الأبد

وإنما نسب الطرماح الفرزدق إلى الحطيئة لأن الفرزدق لما هرب من زياد أتى سعيد بن العاص وهو على المدينة أيام معاوية فاستجاره فأجاره ،

---

(١) رواية ابن سلام ، بين السخف والنضد

(٢) رواية ابن سلام « فيقال : الشعر من صدد »

وعنده الحطيئه وكعب بن جعيل ، فأنشده الفرزدق شعره الذى يقول فى سعيد منه : (١)

تَرى الغرَّ الجحاجح من قريشٍ إذا ما الأَمر فى الحدثان غَالاَ
بنى عمّ النبىّ ورهط عمرو وعثمان الأَولى غلبوا فعالا
قيامـا ينظـرون إلى سعيدٍ كأَنَّهم يـرون بـه هِلاَلاَ

فقال الحطيئة : هذا والله الشعر لا ما يعللك به منذ اليوم أيها الأمير . فقال كعب : فضله على نفسك ، ولاتفضله على غيرك . فقال : بل والله أفضله على نفسى وعلى غيرى . ياغلام أدركت من قبلك ، وسبقت من بعدك . ثم قال له : إن طال بك عمر فستبرز علينا . ثم قال : ياغلام . أنجدت أمك !؟ قال : لابل أبى . يريد الحطيئة إن كانت أمك أنجدت فأنا أصبتها ، فأشبهتنى فألفاه لقن الجواب ، فنعى ذلك عليه الطرماح بقوله :

فاًسأَل فقيرة .... البيت

وقال الطرماح :

أتجعل يا ابن القين أوساً وحاتماً كذى مرجلٍ عند استهِ وقدوم

قال ابن شبرمه : كان الطرماح جليسا لنا ، وإذا فقدناه قمنا جميعا ننظر مادهاه فلما كنا قريبا من منزله إذا نحن بنعش عليه مطرف خز أخضر ، فقلنا : من هذا الميت ؟. قالوا : الطرماح . فقال بعضهم ، والله ما استجاب الله حيث يقول : (٢)

---

(١) ديوان الفرزدق ص ٦١٨ من قصيدته فى مدح سعيد بن العاص ومطلعها :
وكوم تطعم الأضيـاف فينا وتصبح فى مباركهـا ثقـالا
ورواية البيت الأول : « ترى الشم الحجاج . . »
ورواية الثانى « بنى عم الرسول :. »
(٢) الأبيات فى الأغانى ١٢ ــ ٤٠ ــ ٤١ ورواية الأول : « على سرجع يعلى بخضر المطارف »

فياربّ لاتجعل وفاتى إذا أتَتْ　　على شرجع يُعلى بدكن المطارفِ
ولكن بصحراءِ فريداً وعصبة　　يصابون فى فجٍّ من الأَرض خائِف(١)
إذا فارقوا دُنياهمُ فارقوا الأَذى　　وصاروا إلى موعود ما فى المصاحف

وكان الطرماح يرى رأى الخوارج ، وكان أعرف فى الشعر من الفرزدق لأن جده نفر (١) الذى يقول :

ألا قالتْ أمامة ما لِنَفْـرٍ　　أَرَاهُ غيَّرت منه الدُّهُورُ
وأنت كذاك قد غيرت بعدى　　وكنتَ كأَنك الشِّعرى العَبُورُ

وقال الطرماح :

فلما دَرَكْنَاهُنَّ أبدين للهـوى　　مَحاسِنَ واستولينَ دون محـاسن
ظعـائـن يستحدثْن فى كل بلدةٍ　　رَهينا ولا يحسنَّ فَكَّ الـرهائِن

وكان الطرماح أليفا للكميت بن زيد على بعد ما بينهما فى المذهب ، والعصبية . كان الكميت عدنانيا كوفيا شيعيا ، والطرماح قحطانيا شامياً ، صفريا . وقيل لهما : ما ألف بينكما ؟ قالا : بغض العامة . وكانا معلمين . وهما أحد من اجتمع له المنثور والموزون وقال بعضهم :

أرادتْ ،وذاكم من سفاهةِ رأيها　　أَن اهجوَها لمَّا هجتنى مُحارِبُ
معـاذ إلٰهى إنـنى لعشيـرتى　　ونفسى عن ذاكَ المقَـام لراغِبُ

---

(١) فى رواية الأغانى بيتان :

ولكن قبرى بطن نسر مقيله　　بجو السماء فى نسور عواكف
وأمسى شهيداً ثاويا فى عصابة　　يصابون فى فج من الأرض خائف

(٢) هو جد الطرماح لأن اسمه الطرماح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس

• وقال صخر بن عمرو بن الشريد : (١)

وعاذلةٍ هبَّتْ علىَّ تلومني ألا لا تَلُومِينِي ، كفى اللَّوم مابيا

تقول ألا تهجو فوارسَ هاشِم ومالى إلى أن أهجوهمُ ثم ماليَا (٢)

أبى الذمَّ أنى قد أصابوا كَرِيمتى وأن ليس إهداءُ الخَنَا من شِماليا(٣)

الشمال واحدة الشمائل وهى الخلائق .

• وكان معاوية بن عمرو بن الشريد فارساً شجاعاً ، فأغار فى جمع من بنى سليم على غطفان فبدرته القوم فانبرى له دريد وهاشم أبنا حرملة فانطرد له أحدهما وطعنه الآخر فقتله ، فقال خفاف بن ندبه : قتلنى الله ان رجعت حتى أباريه ، فحمل على مالك بن حمار سيد بنى شمخ بن فزاره ، فقتله . فلما دخلت الأشهر الحرم ورد عليهم صخر فقال : أيكم قاتل أخى ، فقال له أحد ابنى حرملة : استطردت له فطعننى هذه الطعنة ، وحمل عليه أخى فقتله فان قتلته فهو ثأرك . أما أنا فلم أسلب أخاك . قال : فما فعلت بفرسه السمى . قالوا : ها هى تلك فخذها ، فانصرف بها . وقيل لصخر : ألا تهجوهم ؟ (٤) . فقال : ما بينى وبينهم أقذع من الهجاء ، وأنا أصون لسانى عن الخنا . ثم خاف أن يظن به عي فقال الأبيات المتقدمة ، ومنها :

إذا ما امرؤ أهدى لميت تحيةً فحيَّاك ربُّ الناسِ عَنىِّ معاويا

وهوَّن وجدى أننى لم أقل له كذبت ولم أبخل عليه بماليا

---

(١) الأبيات ورد بعضها فى حماسة أبى تمام ١ — ٤٥٥ يرثى أخاه معاوية

(٢) فى الحماسة : « وقالوا ألا تهجو » والعجز « ومالى إهداء الخنا ثم ماليا »

(٣) فى الحماسة « أتى الهجو »

(٤) الخبر فى الشعر والشعراء والأغانى ١٣—١٣٠—١٣٤ وقيل كانوا يسألون أمه كيف صخر اليوم فتقول : أصبح سالما بنعمة الله

فلما أصاب دريداً زاد فيها

وذى إخوةٍ قطعت أقران بينهم كما تركوني واحداً لا أخاليا

فلما انقضت الأشهر الحرم جمع لهم ، فنظرت غطفان إلى جمعه فقال بعضهم : هذا صخر على فرسه السمى ، فقيل : كلا السمى غراء ، وكان خمم غرتها فأصاب فيهم . وقتل دريد بن حرملة ، ثم غزا صخر بعد ذلك بنى أسد بن خزيمة ، فنذروا به ، فاقتتلوا ، فارفض أصحاب صخر عنه ، وطعن فى جنبه طعنة ، فاستقل بها ، فلما صار إلى أهله تعالج منها فنبا من الجرح مثل اليد ، فأضناه ذلك حولا فسمع سائلا يقول لأمرأته كيف صخر ؟ فقالت : لا ميت فينعى ، ولاحى فيرجى ، فعلم أنها برمت منه ، ورأى تحرق أمه فقال (١) :

أرى أم صخرٍ ماتحل عيادتى وملَّت سليمى مضجعى ومكانى

وما كنتُ أخشى أن أكون جنازةً عليك ، ومن يَغْترُّ بالحدثان

أَهُمُّ بامرِ الحزم لو أستطيعُــه وقد حيل بين العير والنَّزَوان (٢)

فأى امرئ ساوَى بأمٍّ حليــلةً فلا عاش إلا فى شَقاً وهــوان

وهم بقتل سليمى ، فأخذ السيف ، فلم يستقل به ساعده ، وضعف عن الضرب به فنزل حتى وجد راحة فعلقها بيدها إلى عمود الخباء حتى ماتت (٣) ثم قطع ناتئا من جنبه فيئس من نفسه (٤) ، فقال :

---

(١) والشعر فى الأصمعيات رقم ٤١ ص ١٤٦ ورواية البيت الأول :
« أرى أم صخر ما تجف دموعها »

(٢) فى الأصمعيات يأتى هذا البيت تاليا لما بعده وعددها هناك سبعة

(٣) وجاء فى خبر آخر أنه لما أفاق من علته بعض الإفاقة عمد إلى امرأته سلمى فعلقها بعود الفسطاط حتى ماتت . راجع هامش الأصمعيات ص ١٤٦

(٤) ويقال فى الخبر ونتأت قطعة لحم فى موضع الطعنة واسترخت ، قالوا له : لو قطعتها لرجونا أن تبرأ فقال : شأنكم ، الموت أهون على مما أنا فيه فقطعت ، فيئس فمات . شرح الحماسة للزوزنى ١ ـ ٤٥٥

أجارتنا إن الخطوبَ تنوبُ وإني مقيمٌ ما أقام عسيبُ

أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيبُ

وتروى لامرئ القيس .

* وقالت خنساء فى صخر أخيها :

ياصخر ورّاد ماءٍ قد تبادره أهل المياه وما فى ورده عارُ

مشى السنين إلى هيجاءَ مُعْضِلةٍ لها سلاحان أنيابٌ وأظفارُ

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علمٌ فى رأسه نارُ

وإن صخراً لوالينا وسيدنا وإن صخْراً إذا تشتو لنحّارُ

لم تَرهُ جارةٌ يمشى لساحتها لريبةٍ حين يُخلِى بيتَه الجارُ

تريد بقولها وراد ماء الموت لإقدامه على الحرب . والمعنى . ما فى ترك ورده عار . ومثله قال المرقش . (١)

ليسَ على طولِ الحياةِ نَدمْ ومن وراءَ الموت مالا يعْلَمْ

والسبتنى : الجرى

* وقال عقال بن شبة : كنت رديف أبى ، فلقيه جرير على بغل فحياه أبى وألطفه ، فلما مضى قلت له : أبعد ما قال لنا ما قال ؟! : قال : يا بنى أفأوسع جرحى ؟ (٢) وقال ابن الحنفية : قد تدفع باحتمال مكروه ما هو أعظم منه . وقال عبدالله بن عروة : (٣) بعض الذل أبقى للمال والأهل .

ومدح ابن شهاب شاعر فأعطاه وقال : إن من ابتغى الخير اتقى الشر .

---

(١) المرقش : عمرو بن سعيد بن مالك . راجع فى ترجمته الشعراء لابن قتيبة ١٠٥ والأغانى ٥ — ١٩٩ والبيت من قصيدة له فى المفضليات رقم ٥٤

(٢) العبارة فى البيان للجاحظ ٢ — ٦٢ ط السندوبى

(٣) هو عبد الله عروة بن الزبير وكان من الخطباء

باب
والشعراء تستحسن انتصارها بألسنتها ويقيم ذلك أحدهم مقام سيفه ويده

قال أوس بن حجر (١) :

بَنِيَّ ومالى دون عرضى وقاية وقولٌ كوقع المشرفىِّ المصمِّم

وكان أوس يرغب فى مدحه وتحريضه ، ومن تحريضه يحض النعمان بن المنذر على بنى حنيفة .وذلك ان شمر بن عمرو الحنفى قتل المنذر بن المنذر حين التقى مع الحارث بن أبى شمر الغسانى فقال أوس :

نُبِّئْتُ أن بنى حنيفة أدخلوا أبياتهم تامور نفس المنذرِ (٢)

فغزا النعمان بنى حنيفة فقتل منهم وحرق عليهم (٣) . وقال :

ألا أبلغ بنى بكرٍ رسولاً فقد صمَّ الظنابيبُ السباقُ
إلى الغايات أعلى المجد حتى حسرناكم وبُرّزت العتاقُ
وسالَ بنا الغبيط وجانباهُ على حنقٍ وسلك بهم أفاقُ
أطعنا ربنا وعصاهُ قومٌ وذقنا غِبَّ طاعتهِ وذاقوا

---

(١) هو أوس بن حجر التميمى . شاعر جاهلى فحل راجع ترجمته فى طبقات ابن سلام والشعر والشعراء

(٢) أورد ابن رشيق الخبر والشعر فى العمدة ١ ـ ٦٢ فى باب « شفاعات الشعراء وتحريضهم » مع بعض خلاف فى اللفظ . ويروى البيت « أن بنى سحيم »

(٣) قال ابن رشيق : « فغزاهم النعمان ، وقتل فيهم وسبى ، وأحرق نخلهم »

* ومن مدح أوس لفضالة الأسدى ، قوله يرثيه :

أيتها النفس أجملى جـــزَعا   إن الذى تحـــذريـــن قد وقعا

إن الذى جمع السماحة والنجدة   والـــبر والتـــــقى جمعـــا

الألمعىُّ الذى يَظـــنُّ بك الظنَّ   كـــأن قـــد رأى وقـــد سَمِعَا

* قال الأصمعى : هو أحسن ابتداء مرثية ، وهو كقول على بن الحسين وتوفى له ولد فلم يربه عليه جزع ، فقيل له فى ذلك . فقال هذا ما كنا نتوقعه ، فلما حل لم تنكره .

* ولأوس بن حجر فى مقاله يرثيه أيضا :

أَلم تكسف الشمس شمس النها   ر بالنجم والقمـر الوَاجب

لهلك فضالـــة لا يستوى الفقـ   ـود ولا جلـــة الـــذاهبِ

الهـــنى عـــلى علم الآيـــة   عـــلى الحـــائر الحىّ والحاربِ

ويكـــفى المقـــالة أهـــل المقا   لِ غير مـــعيب ولا عـــائبِ

ويحبـــو الخليـــل بخير الحبا   ء غير صخـــوبٍ ولا قـــاطِب

براس النجيبـــة مـــن حـــوله   وبالطرف كـــالجـــؤْذَرِ الكاعب

فمن يك ذا نائـــلٍ يسع   مـــن فضالة فى أثرٍ لاجب

هو الواهبُ العلق غير النفيـ   ـس والمتعلى عـــلى الواهِبِ

وافضلت فى كل ىء فما   تناول سعيك مـــن طالـــبِ

نجيحٌ مليحٌ أخـــو ما قطِ   نقاب يحـــدثُ بالغائِبِ

• وكان المخبل السعدى هجا خليدة (١) بنت بدر ، فقال للزبرقان أخيها :

حلفت برأسِ العين أنك قاتلُه   وأنكحتَ هزّالاً خليدةَ بعدما

مشق إهَابٍ أوسع السلحُ بَاجلَه   فانكحته رهْوَى كانَّ عجانها

بذى شرمان لم تزيَّل مفاصلُهْ   يلاعبها فوق الفراش وجاركم

وكان هزال قتل ابن أمية فى جوار الزبرقان ، ورحل إلى الجزيرة ، فأقسم الزبرقان ليقتلنه ، ثم مضى الدهر على ذلك وزوجه أخته خليدة ، ثم مر المخبل بعد حين وقد أصابه كسر بخليدة ، وهو لا يعرفها ، فآوته وجبرت كسره ، وزودته عند رحيله ، فقال : ما اسمك يا جارية ؟ . قالت : لم ذاك؟ قال : لأمدحك قالت : رهوى . قال : بالله ما رأيت امرأة أكرم منك لها مثل هذا الإسم . قالت : فأنت سميتنى به . قال : وكيف ؟ . قالت : أنا خليدة أخت الزبرقان فأقسم لا يهجوها ولا أحداً من قومها . وقال :

سأعتب قومى بعدها وأتوبُ   لقد زَلَّ رأيٌ فى خليدةَ زَلَّةً

كَذَبتُ عليها والهِجَاءُ كذُوبُ   وأشهد والمستَغْفَرُ الله إنّنى

الرهوى التى تذم عند الجماع بسعة الفرج .

---

(١) هو أبو يزيد المخبل بن ربيعة بن عوف من بنى أنف الناقة ، عمر فى الجاهلية والإسلام ، ومات فى خلافة عثمان وهو شيخ كبير ، ويذكر ابن سلام أبياتا من قصيدته هذه فى هجاء الزبرقان لاترد بينها الأبيات المذكورة هنا ، وهى من قصيدة رواها صاحب منتهى الطلب والاختبارين
راجع طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ — ١١١ وقد ذكره فى الطبعة الخامسة ١ — ١٤٣

* وقدم المدينة عبان بن قيس بن عاصم ، فنزل على أروى بنت كريز فأكرمت مثواه فقال حين أراد الخروج :

حلفت على أروى سلاماً فإنما جَزَاءُ الثواءِ أن تَعِفَّ وتَحمدا

سلاماً أتى من وامقٍ غير عاشقٍ أرادَ رحيلاً ما أَعَفَّ وأمجدَا

* وقال نابغة بنى ذبيان لعامر بن الطفيل فى وقعة حنين . وكان النابغة غائبا عنها ، فلما قدم سأل بنى ذبيان عما قالوا لعامر وما قال لهم ، فأنشدوه فقال : أفحشتم على الرجل وهو شريف . ثم قال : (١)

إن يكُ عامرٌ قد قال جهلاً فإن مظِنَّة الجهل الشبابُ

فكن كأبيك أو كأبى براءٍ تصارفك الحكومة والصوابُ

فلا تذهب بُلبِّكَ طائشاتٌ من الخيلاءِ ليس لهنَّ بابُ

فإنك سوفَ تبرك أو تناهى إذا ما شبت أو شاب الغرابُ

وإن تكن الفوارس من حُنين أصابوا مِن لقائِكَ ما أصابو

فما أن كان من نسب بعيدٍ ولكن أدركوكَ وهم غضابُ

فلما سمع ذلك عامر قال : ما هجانى أحد حتى هجانى النابغة . جعلنى القوم رئيساً ، وجعلنى النابغة سفيها جاهلا ، وتهكم بى ولم يزد عليه . والتهكم الاستخفاف .

* أراد عمرو بن الأهتم (٢) أن يسفه الأحنف بن قيس فدس إليه رجلا

---

(١) ديوان النابغة ص ١٥ ورواية البيت الرابع

وإنك سوف تحلم أو تناهى إذا ما شبت أو شاب الغراب

(٢) عمرو بن الأهتم بن سنان المنقرى التيمى . كان من سادات تميم وخطبائهم وشعرائهم وذوى اللسن والفصاحة فيهم ، وهو صاحب الحديث المشهور مع الزبرقان بن بدر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم عام ٩ هـ توفى سنة ٥١ هـ راجع البيان ١ ــ ٦٠ ط السندوبى ١ ص ٢١٥

فقال : يا أبا نجم من كان أبوك فى قومه ؟ . قال : كان فى أوسطهم ، لم يسدهم ، ولم يتخلف عنهم . فرجع إليه ثانية ففطن أنه من قبل عمرو ، فقال الرجل : ما كان مال أبيك ؟ . فقال : كانت له صرمة يمنح منها ويقرى ، ولم يكن أهتم سلاحاً . والأهتم أسمه سنان بن سمى والذى هتمه قيس بن عاصم ضربه بطرف قوسه فكسر فمه .

وجعل عمرو بن الأهتم لرجل ألف درهم على أن يسفه الأحنف ، فأتاه الرجل وسبه بما يغضب والأحنف مطرق لا يكلمه ، فأقبل الرجل يعض إبهامه ويقول : واسوأتاه ! والله ما يمنعه من جوابى إلا هوانى عليه . وفعل ذلك آخر فأمسك الأحنف عنه ، وأكثر الرجل إلى أن أراد الأحنف القيام للغداء ، فقال للرجل : يا هذا إن غداءنا قد حضر فانهض بنا إليه إن شئت فانك منذ اليوم تجد وتحمل بغال .

• ولو لا الشعر ما عرف جود حاتم وكعب بن مامة وهرم بن سنان وأولاد جفنه ، وإنما أشاد بذكرهم الشعر . قال الفرزدق : (١)

على ساعة لو أَنَّ فى القوم حاتماً على جودِهِ ضُنَّتْ بها نفسُ حَاتِمِ

وقال زهير : (٢)

من يلقَ يوماً على علاَّته هرِمَا يلق السَّماحَةَ فيه والنَّدى خُلُقَا
لو نالَ حيٌّ من الدنيا بمكرمةٍ أُفقَ السَّماءِ لنالت كفُّه الأُفُقَا

وقال جرير : (٣)

فما كعبُ بنُ مَامةَ وابن سُعْدى بأَجودَ مِنْكَ ياعُمرَ الجوَادَا

---

(١) ديوان الفرزدق من قصيدة « تحن بزوراء المدينة ناقتى »
(٢) شرح ديوان زهير لثعلب ص ٥٣ طبع الهيئة العامة للكتاب
(٣) ديوان جرير ص ١٠١ فى مدح عمر بن عبد العزيز

وقال عنترة : (١)

ولقد شفى نَفْسِى وأبرأ سُقْمها   قولُ الفوارس ويلكَ عنترَ أقدِمِ

وقال آخر :

وفككنا غل امرئ القيس عنه   بعد ما طال حبسه والعنـــاءُ

وقال القطامى : (٢)

أليسوا بالأُولى قسطوا قديمـــا   على النعمانِ وابْتَدَرُوا السطاعا

وهم وردُوا الكُلاب على تميم   بجيش يَبْلغُ الناسَ ابتلاعا (٣)

---

(١) ديوانه من قصيدته الميمية المشهورة

(٢) القطامى عمير بن شييم بن عمرو التغلبى ، وتلقى عن الأخطل الشاعر ، وعاصر الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وأسره زفر بن الحارث ، وفك أسره فمدحه ، وموته فى حدود سنة ١٠١ هـ

(٣) البيتان من قصيـــدة يمدح زفر بن الحارث الكلابى ديوان القطامى فى تحقيق السامرائى ومطلوب ص ٣٦ والسطاع عمود البيت ، يعنى فى البيت الأول أنهم هدموا البيت

باب

وفى الشعر التياط بالقلوب

ومدخل لطيف إلى النفوس ، وسلم مختصر إلى الأوهام ، ومعز شاف ، وواعظ ناه ، ومعقل يأوى إليه المحروب ، ويسكن إليه المحزون ، ويتسلى به المهموم . قال لبيد بن ربيعة — وكان جواداً ، وكان ابنه قريط أبو حنيف يلومه على ذلك ، فقال له : (١)

أُنْبِئْتُ أَن أبا حنيـــف لا منى فى اللائمينَـا
أُبُنَىَّ هـل أحسنْتَ أعمـا مِى بنى أُمِّ البنــينا
وأَبى الـذى كانَ الأَرَامِـ لُ فى الشِّتاء لــه قَطِينا
الفتية البيــض المخَّالصُ أخلصـوا حرما ولينا (٢)
ما إن رأيتُ ولا سمعـ تُ بمثلهم فى العـالمينا
فلئن بعثتُ لهم بُغـا ةً ما البغـاةُ بواجِدِينا
فبقيت بعـدهم وكنـ تُ بطول صُحْبَتِهم ضَنينا(٣)

---

(١) ديوان لبيد قصيدة ٦٤ ، ص ٢١٤ طبع بيروت — ويقال إن لبيداً قالها ليلة وفاته .

(٢) يسبق هذا البيت بيت آخر يقول فيه :

وأبـو شـريح والمحـا مى فى المضيـق إذا لقينا

(٣) رواية الديوان « فمكثت بعـدهم »

وإذا دفنتَ أَبَاكَ فاجعـــ ـــل فوقَه خشباً وطينــا

ليقِينَ وجهَ أبيـــك سفسَا ـــفَ الـــتُّرابِ ولن يَقينا(١)

وقال الحارث بن حلزة : (٢)

مـــن حاكم بيني وبـــين الدهـــر جَارَ عليَّ عَمْدَا

أودَ لسادتنا وقـــــد تركوا لنـــا خلفا وجُرْدَا

فلو أن مـــا يأْوى يصيـ ـــب بـــنى ثهـلان فنـدا

أَو رأْس رهـــــوة أورُءُ وس شمارخٍ لهـدّدْن هدَّا

فضعى قناعـــك إن رأيـــ ـــتِ الدهـــرَ قد أفْنَى معدَّا

الفند القطعة من الجبل .

• وقال على بن أبى طالب لما مات الأشتر : «تالله مالك او كان من جبل كان فنداً ، أو كان من حجر كان صلدا على مثل مالك ، فليبك البواكى » .

• وقال لبيد : (٣)

فإنْ أنتَ لم تصْدُقْكَ نفسُك فانتسِبْ لعلَّك تهديكَ القرونُ الأَوائِــلُ

فإن لم تَجِدْ من دونِ عَدْنانَ والــداً ودون معدٍّ فلْتَزَعْكَ العوازِلُ (٤)

• وقتل نصر بن بشر بن أبى أرطأة العامرى عمرو بن أراكة ، وكان خليفة عبيد الله بن عباس على النمر أيام على رضى الله عنه ، فجزع عليه أخوه جزعاً شديداً ، فقال أبوه :

---

(١) بين هذا البيت وسابقه جملة أبيــات

(٢) رواية الديوان « ليقين وجه المرء »

(٣) ديوان لبيد قصيدة ٤٤ ومعانى الشعر لابن قتيبة ٢ — ١٢١١ وروايته :

« فإن أنت لم ينفعــك علمـــك فانتسب »

(٤) روايتـــه فى الديوان :

« فـــإن لم تجـــد من دون عدنان باقيــا »

لعمرى لئن اتبعت عينك مامضى ... به الدهرُ أو ساق الحمام إلى القَبرِ
لتستدر ماء الشؤون بأسرها ... ولو كنت تمريهنّ من سَبَجَ البحر
تَبيَّنْ فإن كان البكا ردَّ هالكاً ... على أهله فاشدد يديك على عمرو
ولاتبك ميتا بعد ميتٍ أحبَّه ... عليٌّ وعباسٌ وآل أبى بكْرِ

رضى الله عنهم ، فتغرب عنه لما سمع الأبيات .

وكان سبب قتل عمرو بن أراكة الثقفى أن معاوية أرسل بشر بن أرطأة إلى اليمن ليقتل شيعة على رضى الله عنه ، وقال له : لا إمرة لك على قيس ، فسار حتى أتى المدينة . فقتل بها ابنى عبيد الله بن عباس ، وكانا عند جدتّهما من بنى كنانة ، ويقال من بلحارث بن كعب . أخذتّها من تحت ذيلها ، فقتلهما فقالت :

يا من أحس بابنىَّ اللذين هما ... سمعى وطرفى اليوم مختطَفُ
يا من أحس بابنىَّ اللذين هما ... كالدّرتين تسطىَّ عنهما الصدفُ
يبيت براً وما صدّقتُ ما زعموا ... من قولهم، ومن الإفك الذى اقترفوا
أنحى علىْ ووَجَى طِفْلىَّ مُرْهَفَةً ... مشْحوذةً وعظيم الإفك يقترفُ
من ذلّ والهةٍ حرَّى مفجْعةٍ ... على صبييّْن بانا إذ مضى السلَفُ

وفر أهل المدينة منه فدخلوا حرة بنى سليم ، ومضى إلى اليمن ، فقتل وسبى .

قال العتبى (١) : مات لى بنون ، فمنعنى شدة الوجد بهم من البكاء عليهم فذكرت قول ذى الرمة : (٢)

---

(١) العتبى هو محمد بن عبيد الله العتبى من ولد عتبة بن أبى سفيان . كان راوية أخبارياً شاعرا بليغاً ، خطيبا لسنا ، وكان مستهترا بالشراب . وأكثر أخباره عن بنى أمية . توفى سنة ٢٢٨ هـ

(٢) ديوان ذى الرمة القصيدة رقم ٦٦ ص ٥٦٧

خليليَّ عُوجَا من صدور الرَّواحِلِ ... بجمهور حُزْوَى فابكيا فى المنازِلِ
لعل انهمال الدمع يعقب راحةً ... من الوجد أو يشفى نجىَّ البلابلَ

فحنيت فبكيت وشكوت .

* ومن شعر العتبي فى بيته :

يَنَامُ المسعدون ومن يلومُ ... وتوقظنى وأُوقظها الهُمومُ
صحيحٌ بالنهار لمن رآنى ... وليلى لاينام ولاأُنيمُ
كأَنَّ الليل محبوسٌ دجاهُ ... فأَوله وآخره مُقيمُ
لمهْلَكِ فتيةٍ تركوا أَباهُم ... وأَصغرٌ ما به منهم عظيمُ
يذكرّ نيهمُ ماكنتُ فيه ... فسيَّان المساءةُ والنعيمُ
فبالخدّين من دمعى نُدُوبٌ ... وبالأَحشاءِ من وجْدى كلومُ
فإن تهلك بنىّ فَليس شىءٌ ... على شىءٍ من الدنيا يَدُومُ

* وقال الفرزدق : (١)

أَلم تَر أَنى يوم جوّ سُويقةٍ ... بكيتُ فنادتْنى هنيدةُ مابيا
فقلتُ لها إنَّ البكاءَ لراحةٌ ... به يَشْتَفِي من ظَنَّ أَن لاتلاقيا

---

(١) ديوان الفرزدق ص ٨٩٥ من نقائضه مع جرير ، والبيت الأول مطلع القصيدة وروايته بالديوان : « فنادتنى هنيدة ماليا »

باب

فى دعاء بعضهم على بعض

ومما ينشد فى ذلك . قال ناس من الصحابة رضى الله عنهم لعمر رضى الله عنه : ما بال الناس كانوا إذا ظلموا فى الجاهلية استجيب لهم ونحن لايستجاب لنا ولو كنا مظلومين ؟ . قال : قالوا فلا زاجر لهم إلا ذاك ، فلما أنزل الله الوعد والوعيد والحدود والقصاص وكلهم إلى ذاك .

• وقال الراجز :

يارب يارباه يارب البشر سَلِّطْ على الضحَّاكِ فى برد السَّحَر
صلاً من الحيَّاتِ ململوماً ذكرْ داهيةً قد صغرَتْ من الكِبرْ
ابتر ما صادف من عمر بَتَرْ

• وقال :

وسارية لم تَسْرِ فى الأرض من تبتغى محلاًّ ولم يقطع بها البعدَ قَاطِعُ
سَرت حيث لم تَهْدِ الركابُ ولم تتح لوردٍ ولم يقْصُرْ لها القيد مانِعُ
تمرُّ وراءَ الليل والليل ضَارِبٌ بجثمانه فيه سهيرٌ وهاجِعُ
إذا وفدت لم يردد الله وفدها على أهلها والله راءٍ وسامِعُ
تفتح أبوابُ السماواتِ دونها إذا قرع الأبوابَ منهنّ قارعُ
وإنى لأرجو الله حتى كأنما أرى بجميل الظنّ ما الله صانِعُ

* وقال ابن أحمر : (١)

لا صابَ جارَهم الـــربيــعُ ولا زادت حمــولتُـــهُ عـــلىَعشْر

أى لا جعل الله له من الحمولة ، وهى الإبل إلا أصابعه العشر أى لايكون له إلا ما يحمله بكفيه . والعرب تقول : حليت قاعداً وشربت بارداً تعنى أنه يحلب الغنم لذهاب إبله ويذهب لبنها فيشرب الماء . وقال آخر : (٢)

فَجنِّبْتَ الحبُوسَ أَبازُبَيْبِ وجادَ على ديارِكم السحابُ

أى لا كان لك مال تعزى عليه ، أى لازلت فقيراً وجاءت السحاب على ديارك لتراه حسرة ، والعرب تقول : مرعى ولا أكولة ، وعشب ولابعير

قال الزبير بن بكار : كان سعد بن أبى وقاص مستجاب الدعوة ، ومر يوماً يقوم عكوف على رجل سمعه يسب عليا وطلحة والزبير ، فنهٰه ، فرفع إليه رأسه فقال : لاتهددنى كما تهددنى بنى . فانصرف سعد فدخل دار آل فلان ، فتوضأ ثم قام فصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواماً قد سلفت لهم منك سابقة اسخطك بسبه إياهم فاره اليوم ليكون آية للعالمين .

---

(١) ابن أحمر : هو عمرو بن أحمر الباهلى . قال ابن سلام : كان صحيح الكلام كثير الغريب والبيت فى معانى الشعر لابن قتيبة ص ٨٣٣ ، وأعقبه بتعليق قريب من هــذا قال : ، أى لا جعل الله له من الحمولة وهى الإبل التى يحمل عليها إلا أصابعه العشر ، أى لا كان له إلا ما يحمل بكفه وحسب . وأنكر أن يكون أراد عشرا من الابل ، لأنها إن كانت حمولة لرجل كان كثير الميرة والخير .

(٢) المعانى لابن قتيبة ٢ ــ ٨٢٣ غير منسوب وروايته :

فجنبت الجيوش أبا زنيب

وفى البيان ٢ ــ ١٢٥ ومعانى الأشناندانى ١٠١ ، واللســان مادة زنب والعمدة ٢ ــ ٥٢

فخرجت لحينه دابة من دار لا يردها شئ حتى دخلت بين أضعاف الناس، فافترق الناس عنها وهو بين قوائمها، فلم تزل تدعثه حتى مات . قال : فرأيت الناس يشتدون وراء سعد ويقولون أبا اسحاق أجاب الله دعاءك أجاب الله دعاءك .

• ودعا أعرابي على الحجاج فقال : اللهم إن شرّه عتيد وخيره بليد بعيد، فباعد عتيده وقرب بعيده ، وأحط به عزمة من قضائك بنصال لها فلا تحير ولا تخيب .

• وقال الأصمعي لأعرابي : ما بالنا إذا دعا الرجل منا على عبده قال له : باعك الله في الأعراب ؟ . قال : لأنا نُجيع كبده ، ونعرى جلده ، ونطيل كده .

باب
فى دفاع الشر بالشر

قال :

وإنى لآتى الشَّرَّ حتى إذا دَنَـا وحـلَّ بدارى قلتُ للشر مرحبا
وأركبُ ظَهرَ الشرِّ حتى يَلينَ لى إذا لم أجد إلاَّ على الشرِّ مركبا

وقال آخر :

ولا أتمنى الشرّ والشرُّ تـاركى ولكن متى أُحْمل على الشَّرّ أَرْكبِ
ولستُ بمفْراحٍ إذا الدهر سرَّنى ولا جازع من صرفه المتَقلِّبِ

قال الله تعالى : (لكى لاتأسوا على ما فاتكم ، ولاتفرحوا بما آتاكم)

* والعرب تتمادح بذلك . ويقال عن أبى مسلم أنه هزم نيفا وستين هزيمة فما رئى عليه كآبة الانهزام ، وفتح له مثلها ، فما رئى عليه أثر الفرح .

قال :

لا أحسب الشر جاراً لايفارقنى ولا أجر على ما فاتنى الوذجا
وما نـزلت من المكروه منزلةً إلاَّ وثقت بأَن ألقى لها فرجَا

* وقال :

إنى إذا ما امرؤ خفَّتْ نعامته فى الجهل واستحصدت منه قُوى الوذم
عقدت فى ملتقى أوداج لبتـه طوقَ الحمامةِ لا يَبْلَى على القِدمِ

• وكان الحارث بن عباد اعتزل حرب بكر وتغلب ، وقال : لاناقة لى فى هذا ولا جمل . فذهبت مثلا . فلما قتل مهلهل بجير بن الحارث . قال الحارث : نعم القتيل قتل .أصلح الله به بين ابنى وائل ، فقيل له : إنه قال وهو يقتله : بوء بشسع كليب ، فغضب وقال :

قرّبا مربط النعامة منى ... لقحت حربُ وائل عن حيالِ

لم أكن من جناتهـا علم الله ... ولكنى بحرّها اليوم صالى

قرِّبَا مَرْبطَ النّعامةِ مِنِّ ... إنَّ قتْلَ الكريم بالشِّسْعِ غَالِي

لا تحيرا عنى قتيلاً ولا رهطَ ... كليب تزاجروا عن ضلال

• وقال المتنبى : (١)

لى كل طاو تحت طاو كأنه ... من الدَّم يسقى أو من اللَّحم يُطْعَمُ

لها فى الوغى زىُّ الفوارس فوقها ... فكلُّ حصانٍ دارعٌ متلثمُ

وماذاك بُخْلاً بالنفوس على القنا ... ولكنَّ صَدْمَ الشر بالشر أحزمُ

• وقال الفند الزمانى (٢) :

صفحنا عن بنى ذهْلٍ ... وقلنا القومُ إخوانُ

عسىَ الأيَّامُ أن يرْجعْن ... قوماً كالَّذِى كانوا

فلمَّا صرح الشرُّ ... وأضحى وهو عريانُ

---

(١) ديوان المتنبى ٣ ٧٧

(٢) الفند : هو سهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان ، وإنما سمى الفند لأنه شبه بالقطعة من الجبل ، وكان عظيما ، وشهد حرب بكر وتغلب ، وقد قارب المائة سنة فأبلى بلاءا حسنا . راجع لباب الآداب ص ٢٠٥ — ٢٠٦ وشرح التبريزى ١ ٦

شددنا شدة الليث ... غدا والليث غضبان

ولم يَبْقَ سِوَى العُدْوا ... نِ دِنَّاهم كما دانُوا

بضربٍ فيه تضجيعٌ ... وتوهينٌ وإدنانُ

وطعنٍ كفم الزِّقِّ ... غدا والزقّ ملآن

وفى الشر نجاةٌ حين ... لا ينجيك إحسْانُ (١)

(وبعض الحلم عند الجهـ ... ـلِ للذلةِ إذعان)

ومما قيل فى المكافأة بالشكر أسر حنظلة بن عامر العجلى جويرية بن زيد من بنى دارم ، فقعد العجليون شرباً وهو فى الوثاق ، فرفع عقيرته يتغنى :

وقائلة ما غاله أن يزورنا ... وقد كنت عن تلك الزيارة فى شُغْلِ

وقد أدركتنى والحوادث جَمَّةٌ ... مثالبُ قوم لاضعافٌ ولاعُزْلُ

لعلهم أن ينظرونى بنَعمةٍ ... كما صاب ماء المزن فى البلد المحل

وقد ينعش الله الفتى بعد عثرةٍ ... وقد يَهْدِى إلى الحسنى سراة بنى عجل

فأطلقوه بغير فداء .

* وقال آخر :

سأشكُرُ عَمراً إن تراخت مَنيَّتِى ... أيادى لم تُمنن وإنْ هِى جَلَّتِ

فتىً غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زَلَّتِ

رأى خُلَّتى من حيث يخفى مكانها ... وكانت قذى عينيه حتى تجلَّتِ

---

(٣) الأبيات فى الحماسة شرح التبريزى ١ – ٦ مع خلاف فى بعض الأبيات وما بين المعقوفين زيادة من الحماسة

• وقال أبو طالب :

جَزى الله رهطاً من لؤىٍّ تتابعـوا … على ملأ يهدى لحزم ويرشـد
قُعود لدى جنب الحطيم كأنهم … مقاولةٌ بل هم أعزُّ وأمجـدُ
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً … فسر أبو بكر بها ومحمَّـدُ
ألم يأتكم أن الصحيفة مزّقـت … وأن كلاما لم يرضه الله يفسدُ
أعـان عليها كل صقر كأنه … إذا ما مشى فى رفرفِ الدرع أجردُ

ويعنى سهل بن بيضاء الفهرى ، وهو الذى سعى فى شأن الصحيفة حتى مزقت .

• وقال عمارة بن عقيل : (١)

بنى دارم إن يفنَ عمرى فقد مضى … حياتى لكم منى بناءٌ مُخَلَّـدُ
بدأتمْ وأحسنتم واحسنتُ جاهداً … وإن عدتم أحسنتُ والعودُ أحمدُ

• وقال أبو نجيلة :

شكرتُكَ إنَّ الشكر حبلٌ مِنَ التُّقَى … وما كلُّ من أقرضتَه نعمةً يقضى
فأحييتَ من ذكرى وما كان ميتاً … ولكنَّ بعضَ الذكر أنبهُ من بعضِ

• وكان أسيد بن عنقاء الفزارى من أكبر أهل زمانه ، وأشدهم عارضة ولسانا ، وطال عمره ونكبه دهره ، فخرج عشية يبتهل لأهله ، فمر به عميلة

(١) عمارة بن عقيل بن بنى بلال بن جرير بن الخطفى ، شاعر مقدم فصيح من شعراء العباسيين وكان يقصد الخلفاء بمدائحه . سكن بادية البصرة ، وأخذ عنه علماء اللغة والنحاة . وقال العلماء إن شعره أشد استواء من شعر جده جرير : وكان هجاء خبيث اللسان . وتوفى فى عهد المتوكل

الفزارى ، فقال : يا عمرو ما أصارك إلى ما أرى ؟ . قال : بخل مثلك بماله وصرف وجهى عن مسألة الناس ، فقال : والله لئن بقيت إلى غد لأغيّرن ما أرى من حالك . فرجع ابن عنقاء إلى أهله ، فأخبرهم بقوله ، فقالت أمه : غرك كلام جنح ليل ، فكأنما القمت فاه حجرا ، فبات متململا بين رجاء ويأس . فلما كان السحر سمع رغاء الإبل وثغاء الشاء وصهيل الخيل ولجب الأموال . فقال : ما هذا . قالوا : عميلة ساق إليك ماله . قال فاستخرج ابن عنقاء وقسم ماله شطرين ، فساهمه عليه ، فقال ابن عنقاء :

رآنى على ما بى عُميلةُ فاشتكى ... إلى ما له حالى أسرّ كما جهر
دعانى فآسانى ولو ضنَّ لم أَلُمْ ... على حين لاَبَدْوٌ يُرجَّى ولاحَضَرْ
فقلت له خيراً وأثنيت فعـــله ... وأوفاك مَا أبليت من ذمٍّ أو شكَرْ
ولمَّا رأى المجد استعيرت ثيابـه ... تردَّى رداءً سابغ الذيل واتّزرْ
غلامٌ رمـاهُ الله بالحسن مقبلاً ... له سيمياءُ لا تَشُقُّ عـلى البصَرْ
كأن الثريَّا عُلِّقتْ فـوق نَحْـرِهِ ... وفى أنفه الشعرى وفى وجهه القَمَرْ
إذا قيلت العـوراءُ أغضى كأنه ... ذليلٌ بلاذلٍّ ولـو شاءَ لانتصَرْ

ومما قيل فى العتاب . قال يزيد بن الحكم الثقفى :

تُكَاشِرُنِى كرْهاً كأنك نَـاصِحٌ ... وعينك تبدى أن صدرك لى دَوِى
لسانُكِ ماذِىٌّ وعينك علقمٌ ... وشرك مبسوطٌ وخيرُك منطوِى
فليتَ كَفَافًا كان خيرُك كلـه ... وشرك عنىّ ما ارتوى الماءَ مرتوِى
عدوّك يخشى صولتى إن لقيتهُ ... وانت عدوىّ ليس ذاو بمستوِى
تصافح من لاقيت لى ذا عداوةٍ ... صفاحاً وعنى بين عينيك مُنْزَوِى
أراك إذا لم أهو أمـراً هـويتَه ... ولست لما أهوىَ من الأمر بالهَوِى

أراكَ احتويتَ الخيرَ مِنِّىَ واحتوى أذاك فكلٌّ مشتوٍ قربَ مجتوِى

وكم موْطنٍ لولاى طحتَ كما هَوَى باجرامه من قُلة النيق مُنهوِى

إذا ما ابتنَى المجدَ ابنُ عمك لم تُعِنِ وقُلتَ ألا ياليتَ بنيانه خَوِىَ

وإنك إن قيل ابن عمك غانمٌ شج أو عميدٌ أو أخو مغلةٍ لوِى

تَمَلَّأْتَ من غيظ علىَّ ولم يَزل بك الغيظُ حتى كدت بالغيظ تنشوِى

وما برحتْ نفسٌ حسُودٌ حسبتها تريبك حتىَّ قيل هل أنت مكتوِى

وقـــال النَّطَاسِيُّونُ إنك مشعـر سلالاً ، ألا بَلْ أنت من حَسَدٍ رَوِى

جمعتَ وفُحشا غيبــةً ونميمــةً خصالاً ثلاثاً لست عنها بمرعوِى

أفحشاً وجبناً واجتناباً عن الندى كأنَّك أفعى كديةٍ فِىَّ محجوى

فيدحو بك الداحى إلى كل سوءةٍ فيا سوءَ من يدحو بأطلس مدحوى

بدا منك غش طال ما قد كتَمتَهُ كما كتمت داءً بها أمٌّ مدْوى

* ودخل أبو تمام الطائى على أحمد بن أبى دؤاد ، فجلس متقصياً ، فقال له أحمد : أحسبك يا أبا تمام عاتباً . فقال : أعزك الله إنما نعيت على واحد ، فأما جميع الناس فلا طاقة لى بعتابهم. فاستحسن ظرفه . وقال : من أنزلك هذا ؟ . فقال : من الحسن (١) حيث يقول :

وليس على الله بمستنكر (٢) أن يجمع العالم فى واحد

---

(١) هو الحسن بن هانىء أبو نواس

(٢) فى الأصل وليس لله بمستنكر

* وقال معن بن أوس المزنى : (١)

لعمرك ما أَدْرِى وإنِّى لأَوْجَلُ ... على أَينا تأْتى المنيَّةُ أَوَّلُ

وإنى أَخوكَ الدائمُ العهدِ لم أَحُلْ ... أَرابَكَ خصْمٌ أَو نَبابك منزلُ (٢)

أُحاربُ من حاربتَ من ذى عداوةٍ ... وأَحبِسُ مَالِى إن غَرِمْتُ فأَعقِلُ

كأَنَّكَ تَشفِى منك داءَ مساءَتى ... وسُخْطى وما فى رَيبتى ما تَعجَّلُ

وإن سؤتَنى يوما صبرتُ إلى غدٍ (٣) ... ليعقِبَ يوماً منك آخر مُقبلُ

ستقطع بى الدنيا إذا ماقطعتنى ... يمينك فانظر أَىَّ كفٍّ تبدِّلُ

وفى الناسِ إن رَثَّتْ حبالُكُ واصلٌ ... وفى الأَرْضِ عن دارالفلامتحوَّلُ

إذا أَنت لم تُنْصِفْ أَخَاكَ وجدْتَهُ ... على طرف الهجرانِ إن كان يعقلُ

وتركب حدَّ السيفِ من أَن تَضيمهُ ... إذا لم يكن عن شَفْرةِ السيفِ مَزْحَلُ

وكنتُ إذا ما صاحبٌ أَمَّ ظِنَّتى ... وبدَّل سوءًا بالذى كنتُ أَفعَلُ

قلبتُ لَهُ ظهرَ المجنِّ فلم أَدُمْ ... على ذاك إلا ريثَ ما أَتحوَّلُ

إذا انصرفت نفسِى عن الشىءِ لم تكدْ ... إليه بِوجْهٍ آخرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

---

(١) فى الأصل أوس ابن معن ، وصحته ما ذكرناه ، والقصيدة فى حماسة أبى تمام شرح التبريزى ١ — ٨ ، ومعن شاعر مخضرم ، وديوانه مطبوع . مات بالمدينة سنة ٦٤ ﻫ ترجم له التبريزى ، وصاحب سمط اللآلىء ١٣٣ والبغدادى ٣ — ٢٥١ والقالى بالأمالى ١٢ — ٤٩

(٢) فى الحماسة :

وإنى أخوك الدائم العهد لم أخن ... ابزاك خصم أو نبا بك منزل

(٣) فى الحماسة « صفحت إلى غد »

* دخل عبدالله بن الزبير على معاوية فقال عبدالله : أتسمع أبياتا قلتها ، وكان واجداً عليه . فقال معاوية : هات فانشده هذه القصيدة المقدمة ، فقال له أقلت بعدنا شيئاً ؟ . قال : نعم . وأنشده القصيدة . فقال معاوية : يا أبا بكر أما ذكرت آنفا أن الشعر لك ؟ . قال : أنا أصلحت المعانى وهذا ألف الشعر وهو بعد طيرى ، فما قال من شئ فهو لى . وكان عبدالله مسترضعاً فى مزينة .

* وقال ذو الإصبع العدوانى : (١)

لىَ ابن عمٌ على ماكان من خلقٍ مخالِفٌ لى أقلِّيه ويُقليني (٢)

أزْرى بنا أننا شالت نعامَتُنَا فخالنى دونــه بل خلته دونى

لاهِ ابنُ عمّك لا أفضَلْتَ فى حسبٍ عنىّ ولا أنتَ ديّانى فتخزُونى

ولاتُقُوتُ عيالى يوم مَسْغَبــةٍ ولابنفسك فى العزّاءِ تكفينى (٣)

إن الذى يقبضُ الدنيا ويبسُطُها إن كان أغناك عنى فهويُغنينى (٤)

الله يعلَمُنى والله يعلمـــــكُمْ والله يجزيكُمُ والله يجزينىَ

ماذا علىَّ وإن كُنْتُم ذَوِى رَحِمِى ألا أُحِبَّكُمُ إذْ لم تُحـــبُّونى

كلُّ امرىءٍ صَائِرٌ يوماً لِشيمتِــه وإن تَخلَّقَ أخلاقاً إلى حينِ (٥)

---

(١) حرثان بن الحارث شاعر فارس جاهلى ، له غارات كثيرة ، وهو أحد الحكماء . عمر دهـرا حتى خرف . راجع فى ترجمتـه الأغانى ٣ — ٦ — ١

(٢) الأبيات من قصيدة له فى مفضليات الضبى رقم ٣١ طبعة أحمد شاكر وهارون ١ — ١٥٨ والبيت الأول عجزه فى المفضليات :
« مختلفـان فأقليـه ويقليـنى »

(٣) العزاء : الضائقة الشديدة .

(٤) البيت ليس فى قصيدته بالمفضليات

(٥) البيت فى المفضليات على غير ترتيبه هنا

إنّي لعَمرك مابابِي بذِي غَلَــقٍ   على الصديقِ ، ولا خيري بممنونِ

ولا لساني على الأَدنى بمنطـــلقٍ   بالمنكرات (١) ، وَلا فتكِي بمأْمُونِ

وفى مثله لقعنب بن أم صاحب : (٢)

مهلاً أعاذل قد جرَّبتِ من خُلُقِي   أَنى أَجودُ لأَقوامٍ وإنْ ضَنِنُوا

إذا غلاَ الحمدُ فى مَالى رخصت لَه   والحمد لايشترى إلاَّ له ثَمنُ

ما بالْ قومٍ صديقٍ ثم ليس لَهُمْ   عهدٌ وليس لهم دينٌ إذا ائتمنوا (٣)

إن يسمعُوا ريبةً طاروا بها فرحاً   منى وما سمعوا من صالحٍ دفَنُوا(٤)

مثل العصافير أحلاماً ومقدرةً   لو يوزنونَ بزفّ الريش ماوزَنُوا

صُمٌ إذا سمعوا خيراً ذُكِرتِ به   وإن ذُكرتُ بسوءٍ عندهم أَذِنُوا

كلٌّ يداجى على البغضاءِ صاحِبَهُ   ولايعالِنُهُمُ إلاَّ كما عَلِنُوا (٥)

ولن يراجع قلبى ودَّهم أبــداً   زكِنْتُ منهم علىمِثْل الّذىزَكِنُوا(٦)

---

(١) رواية المفضليات « بالفاحشات » وروايته « كل امرىء راجع .. » و « وإن تخالق .. »

(٢) قعنب بن أم صاحب من بنى غطفان ، وهو قعنب بن ضمرة ، وأم صاحب أمه نسب إليها . كان أيام الوليد بن عبد الملك . ذكر التبريزى فى الشرح ترجمته ، والقصيدة فيها ٣ أبيات بالحماسة ٢/١٨١ ومختارات ابن الشجرى ، ولباب الآداب ٤٠٢ به ١١ بيتاً ، والصداقة لأبى حيــان ص ١١٥ عشرة أبيات .

(٣) هذا البيت أول أبيات اللباب .

(٤) البيت أول أبيات الحماسة

(٥) فى اللباب عجز البيت : « فلم أعالنهم إلا كما علنوا »

(٦) فى الصداقة : « زكنت من بعضهم مثل الذى زكنوا » ورواية الأصل مطابقة للبــاب ص ٤٠٤

جَهْلاً علينا وجبناً عن عدوّهم ... لبئست الخلّتانِ الجَهلُ والجُبُن(١)

إذا بَطَنْتُ أُرَجِّى خيرَهم ظَهـرُوا ... وإن ظهرتُ لبقيا فيهم بَطَنُوا (٢)

فطانةً فَطنوهَا لو تكون لَهُم ... مروءَةٌ أَو تُقَىً لله مافَطنُـوا

مالى أسكُن عن ضبٍّ ويشتمنى ... ولو شتمتُ بنى ضبٍّ لقدسكِنوا(٣)

كمدخلٍ رأسَه لم يَدْعُهُ أحدٌ ... بين القَرِينينِ حتىَّ لزَّهُ القَرَنُ

وما أُبالى إذا أنضجتُ كيَّهُمُ ... ويدَّعى الناسُ ماقالوا هَنٌ وهنُوا

* وقال ابن المعتز : (٤)

ألا هل تَروْنَ ما أَرَى مِن مَعَاشرٍ ... لهمْ فىَّ حكْمٌ يَهجُرُ الحقَّ مشتطُّ

يُريغونَ مما رَاعَهُم فى شَبيبَتى ... على حينَ أن ذكَّيْتُ واشتعَلَ الوَخْطُ

ألاَ إنَّها أُمُّ العجائب فاصطَبر ... وإن كنتَ ما لُقِّيتَ أَمثالها قطُّ

إذا ما رأَوا خيراً أَبَوْا وتحمَّلُوا ... إلى بنْتهم أَو إنْ رأَوْا شِرَّةً حَطُّوا

ألاَ إنَّ حِلْمِى واسعٌ إن صَلُحْتُمُ ... بحلمى،وعندى بعده الجذْعُ والحبْطُ

فلاتكثروا شَوك الأَذى فى غصونِكُمْ ... فيكثر منىّ فيكُم الكسْرُ والخرْطُ

وليس لقرباكم وانتم عققْـتمُ ... على السيف يوم الروع عهدٌ ولاشرطُ

ولا رحمٌ إلا وقد شجبت بكمْ ... ومزَّقتموها مثل ما مزّقَ المرْطُ

---

(١) هذا هو البيت الثالث فى حماسة أبى تمام ويطابق رواية الأصل ، وفى حماسة البحترى والصداقة « عن عدوكم »

(٢) فى اللباب « أرجى ودهم » وفى الصداقة « أواخى ودهم » و « إن ظهرت للقيا كيدهم » .

(٣) هذا البيت والأبيات التالية غير واردة باللباب

(٤) القصيدة فى ديوان ابن المعتز ص ٢٩٤ طبع بيروت

مستدرس آثار المودة (١) بيننـا وارحامها الدنيا كما يَدْرسُ الخطُّ(٢)

قريبون منى لاتلاوم بيننـــا ونحن بنوعمٍّ كما انفرجَ المشطُ(٣)

كفَرتُمْ يدى فيكم فحُلَّ عقالُها إلى غيركم لمَّا يُشَدَّ لها ربْــطُ

وما كنتُ إلا من يد الله معطيًا ألا إنه فى كفِّه القَبضُ والبسطُ

فهل عندكم عُقبى فيرجع محسنٌ هنىَّ الرضا ، والعفوُ نائله سَبْطَ (٤)

وإلا ملكتُ جانبى وعـزلتُـــه وكنتُ كأنّى ليس لى منكم رهْطُ(٥)

وهل عندكم من هذه غير زفرةٍ تصعَّدُ منكم فى الصدور وتنحطُّ

وإلا وعيـــدٌ لايسير جنـودُه وحيَّاتُ ضِغْنٍ فى مكامنِها رُقْطُ

* وقال غيره :

ألا أبلغ أبا قيس رســولاً بأنى لم أخُنْكَ فـلا تخُنىِّ

ولكنىّ طويت الكشح لمَّا رأيتك قد طويت الكشحَ عني

فلستُ بمدركٍ ما فات منىّ بلهفٍ أو بليتٍ أولـوأنىّ

ولستُ بآمنٍ أبداً خليــلاً على شيءٍ إذا لم يــأتمِـنىّ

وصلتك ثم عادَ الوصلُ إنى قرعتُ نـدامةً من ذاك سِنىّ

فإن أعطف عليك بفضل حلمٍ فما قلبي إليك بمطمئِــنّ

---

(١) رواية الديوان « المحبة »

(٢) عجز البيت فى الديوان « وتحت بنو عم كما انفرج الشط » ورواية الأصل هنا أليــق بالسياق .

(٣) يبدو أن هذا البيت سقط من ناسخ الديوان ، فقد لفق بين عجــزه وشطر سابقــه .

(٤) عجز الديوان « بعينى الرضـــا »

(٥) بالديوان « وإلا عزلت الأمر عنى وعنكم»

غيره :

إلىَ كم يكون الصدُّ فى كل ليلةٍ ... وكم لاتملّينى القطيعة والهجرا
رويدَكِ إن الدهر فيــه بلاغةٌ ... لتفريق ذات البين فانتظر الدّهرا

آخر :

أآن سمتنى ذلاً فعفت حياضَه ... سخطتَ ومن يأْت المذلة يُعْذَرِ
فها أنا مستر ضيك لا عن خيانةٍ ... جنيتُ ولكن منتجنيك فاغفرِ

وقال ابن الرومى :

أتانى مقالٌ من أخٍ فاغتفرتُه ... وإن كانفيما دونه وجهمَعْتَبِ(١)
وذكّرتْ نفسى منه عند امتعاضِها ... محاسنَتعفو الذّنبَعن كلّمذنبِ
ومثلى رأى الحسْنَىَ بعينٍ جَليَّــةٍ ... وأَغضَى عن العوراء غيرَ مؤنّبِ
فيا هارباً من سخطه (٢) متنصّلاً ... هَرَبْتَ إلى أنجى مَفرٌّ ومَهْرَبِ
فعُذرُك مبسوطٌ لدَيْنَــا مقدّمٌ ... وودُّك مقبول بأَهل وَموْجَبِ
ولوبَلَّغتْنِى عنكَ أُذْنِى أقمتُهــا ... لدىَّ مقامَ الكاشحِ المتكذِّبِ
ولستُ بتقليب اللّسانِ مصارِماً ... خليلى إذا ما القلبُ لم يتقلَّبِ

وقال نصر بن أحمد الخبز أرزى (٣) يعاتب معشوقاً له :

فعالُكَ بى أَصْحَتْ فؤادِىمنالسكر ... فلم تُبْقِ لى إلاخُماراً من الذّكْرِ

---

(١) فى الديوان ١ ص ٢١٢ بتحقيق حسين نصار

(٢) فى الديوان من سخطنا

(٣) الخبز أرزى أو الخبز رزى نصر بن أحمد . كان شاعراً أميا يخبز خبز الأرز فى مربد البصرة جمع ابن لنكل ديوانه . توفى سنة ٣٢١ هـ

ولمّا بدتْ راياتُ غدْرِك خاذِلا ... تناجزت لى خيل السلو إلى نصرى

ومن لم يطق صبراً على الغيظِ يستعن ... بهجرٍ وبعض الشرّ يدفع بالشرِّ

كما لا ترى أوْفىَ من الحرّ فى الهوَى ... كذا لا ترى فى الغدر أو فى من الحرّ

أرى الصبر أخطا من رضى بخيانةٍ ... وإن كان لا شىءٌ أمرّ من الصبر

أموتُ بعزّ لا أعيش بذلّـــــةٍ ... وعند الملوك القتل أعفى من الأَسرِ

لعمرى ما أعْرضْتُ عنك تنقصاً ... لقدرك لكن صنت نفسى على قدرى

ترانى إلى خيرٍ أفرٌّ من المـــنى ... إلى الناسِ أوأرضى من الوصلِ بالهجر

أرى كلّ حرٌّ يحسن العذر بعده ... ويعفو وما بعد الخيانةِ من عُذْرِ

ظننتُ بك الحسنى فافسدك العدى ... فكيد الأعادى كانَ أصدق من حِذْرِى

وقالوا رأى السّكينَّ فى الماء فانثنى ... ولست أرى السّكِّين إلا على نحرى

سارعى وإن لم ترع لى حق واجبٍ ... واحفظ ما واليت فى سالفِ الدّهرِ

ولولا حفاظى لم أكن متداركاً ... قليلَ الأيادى بالقليل من الشكرِ

* وكان الرشيد كثيراً ما يستشهد بقول الزبير بن بكار لعبدالله بن مصعب : (١)

وإنى وإن قصرت عن غير بغضةٍ ... لراع لأسباب المودةِ حافظ

ومازال يدعونى إلى الصرم ما أرى ... فآبى وتثنينى عليك الحفائِظُ

وانتظر العتبى وأغضى عن القذى ... ألاينُ طوراً أمرهُ وأغالِـــــظُ

وانتظر الإقبال بالودّ منــــكمُ ... وأصبر حتى أوجعتنى المغايـــظُ

وجَرّبْتُ مايسلى المحب عن الصبا ... فاقصرتُ والتجريب للمرء واعظُ

---

(١) فى الأصل يستدر الزبير بن بكار

* وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يعاتب حسين بن عبدالله ، وكان له صديقا له ثم تنكر ما بينهما :

إنَّ ابنَ عمِّكَ وابنَ أمِّـــكَ ... مُعْلَمٌ شــاكى الســلاحْ
لاتحسبَنَّ إذا ابن عمّـــــــ ... ـــك شــرب ألبــانِ اللقــاح
بلك كاشحـــاً تحـت اللهـا ... ةِ إذا تســوّغَ بالقـــراح
بغـض العـــدو وليس يرضى ... حـــين يبطـــش بالجـراحْ
فانظـــر لنفسك مــن يجيبـــ ... ـك تحت أطراف الرمـــاح
مـــن لايـــزالُ يســـوءُهُ ... بالغيـــب أن يَلْحَـــاكَ لاحْ

وقال غيره :

وإذا غنيت عليَّ بتُّ كأنَّنى ... بالليـــل مختلس الرقـاد سليمُ
ولقد أردت الصبر عنك فعاقنى ... علق بقلبى فى هواك قـــديمُ
يبقى على حدث الزمـــان وريبه ... وعلى جفائِكَ إنـــه لـــكريمُ

وقال الفرزدق :

أسجناً وقيداً واشتياقاً وغـربةً ... وفقدَ حبيبٍ . إنَّ ذا لَعَظـيمُ
وإنَّ امرأً دامتْ مواثيقُ عَهْـدِه ... على دونِ مالاقيته لـــكريمُ

وقال الآخر :

أردتُ لكيْمَا لاترى لِيَ عـثرةً ... ومن ذا الذى يعطى الكمَالَ فيكْمُل

وقال عصام الزمانى :

أبلغ أبا مسمع عنىّ مغلغلةً ... وفى العتابِ حياةٌ بين أقوام
ادخلت قبلى قوماً لم يكن لهمُ ... فى الحق أن يدخلوا الأبوابِ قُدّامى
لوعد قبر وقبر كنت أكرمهم ... قبرا وأبعثهم من منزل الرامى
فقد جعلت إذا ماحاجتى نزلت ... بباب دارك أدلوها بأقوام

وقال بشر بن المغيرة بن المهلب :

جفانى الأمير والمغيرة قد جفا ... وأمسى يزيد لى قد ازورّ جانبُهْ
وكلهم قد نالَ شبعاً لبطنه ... وشبع الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبُه
فياعم مهلاً واتخذنى لنبوةٍ ... تلمُّ فإن الدّهر حتمٌ نوائبُهْ
أنا السيف إلا أنَّ للسيف نبوةً ... ومثلى لاتنْبو عليك مضاربُه

وقال الحسن :

إذاماافترقنافادرأن لست من ذكرى ... ولاتَكُ فى شكٍّ كأنك لاتدرى
وضُنّ على عمدٍ بعلمك وانسنى ... ولاترْعَ لى الإحسانَ يوماً من الدهرِ
كشفت خبيّاتِ الأموروأدركت ... يدى فلتاتِ الرأىِ فى أول الأمرِ
عليك سلامٌ لايردُّ رعيتُه ... فإنى لا أغضى لخِلٍّ على غَدْرِ

وقال عبد الله بن أبى عيينه يعاتب ذا اليمينين :

أيا ذا اليمينين إن العتاب ليغرى ... صدوراً ويشفى صدورَا
وكنت أرى أن ترك العتا ... ب خيرٌ وأجدرُ ألا يصيرَا
إلى أن ظننتُ بأن قد ظنن ... ت بأنى لنفسى أرضَى الحقيرا

وأضمرت النفسُ فى وهمها من الهمّ همًّا يكدُّ الضميرا

ولابـــدَّ للمـــاءِ فى مرجل على النار موقدةً أن تَفـورا

ومن أُشربَ اليأس كان الغنىَّ ومن أشرب الحرص كان الفقيرا

علام وفيم أرى طـــاعتِى لديك ويضحى لك الدهر بُورا

ألم أكُ بالمصر أدعو البعيـ ـد إليك وأدعو القريب العشيرا

ألم أكُ أوّلَ آتٍ أتـــاك بطاعةِ من كان خلفى يسيرا

وألزم عذرك فى ما قَسطٌ الْ حروب عليها مقيما صَبُورَا

ففيم تقـــدم حقـــا لـــه إليك أمامى ادعاءًا أخـيرا

كأنّك لم تدر أن الفـتى الحمى إذا زار يوماً أميرا

فقدّم مـــن دونـــه قبـــله ألست تراهُ بسخطٍ جديرًا

أليس ترى أن سفّ التـرا ب به كان أكرم من أن يزورا

ولست ضعيف المدى والهوى أكون الصَّبا أو أكون الدبورا

ولكن شهابٌ فإن ترم بى مُهمًّا تجدْ كوكبى مستنيرا

فهل لك فى الإذنِ لى راضيـاً فإنى أرى الإذنَ غنماً كبيرا

وكان لك الله فيما ابتغيـــت له من جهاد وليًّا نصـيرًا

ولاجعل الله فى دولـــــةٍ سبقت إليها ورِبْحٍ فتـورا

فإن ورائى لى مذهبـــــا بعيداً من الأرض قاعا وقورا

به الضبُّ تحسبه بالفــلا ةِ إذا خفق الآلُ فيها بَعِيرًا

ومالاً ومصرا على أهـــله يد الله من حائر أن يحورَا

وإنى لمـــن خـــير سكانـه وأكـــثرهم بنفيرى نفيرا

وقالوا شدة الحجاب سبب العقاب . وكان يقال حاجب الرجل حارس عرضه . وقال بعض الأمويين لقد رأيت قوماً يضربوننا بالسيوف ، وما لنا إليهم ذنب إلا شدة الحجاب . وقال عتبة بن أبى سفيان : يا بنى آمنة ليكن حجا بكم أعقل الناس ، فانه طالما شرعت فى وجوهنا يوم صفين رماح قوم ليس لنا إليهم ذنب إلا ذل الحجاب .

وقال ابن المهلب لأخيه حين وجهه إلى خراسان : استغفل الحاجب واستطرف الكاتب .

وقال الأوزاعى (١) : يهلك السلطان بالإعجاب والاحتجاب . قال الشاعر :

أعلم أن كنت تجهله ... أن وجه المرء حاجبه
فيه تبدو محاسنه ... وبه تبدو معايبُه

قال آخر :

إنا لقينا حجاباً منك أرمَضَنا ... فلا يكن ذُلُّنا فيه لك الغرضا
فى هذهِ الدار فى هذا الحجاب على ... هذا السرير العزّ فانقرضا

ابن الرومى :

وكم حاجب عضبان كاسر حاجب ... رمى الله منه ذلك الكسر بالكسرِ
فلو حجبونى من شريعة جدولٍ ... صبرتُ ولكنىّ حجبتُ عن البحرِ

---

(١) الأوزاعى : هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى الإمام الفقيه الحجة الورع . ولد ببعلبك سنة ٨٨ هـ وتوفى ببيروت سنة ١٥١ هـ

وقال على بن بسام :

إنى أتيتك زائراً ومسلمـــا ولكنى أقوم ببعض حقٍّ الواجبِ
فإذا نبابك حاجبٌ متَجهِّمٌ فعمود بابك فى حرام الحاجب
ومتى رأيتك راضيا بفعالـه فتمام بابك فى حرام الصاحب

آخر :

أَبَا جعفر إن الولاية إن تكن منبلةً قوماً فأنت لها نبْـــــلُ
فلا ترتفع عنا بشئ وليتـــــه كما لم يصغرّ عندنا شأنك العزْلُ

وقال آخر :

أبا جعفر عرّج على خلطائـكا وأقصر قليلاً عن مدى غلوائكا
فإن تك فى ذا اليوم قدنلت رفعـةً فإن رجائى فى غدٍ كَرَجَائِـكا

وكتب ابن أبى عيينة (١) إلى صديق :

أتيتُكَ زائراً لقضـــــاء حقٍّ فحالَ الستر دونك والحجـابُ
ولست بساقط فى قدر قـــوم وإن كرهوا كما يقعُ الذُّبابُ

وقال آخر :

عـــلى باب ابن منصور علاماتٌ مـــن النبــــل
جماعاتٌ وحسب المــــا ل نبلاً كـــثرةُ الأهـلِ

---

(١) ابن أبى عيينـــة ذكره الجاحظ بين شـــعراء المطبوعين من المولدين وسبقت ترجمته

وقال :

أبيض وضّاح يلوح نورُهُ ... لِنَدى يَديهِ رُفِعتْ ستورهُ

وقال عمارة بن عقيل فى خالد بن يزيد :

تـأبى خلائق خالد وفعالُه ... ألا يخيّبَ كلَّ أمر عاتب

وإذا حضرنا الباب عندغدائه ... أمر الغداء لنا برغم الحاجِب

فأمر له بألف دينار .

وقال ابن هرمة : (١)

سَمْحٌ إذا نزل الوفودُ ببابهِ ... سهْل الحجابِ مؤدَّبُ الخُدَّم

وإذا رَأيتَ صديقهُ وشَقيقَهُ ... لم تدْرِ أيهما أخو الأرْحامِ

وقال الحمدونى فى الحسين بن أيوب والى البصرة : (٢)

قل لابن أيوب قد أصبحتمأمولا ... لازال بابك مغشيًّا ومأْهُـــولا

إن كنت فى عطلة فالعذر متصـل ... فصل إذا كنت بالسلطان موصولا

شر الأخــلاَّء مـن وَلىَّ قفاهُ إذا ... كان المولىَّ وأبدى البِشْر معزولا

---

(١) ابن هرمة : إبراهيم بن على بن هرمة الهدلى القرشى ، كان شاعراً مجيدا ، وقيل أنه ساقة الشعراء ولد سنة ٩٠ هـ وعمر طويلا بعد سنة ١٤٠ هـ وترجم له أبوالفرج فى المجلد الرابع من الاغانى

(٢) الحمدونى : محمد بن أحمد الحمدونى من شعراء القرن الرابع الهجرى أورد له للثعالبى أبياتا فى يتيمة الدهر ٢ — ١١٤

من لم يسمن جواداً كان يركبه في الخصب قام به في الجدب مهزولا
افرغ لحاجتنا مادمت منشغلاً لو قد فرغت لقد الفيت مبذولا

آخر :

فلا تعتذرْ بالشغل عنا فإنما تُنَاطُ بك الآمالُ مااتَّصَلَ الشغْلُ

* وتشاغل بعض الولاة عن صديق فاعتذر بشغله فقال له: لولا الشغل ما أتيتك .

* وقال ذو الرياستين لثمامة بن اشرس ما أدرى كيف أصنع فى كثرة طلاب الحوائج ، وغاشية الباب ؟ . قال : أنزل عن موضعك ، على ألا يلقاك أحد . قال : صدقت . وقعد لهم .

* وقال آخر :

إنما تُحمد إذ تفرغُ فى حين اشتغالِكْ
لو تفرَّغتَ من الشغلِ استوينا فى المسَالِك

جاء ابراهيم بن المهدى إلى يحيى بن خالد فحجب عنه ، فكتب إليه :

إنى أتيتك للسلام ولم أنقل إليك لغيره رجلى
فحجبت دونك مرتين وقد تشتدُّ واحدةٌ على مثلى

* وقيل ليحيى بن خالد : غير حاجبك . قال : فمن يعرف إخوانى القدماء ؟ .

وقال محمود الوراق :

وبنى الملوك حصونهم فتحصَّنُوا من كل طالبِ حاجةٍ أو راغبِ
عالوا بأبواب الحديد لعزها وتنوقوا فى فتح وجه الحاجِب

فـاذا تلطف للدخـول عليهم   عـافٍ تلَقَّـوهُ بوعدٍ كاذبِ
واطلب إلى مَلِكِ الملوك ولاتكن   بادى الضراعة طالبا من طالبِ

وجد فى ميل بطريق مكة :

ألا ياطالـب الدنيـا   دع الدنيـا لشانيـكا
إلى كم تطلب الدنيـا   وظِـلُّ الميـل يكفيكا

وقال أبو العنبس الصيمرى فى ابن المدبر :

وَسَلْ الذى عطف الأعنـ   ة بالمـواكب نحو بابكْ
وأراك تتبـل مالـكا   ما لم يكن لك فى حسابِكْ
وأذل من فعـل الفريـ   ر على وقوفى فى رحـابك
ألا تطيـل تجـرُّعى   غُصَصَ المنية من حجابِكَ

وقال آخر :

صحبتُك إذ أنت لاتصحبُ   وإذ أنت لا غيرك الموكبُ
وإذ أنت تفرحُ بالزائرين   ومشيك أضعاف ماتركبُ
وإذ أنت تكثر ذمَّ الزما   نِ ونفسك نفسك تستحجبُ

وقال :

ليس عتاب الناس للمرءِ نافعاً   إذا لم يكن للمرء لبٌّ يعاتبه

آخر :

فـدع العتابَ فرب شر   هـاج أوله العتـاب

ويروى عن أوس بن حارثة أنه كان فيما قال لابنه : يا مالك العتاب قبل العقاب والمنية ولا الدنية .

وقال بعض الوزراء لعامل قبيح الأثر عزله ثم أعاده إلى عمله إنا امتحناك فما طاب خبرك ، ولاحسن أثرك ، ولا ساعدك رجاء ، ولاتبعك ثناء . ما نقصناك ثغرك ثم لايتبع فيه نظر لا استقصاء معه ، ثم أطافت الرعاية بك ، وعطفت التقيا عليك ، فاستأنفنا اصطناعك ، ورددنا إليك عملك ، فقابل الإنعام بأحسن شكرك ، والنعمة بأوفر نصحك إن شاء الله .

وقال أبو الطيب المتنبي يعاتب على بن حمدان : (١)

يا أعدل الناس إلاَّ فى معاملتى	فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخَصْمُ والحكمُ
أعيذُها نظراتٍ منكَ صادقةً	أن تَحسبَ الشَّحم فيمن شحمُه ورَمُ
وما انتفاعُ أخِى الدُّنيا بناظرِه	إذا استَوَتْ عندهُ الأَنْوارُ والظُلَمُ
أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى	وأسمَعتْ كلماتى من بهِ صَمَمُ
يا من يعز علينا أن نفارقه	وجدانُنا كلّ شىء بعدكم عدمُ(٢)
ما كان أخلقنا منكمْ بتكرمة	لو أنَّ أمركمْ من أمْرنا أمَمُ
إن كان سرّكم ما قال حاسدُنا	فما لجرْحٍ إذا أرضاكُمُ ألمُ
وبيننا لو رعيْتم ذاك معرفةٌ	إنَّ المعارفَ فى أهل النُّهى ذِمَمُ
كم تطلبُون لنا عيباً فيعجزكم	ويكرهُ اللهُ ما تأتُونَ والكَرمُ
ما أبعد العيبَ والنُّقصان من شرفى	أنَا الثُّريَّا وذانِ الشَّيبُ والهرمُ
ليت الغمامَ الذى عندى صواعقُه	يُزيلُهنّ إلى من عنده الدِّيمُ
إذا ترحَّلتُ عن قوم وقد قدرُوا	ألا نفارقهم فالراحِلُونَ هُمُ (٣)

(١) ديوان المتنبى ٤ - ٨٣ للبرقوقى - من قصيدته المشهورة :
« واحر قلباه ممن قلبه شبم »
(٢) بين هذا البيت وسابقه جملة أبيات فى القصيدة لم يذكرها المؤلف
(٣) بين هذا البيت وسابقه ثلاثة أبيات فى القصيدة لم يذكرها المؤلف

شرُّ البلادِ بلادٌ (١) لا صديقَ بِها   وشَرُّ ما يكسب الإنسان مايصِمُ

وشر ما قَنصتْهُ راحَتِي قنَـــصٌ   شهبُ البزَاةِ سواءٌ فيه والرَّخَمُ

بأىٍّ لفظٍ تقُولُ الشعر زعنفـةٌ   تجوزُ عِندكَ لاعربٌ ولاعجمُ

هــــذا عتابُك إلا أَنه مِقَـةٌ   قد ضُمِّنَ الـدُّرَّ إلاَّ أَنه كلِمُ

وقال آخر فى ترك العتاب :

فأُقسم مــــا تركى عتابَك عنْ   قِلًى ولـكنْ لعِلْمى أَنَّه غيرُ نافِعِى

وإنى إذا لم أَلزم الصبر طائعاً   فلابد منه مكرهاً غير طائــع

ولو أن ما يرضيك عندى مُمثَّلٌ   لكنت لما يرضيك أَولَ بائعِ

إذا أنت لم ينفعك إلا شفاعـة   ولاخير فى ود يكون بشافــعِ

• وقال الفضل بن عتبة بن أبى لهب لبنى العباس :

مهلاً بنى عمنا عن نَحت أَثلتنا   مهلاً بنى عمنا مهلاً موالينا

الله يعْــــلم أنـــا لانحبكم   ولانحبـــكم إذ لاتُحبُّونا

كلٌّ له نيةٌ فى بغض صاحبه   بنعمةِ الله نعنيكم وتَعنُونــا

لاتحسبوا ان تهينونا ونكرمكم   وأن نكفَّ الأَذىعنكُمْ وتؤذونا

وقال آخر فى الشناعة :

أَطلْ حملَ الشناعةِ لى وَبُغْضِــى   وعشْ ما عِشْتَ فانظر من تَصَيرُ

مَا بيديك خـــيرٌ أَرْتجيـــهِ   وغير صدودك الخطب الكبير

(١) رواية الديوان « مكان » و « به »

ألم تر أن شعرى سارَ عَنِّى ... وشعْرُك حول بيتك مايسَيرُ

إذا أبصرتنى أعرضْتَ عنىٍّ ... كأنَّ الشَّمسَ من قِبلى تَدورُ

وقال :

وفينا وإن قيل اصطلحنا تضاغنٌ ... كما طر أوتار الحراب على الشَّرِّ

إذا ما رآنى ظلَّ كاسرَ عينه ... ولاحَقَ بالبغضاءِ والنظر الشزْرِ

آخر :

لقد زادنى حبًّا لنفسى أنَّنى ... بغيضٌ إلى كُلِّ امرىءٍ غير طائلِ

وأنى شقىٌّ باللئام ولن ترى ... شقيًّا بهم إلا كريم الشمائلِ

وقال جميل :

إذا ما رأونى طالعاً من ثنيَّةٍ ... يقولون من هذا وقد عرفونى

آخر :

ولقد بَدا لى أن قلبكَ ذاهلٌ ... عَنىٌّ وقلبى لو بدا لك أذْهَلُ

كلٌّ تحامَلَ وهو يخفى بغضه ... إن الكريم على القِلى يتحمَّلُ

وقال بعض المولدين :

ساتركُ مابينى وبينك واقعاً ... فإن عدت عُدْنَا والإخاءُ سليمْ

ولو قد خبرت الناس حق اختبارهم ... رجعت إلى وصلى وأنت ذميمُ

باب
فى التعيير والتوبيخ

قال الحارث بن خالد المخزومى يعير عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد فراره عن الخوارج وانهزامه دونهم :

فر عبدالعزيز لمّا رأى الأ ... بطال بالسفح نازلوا قَطَريّا

عاهدوا الله إنْ نَجَامِ المنايا ... ليعُودَنَّ بعدها حَرَميّاً

يسكن الحلّ بالسفاح فمرٌّ ... انَ فسَلْعاً وتارة بَحَريّا

حيث لايشهد القتال ولايسـ ... ـمع يوماً لكرٍّ خيلٍ دَوِيّاً

وكان من حديثه أن خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، ولى أخاه عبدالعزيز قتال الخوارج ، وعزل المهلب حسداً له . وكان يقول : ذهب المهلب بحظ هذا المصر . يعنى البصرة . ومضى عبدالعزيز فى ثلاثين ألفا . وكان يقول فى طريقه إلى الخوارج : زعم أهل البصرة أن هذا الأمر لايتم إلا بالمهلب فيستغلون قلقهم ، فكان أول من لقيه سعد الطائع فى خمسمائة فارس كأنهم خيط ممدود ، فناهزهم عبدالعزيز فواقفوه ، ثم انهزموا له مكيدة فأتبعهم . وأخذوا أسارى منهم فشدوا وثاقهم ، وأدخلوهم غاراً ، وسدوا بابه حتى ماتوا فيه ، وأخذوا امرأة عبدالعزيز ، وهى أم حفص بنت المنذر بن الجارود فبلغ بها رجل من الخوارج سبعين ألفاً ، فقال قطرى : ما ينبغى لمسلم أن يكون عنده سبعون ألفا ، وإن هذه فتنة ، فوثب أبو الحديد فقتلها ، وقال : رأيت المؤمنين يتزايدون فيها فخشيت الفتنة عليهم . فقال قطرى له : أصبت

* وقال حسان بعد قتلى بدر للحارث بن هشام بن المغيرة : (١)

إن كنت كاذبة الذى حدثتنى فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام

فقال الحارث معتذراً من ذلك :

الله يعلم ماتركت قتالهم حتى علوا رأسى بأشقر مزبد
وعلمت أنى إن أقاتل واحداً أقتل ولايضرر عدوى مشهدى
ففررت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

ثم أسلم الحارث يوم فتح مكة وحسن إسلامه ، وكان من المؤلفة قلوبهم وخرج فى زمن عمر إلى الشام من مكة بأهله وماله ، فاتبعه أهل مكة يبكون فبكى ،وقال : أما أنا لو كنا نستبدل داراً بدارنا ، وجاراً بجارنا ما أردنا بكم بدلا ، ولكنها النقلة إلى الله عز وجل . فلم يزل مجاهداً حتى مات .

وكان أبنه عبدالرحمن بن الحارث يكنى أبا محمد ، وكان اسمه إبراهيم ، وإنما غير اسمه عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أراد تغيير أسماء الذين هم على أسماء الأنبياء . وقالت عائشة رضى الله عنها : لأن كنت قعدت فى بيتى عن مسيرى إلى البصرة أحب إلى من أن يكون لى من رسول الله عشرة من الولد كلهم مثل عبدالرحمن بن الحارث .

* وقال جرير للأخطل : (٢)

واقبض يديك فإننى فى مشرف صعب الذرى متمنع الأركان

فقال الأخطل : قبض يدى ماله ، رماه الله بداء القراد .

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ص ٢١٥ ط . بيروت

(٢) ديوان جرير ص ٤١٢ وروايته فاقبض يديك وهو من قصيدته :
« لمن الديار ببرقة الروحان » .

وقال العوام أخو بني الحارث بن همام بن مرة : (٢)

وفر أبُو الصهباءِ إذ حمُس الوغَى ... وألقى بابـــدان السِّلاح وسلمّا

فأيقن أن الخيل ان يلتمس به ... تَيْتِيمَ عرسه أو يملأ البيت مأتما

ولــو أنها عصفورة لحسبتُها ... مسوَّمّةً تدعــو عبيداً وأزنمــا

فررتم ولم تلووا على مرهفاتكم ... لو الحارثُ المقدامُ يُدعى لأقدما

فألفَيْنَ بسْطامًا حريصاً بنفسه ... وغادرن فى كرشا لدُنًّا مقوّمَـا

فإن يك فى يوم الهبــاءِ ملامةٌ ... ويوم الغبيط كان أخْزَى وألوما

وفاض أسيرا هانئ وكأنمــا ... مفارق مفروقٍ تعشّين عندمــا

أبو الصهباء بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبدالله بن الحارث بن همام بن مرة أغار وهو والحوفزان بن شريك، والأسود بن شريك على بني شيبان يوم الغبيط متساندين على ثلاثة ألوية على بني يربوع ، فساوروا حتى نزلوا بطن الأناد ، وبلغ بني يربوع الخبر ، فنذروا به ، فقال سويد : لامطمع فيهم إذ نذروا ، فانصرف معه بثلاثمائة فارس من بني شيبان . وقال الحوفزان : تلبثوا إذ خذلتم ، ثم أغاروا ، فلقيتهم بنو يربوع بمجمع شعبتى الفردوس ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزمت بنو شيبان ، وأخذ سويد بن الحوفزان وزيد بن سويد بن شريك وحماهم بسطام حين أنهزموا ، فكان فى أخريات القوم ، وألح عليه فارسان من بني يربوع وكان دارعاً ، وكان على ذات النسور ، وكانت إذا أخذت فى السهل لم يتعلق شيءٌ من خيلهم بها ، فاذا وعثت كادوا يلحقونها ، فأخذ درعه فوضعها بين يديه على قربوس

---

(٢) هو العوام بن شوذم . أورد ابن قتيبة بيتا من هذه الأبيات فى المعــانى ص ٩٢١ وهو قوله :

ولــو أنهــا عصفــورة ... : : : البيــت

يصــف بسطام بن قيس بالجبن لأنه فر يــوم العظالى . وراجع النقائض ص ٥٨٥

سرجه ، ولم يزل ذلك ديدنه وديدن القوم حتى حميت عليهم الشمس ، وخاف أن يلحق ، ومرّ بوجار ضبع ، فرمى بالدرع فيه ، فلما خفف عنها أمعطت ففاتت الطلب ، وكان آخر من أتى قومه ، وقد ظنوا أنه قد قتل .

وقال أبو عبيدة : ويوم الإياد هذا يوم الغبيط لبنى يربوع على بنى شيبان أسر فيه وديعة بن أوس اليربوعى هانئ بن قبيصة ، فقال فى ذلك جرير : (١)

رجعنَ بهانئٍ واصبْنَ بِشراً ... وبسطاماً يعضُّ به الحديدُ

وأَحمينا الإيـادَ وقُلَّتيـه ... وقد عرَفتْ سنابكهنَّ أَوْدُ

وقتل قعنب بن عصمة مسروقا ، وأسر عميرة بن الحزور فقتل ، وقتل حصين بن عبدالله التغلبى وقتل كرش بن المزدلف .

وقال أبو دلامة لروح بن حاتم قُبيصة :

إنى أَعوذُ بروح أن يقـدّمنى ... إلى الحمام فيخزونى بنو أسدِ

أَسالمتْك المنايـا أم نشأَت بها ... فأَنتم لنفوس الناس بالرَّصَدِ

إن المهلَّب حبَّ الموت عوَّدكم ... ولم أُعوّد أَحب الموت من أَحدِ

وقال غيره :

يقول لِىَ المهلَّبُ كلّ يوم ... تقدم حـين جَدَّبِنَا المراسُ

فما لِى إن أَطعتك غير نفسٍ ... ومالى غير هذا الرأس راسُ

وقال آخر :

لما رأيت القنا الخطِّىَّ مشرعةً ... والمشرفية فى الأَيـدى مصاليتا

---

(١) ديـوان جرير ص ١٢٧

طأطأت رأسى فجازونى ولووقفوا طأطأته أبداً أو يبلغ الحوتـا

قالو تعيرٌ بعد اليوم قلتُ ذرا عارى علىّ وقوماً انما موتـــا

ورب جبان، إن أُلحى كان شجاعاً . وكان فى بنى ليث رجل جبان بخيل فخرج رهطه غازين وبلغ ذلك ناسا من بنى سليم ، وكانوا أعداءهم ، فلم يشعر الرجل إلا بخيل قد أحاطت بهم ، ولم يجد مفرا ، فجلس ثم أبرز كنانته وأخذ قوسه ، وقال :

ما علّتى وأنا حَدِيدٌ نابـلُ إن لم أقاتلكم فأمّى هابِلُ

أكلَّ يوم أنا عنكم نائـل لا أطعم القوم ولا أقاتِـلُ

الموت حقٌّ والحياةُ باطِلُ

ثم جعل يرميهم حتى ردهم ومنع الحى ، فصار بعد ذلك سمحاً معروفاً . وهذا كما قيل : مكره أخاك لابطل . هكذا جاء أخاك مقصور مبنى .

وقال آخر فى الصبر على الحرب :

أبوا أن يفرّوا والقنا فى نحورهم ولم يرتقوا من خشية الموتسُلَّمَا

ولو أنّهم فرّوا لكانوا أعـزَّةً ولكن رأوا صبراً على الموتِ أكرما

وقال آخر يرثى عبدالله بن ناشرة ، وكان غلب على سجستان أيام ابن الزبير وتغير الذين أسلموه ، وقتله عبدالعزيز بن عبدالله بن عامر .

ألا لافتى بعدَ ابن ناشرة الفـتى ولا خـير إلا قد تولىّ وأدبـرا

لحى الله قومًا أسلموك وقدّروا عنا جيجَ أعطتها يمينك ضمّرا

أما كان فيهم فارسٌ ذو حفيظةٍ يرى الموت فى بعض المواطن أعذرا

يكرُّ كما كر الـكليبى صهره وماكرَّ إلا ضيقَةً أن يُعيرًا

الـكلابى عثمان بن عبد الله . أحد بنى عبيد . قتل معه . وقال آخر :

يا ضمر أخبرنى ولست بمخبرى وأخوك نافعك الذى لايكذبُ
هل فى القضية ان إذا استغنيتم وأمسكم فأنا البعيد الأَجنبُ
وإذا الشدائد بالشدائد مرةً أشجتكم فأنا المحبُّ الأقربُ
عجباً لتلك قضية . وإقامتى يومًا على تلك القضية أعجبُ
ألمالِكُمْ طيب البلادِ ورحبُها ولِىَ الثِمادُ ورعيهنَّ المجدبُ
وإذا تكون كريهةٌ أُدعى لها وإذا يحاسُ الحيسُ تدعى جندبُ
هذا وجَدِّكُمُ المغار بعينه لا أمَّ كان ذاك ولا أبُ

* كان سبب يوم ذى قار أن النعمان بن المنذر حين هرب من كسرى أودع سلاحه هانئ بن قبيصة ، فأرسل إليه كسرى يطلبه منه ، فأبى أن يدفعه إليه ، فوجه إليه قائدين من العجم ، ففرت منهم بكر ، وكان الذى حمل قتالهم عجل وشيبان وقوم من بنى تيم اللات بن ثعلبة . ورئيس القوم أبو معدان حنظلة بن يسار العجلى ، وكانت بكر قد رحلت النساء فى الهوادج وقالت إن ظفرنا رددناهن ، وإن لم نظفر كن قد نجين وأمر حنظلة أن تقطع الوضين ، فقطعت فسمى مقطع الوضين ، ثم قال : قاتلوا عن نسائكم ، فانه أحمى لكم ، فقتلت العجم وظفرت بهم بكر ، وتبعتهم بقية يومهم وليلتهم وقتل القائدان ، واقتسمت بكر الغنائم ، وقسموا اللطائم بين نسائهم . وهذا يوم ذى قار ، وهو أكبر أيام العرب . وكان يقال له يوم العرب الأكبر . وقال النبى عليه السلام لما بلغه ذلك : هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، فلما هزمت العجم ، وبلغ ذلك كسرى ، واتصل به أن قيس بن مسعود عامله على الأبلة لما حضر القتال سار من الأبلة سراً حتى أتى بكر بن وائل ليلا فأشار عليهم برأيه ، وأمرهم بأمره ، ثم رجع فبعث كسرى إلى قيس أن ائتنى فتجهز ليأتيه ، فنهره رجال من بكر أن يأتيه ، وقالوا إنما بعث إليك لما بلغه عنك . فقال : كلا إنه لم يبلغه ، فأتاه ، فحبسه فى قصر له بالأنبار كان

يجلس فيه الناس ، وفيه حبس النعمان حتى هلك ، فقال الأعشى من بنى قيس بن ثعلبه يلوم قيس بن مسعود ويضعف رأيه فيما فعل : (١)

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد	وأنت امرؤ ترجو أسى بكَ وائل
أطورين فى عام عــزاةٌ ورحلةٌ	ألا ليت قيسًا غَرَّقَتْهُ القوابل
وليتك حال البحرُ دونك كله	وكنت لقىً تجرى عليك السوائل
كأنكَ لم تشهد قرابين جمــةً	تعيث ضياعٌ فيهم وعواســلُ
تركتهم صرعى على كل منهلٍ	وأقبلت تبغى الصلح . أمك هابل
لقد كان فى شيبان لو كنت عالماً	قبابٌ وصاهــلة بها وقنابــلُ
رحلت ولم تنظر وأنت عميدهم	فلا يَبلغنىّ عنك ما أنت فاعِلُ
وعريت من مالٍ وحىّ جمعته	كما عُريتْ مما تمرُّ المغــازلُ
شفا النفس قتلى لم توسَّدْ خدودها	وساداً ولم تعضض عليها الأناملُ

وفى بعض كتب الهند : جانب الموتور ، وكن أحذر ما تكون منه ، أوثق ما تكون منك ، فان سلامة الأعداء بوحشة بعضهم من بعض ، ومع الأنس والثقة حضور آجالهم ، وللحقود من القلوب أمانى لا يؤمن عليها الألسنة وقالوا : إذا أوحشت الحر فلا ترتبطه .

ومثله حديث الحارث بن ظالم إذ قتل النعمان أو ابن الأسود أخاه فردته بنو مرة ، وأعطى الأمان للحارث بن ظالم ، وكان قتل الخمس التغلبى ، فقال النعمان يوما وعنده ابن ظالم : من كان له عند هذا ثار ، وأشار إلى الحارث ، فليدرك ثاره . فقام ابن الخمس إلى الحارث ، فقال له الحارث : اتقتلنى يابن شر الأظماء فقال له : نعم يابن شر الأسماء فقتله .

---

(١) ديوان الأعشى رقم ٢٦ .

وعرض معاوية فرساً ، فقال لعبدالرحمن بن حسان : كيف تراه ؟ .
فقال : أراهُ أجشَّ هزيماً . يعيره بقول النجاشي :

ونجىَّ ابن حربٍ سابحٌ ذوعُلالَةٍ أجشُّ هَزِيمٌ ، والرمـاحُ دوانِ
إذا قلتُ أطراف الرماحِ تنالهُ مَرتْهُ به الساقانِ والقـدمـانِ

فلما بلغ معاوية هذا الشعر رفع تندوئة ، وقال : لقد علم الناس أن الحبل الأعلى لايبلى .

قال أبو رياش البصرى : تزوج البهلول بن كعب العنبرى امرأة من بنى بهدلة ، فرأته يوماً يطحن ، فضربت صدرها ، فقالت : أهذا زوجى ؟ فبلغه ذلك ، فقال :

تقول ودَقَّت صدرَهـا بيمينها أَبَعْلِىٌّ هذا بالرَّحىَ المتقـاعِسُ
فقلتُ لهـا لا تعجلى وتَبيَّـنى فعالى إذا التفَّت علىَّ الفوارِسُ
ألستُ أَرُدُّ القِرنَ يركبُ روعه وفيه سنانٌ ذو عَرانينَ يـابِسُ
واحتملُ الرِّدْفَ الثقيل وأمترى خَلوفَ المنايا حين فـر المغامسُ

واعتذر للحين أيمن بن خريم الأسدى فقال :

إنَّ للفتنــةِ بَسْطًا بيِّنـاً ويـد المـائـل منها تعتدل
فإذا كـان عطـاءٌ فـأْتِهِمْ وإذا كـان قتـالٌ فاعتـزلْ
إنمـا يُسعـرُهـا جُهَّـالُها حَطبُ النّـارِ فـدعْها تشتعِلْ

وقال البحترى للفتح بن خاقان ، ولامه الفتح فى تخلفه عن الحضور معه فقال : (١)

---

(١) ديوان البحترى ص ١٧١ مع اختلاف فى ترتيب البيتين ، ورواية البيت الثانى :

وقعدت عنك ولو بمهجة آخـر غيرى أقوم إليهـم لم أقعـد

ما كانَ قلبك فى سوادِ جوانحى   فأَكون ثمَّ ، ولا لسانى فى يدى

وقعدت عنك ولو بمهجة فارسٍ   غيرى رحلتُ إليهم لم أَقعـد

وقال حسان بن ثابت لابن الزبعرى لما هرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران :

لا تعد مَنْ رَجُلاً أَحلَّك بغضه   بحرار فى عيش أجزَّ لئيم

فلما بلغه البيت لم يلبث أن أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده :

يا رسول المليك إنَّ لسـانى   راتقٌ ما فتقتُ إذ أنـا بـورُ

إذ أُجارى الشيطانَ فى سَنَنِ الغىِّ   ، ومـن مـالَ ميلةً مبثُورُ

أمنَ اللحم والعظـام بمـا قلت   فنفسى الفـدأُ وأنت النذير

فعفى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصفح عما كان منه .

وقال آخر :

ضربناكُمُ حتى إذا قام مثلكُمْ   ضربْنَا العِدَا عنكم ببيضٍ صوارم

فحلُّوا بأَكنافى واكناف معشرى   الى حربِكُمْ فى المـأْزق المتَلاحِمِ

وقد كانَ أَوصانى أَبى أن أُضيفكم   إلىَّ وأَنهى عنكم كـلَّ ظالِمِ

وقال أبو حنش الفزارى يذكر فرارة عن حذيفة بن بدر يوم الهباءة : (١)

ذكرتُ لموقفى حمـل بن بدرٍ   وصاحَبه الإله لـدى الخطوبِ

فقلتُ لهنَّ لاغَدْرٌ لدينـــا   يكونُ من المحِبّ إلى الحبيبِ

فلو صدق الهوى أو كنت حرًّا   لمت مع النّدا يوم القليبِ

وقـد جاهدتُ حتى لاجهـادٌ   وماتت حيلةُ الرجلِ الأَريبِ

---

(١) قتل حذيفة بن بدر الفزارى فى يوم الهباءة أحد أيام داحس

رُدينى حاضرٌ لاستر عنه لمبصره وعذرى بالمغيبِ

فلا عذرٌ يردُّ علىَّ نفعاً وكر العذر من فعل المريبِ

وكم من موقفٍ حسنٍ أُحيلَتْ محاسنه فعدَّ من الذُّنوبِ

وكان حكم بن الطفيل أخو عامر بن الطفيل وأصحابه خنقوا أنفسهم فى بعض الأيام ، فعيروا بذلك تعييراً شديداً . فقال خراشة بن عمرو لعامر بن الطفيل :

أَقَدتهم الموت ثم خَذلتهم فلا وألتْ نفسٌ عليها تحاذرُ

فهل تبلغنىّ عامراً إن لقيته أَسُلِّيتَ عن أسماءَ أم أنت ذَاكِرُ

وإنكم إذ تخنقُون نفوسكم لكم تحت أظلال الغضا لحرائرِ

وقال عروة بن الورد فى ذلك : (١)

ونحن صبحنا عامراً فى بلادهم عُلالَةَ أرماح وجزباً مُذَكَّرَا

بكلِّ رقيق الشفرتين مهنَّدِ ولدْنٍ من الخَطِّىِّ أزرقَ أسمَرا

عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ومقتلُهم عند الوَغى كان أعْذرا

يشدُّ الحليمُ منهمُ عقدَ حبله ألاَ إنما يأْتِىَ الذى كانَ أحذَرا

أراد أن يؤكد الفعل بالنون الخفيفة ، ثم حذفها لالتقاء الساكنين .

وقال وعلة الجرمى يرد على رجل عيره بسوء المأكل : (٢)

لهانَ العامَ ما عَيَّرتُمونا شواءُ الناهضاتِ مع الخَبيصِ

فما لحمُ الغرابِ لنا بزادٍ ولا سرطانُ أنْهارِ البريصِ

---

(١) ديوان عروة بن الورد ص ٤٠ طبع صادر ببيروت وروايته : (صبحنا عامراً إذا تمرست) .

(٢) معانى الشعر لابن قتيبة ١ — ٢٦٧

وقال المتنبي يعتذر عن فعل الجبان والشجاع : (١)

أرى كلنَّا يبغى الحياةَ لنفسه حريصاً عليها مستهاماً بها صبَّا

فحبُّ الجَبانِ النفسَ أوردَهُ التُّقَى وحبُّ الشُّجاعِ النَّفسْ أوردَهُ الحرْبَا

ويختلُف الرزقانِ والفعلُ واحدٌ إلى أنْ يُرى إحسانُ هذا له ذنبا(٢)

وقال غيره :

تأخَّرت أستبقِى الحياةَ فلم أَجِدْ لنفسى حياةً مثل أن أتقدَمـا

وقال شريح بن الأحوص (٣)للقيط بن زراره (٤) يعيره بترك أخيه معبداً أسيراً فى أيدى بنى عامر :

لقيطُ وأنت امرؤٌ ماجِـدٌ ولكنَّ حلمك لا يهتدى

ألمَّا أمنتَ وساغَ الشرابُ واصل بينك فى شَهمَـدِ

رفعتَ برجليك فوق الفرا شِ تهدى القصائد فى معبَدِ

واسلمته عند جدِّ القِتَـا لِ وتبخَلُ بالمالِ أن تفْتَدِى

وقال عوف بن الجزع التيمى : (٥)

هلاَّ كررْتَ على ابن أُمِّكَ مَعْبدٍ والعامرىُّ يقُودُه بِصفَادِ

وذكرتَ من لبَن المحلِّقِ شرْبَةً والخيلُ تَعدُو بالكُماةِ بدادِ

ولم تكن أمها واحدة ، ولكن لها أمهات تجمعها فوق ذلك ، والمحلق إبل موسومة على وجهها كالحلق .

وقال الفرزدق لسليمان بن عبدالملك ، ويعير بنى عبس بنبو سيف ورقاء بن زهير عن رأس خالد بن جعفر ، وكان سليمان لما حج مر بالمدينة منصرفاً

---

(١) ديوان المتنبي — للبرقوقى ١ — ١٩٠

(٢) رواية الديوان (.. إحسان هذا لذا ذنبا)

(٣) شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، العامرى .

(٤) لقيط بن زرارة بن عدس سيد بن تميم قادهم يوم جبلة ضد بنى عامر وقتل فيه .

(٥) معانى الشعر ١ — ١٠٤ ورواية البيت الثانى :

(والخيل تعدو بالصعيد بداد)

فأتى بأسرى من الروم وعنده عبدالله بن حسن بن حسن فقال له سليمان : قم فاضرب عنق البطريق ، فضربه فأبان عنقه وذراعه وعمل فى الجامعة ، فقال له : أجلس ، فو الله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك ، ورفع الأسرى إلى الوجوه ليقتلوهم ، ورفع إلى الفرزدق أسيراً فدس إليه العبسيون سيفاً كليلا فضرب به فنبا ، فضحك سليمان والناس معه فقال الفرزدق : (١)

إن يكُ سيفٌ خَانَ أو قدرٌ أَبَى ... لتأخير نفسٍ حَيْنَها غير شاهِدِ
فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضربوا به ... نبا بيدَىْ ورقاءَ عن رأس خالِـدِ
كذاك سيوف الهند تنبُو ظباتُها ... ويقطعن أحيانا مناط القلائِدِ
ولو شئْت قطَّ السيفُ مابين أنفه ... إلى علق دون الشراسيف جامِدِ

وقال أيضاً : (٢)

تعجبَ الناسُ أن أضحكتُ خيرهُم ... خليفة الله يستسقى به المطرُ
فما نَبا السيفُ من جبن ولا دَهَشٍ ... عن الأسير ولكن أُخرِّ القدَرُ (٣)
ولن يُقدِّمَ نفساً قبلَ مِيتَتِهَـــا ... جمعُ اليدينِ ولا الصمصامةُ الذكرُ (٤)

وقال أيضا : (٥)

فَلاَ نقْتُلَ الأَسْرَى ولكنْ نفكُّهُمْ ... إذا أثْقَل الأعناقَ حملُ المغارِمِ

---

(١) ديوان الفرزدق ص ١٨٦

(٢) ديوان الفرزدق ١ — ٣٦١

(٣) روايته (فما نبا السيف ... عن الأسير)

(٤) روايته : ما يعجل السيف نفسا قبل ميتتها)

(٥) ديوان الفرزدق ص ٨٥٨

ثم قال : الويل لى من ابن المراغة لو بلغته هذه . فلما بلغت جريراً قال : (١)

بسيف أبى رَغْوانَ سيفِ مُجَاشع ضَربْتَ ولم تَضْرِبْ بسيفِ ابنِ ظالم
ضربتَ به عند الإمامِ فأُرعِشَتْ يَداك وقالُوا محدَثٌ غيرُ صارِمَ

وكان الحسين بن يزيد بن شداد الحارثى غزا يوم فيف الريح بمن تبعه من قبائل مذحج بنى عامر بن صعصعة ، وهم منتجعون بفيف الريح ، ومع مذحج النساء والذرارى ، وعلى عامر كلها عامر بن الطفيل ، وكان عامر قال لقومه : أغيروا بنا عليهم ، فإنا نرجو أن نأخذ غنائمهم ، ولا تتركوهم يدخلون عليكم دياركم ، فبايعوه على ذلك ، فلما دنت بنو عامر من القوم صاح رقباؤهم : أتاكم الجيش ، فالتقى الفريقان وتحاربوا ثلاثة أيام ، وكان عامر يتعاهد الناس ويقول : والله يافلان ما رأيتك فعلت شيئاً ، فيقول الرجل الذى قد أيده : أنظر إلى سيفى وما فيه ، وإلى رمحى وسنانى . وان مشهراً أقبل فقال : يا أبا على — يعنى عامراً — أنظر ما صنعت بالقوم ، وانظر إلى رمحى حتى إذا أقبل عليه عامر وأمكنه وجأه بالرمح فى وجنته ، وانشقت عين عامر ففقأها ، وخلى مسهر الرمح فى عينه ، فضرب فرسه ، ولحق بقومه . وإنما دعاه إلى ما صنع بعامر ما رآه يفعل بقومه من الأفاعيل ، فقال : هذا مُبيرُ قومى .

وكان مسهر من أصحاب الحسين ، وإنما هرب إلى بنى عامر ليخدع عامراً ، وكان ممن أبلى يومئذ من بنى جعفر عامر بن الطفيل ، وزيد بن قيس بن خريم بن خالد بن جعفر . وعن عمرو بن شريح بن الأحوص قال : وأسرع القتل فى الفريقين فافترقوا ، ولم يستغل بعضهم من بعض غنيمة ، وكان الصبر والشرف فيها لبنى عامر . وهو أول يوم ذكر فيه عامر بن الطفيل . وفى هذه الوقعة يقول الفرزدق بن غالب :

---

(١) ديوان جرير ص ٤٦٢ من قصيدته فى هجاء الفرزدق :
(ألا حيى ربع المنزل المتقادم)

فمن يُخبرْ هوَازِن ثم يأخـذ نميراً من هوازِنَ أو كلابا (١)
فقدرُ أبيك أمسك بالنـواصى وخير فوارس علموا نصابـا
هم ضربوا الصّنَائِعَ واستباحُوا بمذحِجَ يوم ذى طلح ضرابـا

ويوم ذى طلح هو يوم فيف الريح :.

وقال جرير يعير مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى تزويجه ابنته خولة ليحيي ابن أبى حفصة ، وكان مولى يهودياً فأسلم على يد عثمان : (٢)

رأيتُ مقاتل الطلبات حـلاً فروجَ بناته كمرَ المـوالى
لِقـد أنكحتم عبـداً لعبـدٍ من السّعد المشوّهةِ السِّبـالِ
فلا تفخر بعيشٍ إن قيسـاً حريم فوقَ أعظُمِه البَـوَالى

وقال الفلاح بن حزن :

نُبّيتُ خولةَ قالت حين أنكحها لطالما كنتُ منك العارَ أنتظـرُ
انكحت عبدين ترجو فضل مالهما فى فيك مما رجوت التربُ والحجرُ
لله درُّ جيادٍ أنت سائسهـا أرْديتها وبها التحجيلُ والغررُ

قيس هو ابن عاصم بن سيار بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث بن كعب بن سعد .

وخرج شيخ من باهلة على فرس أعجف إلى المبارزة بحضرة أبى موسى الأشعرى ، فقال أبو موسى هذا بال على بال . فقال الشيخ :

رآنى الأشعرىُّ فقال بالٍ على بالٍ ولم يعلم بـلائى
ومثلك قد تركتُ الرمحَ فيه فآب بدائه وشفيت دائى

---

(١) ديوان الفرزدق : ص ٦١

(٢) فى ديوان جرير لا توجد هذه الأبيات .

ناز ع ابن هبيرة رجلا من بنى عمرو بن عامر بن لؤى فعيره بقلة المال ، فقال العامرى : إن أهل الشام ليعلمون أنى أكثرهم كرمة وعنبا وزبيبة ، فقال ابن هبيرة : وممن عصر لغيره لشرب الخمر .

وقال عباس بن مرداس السلمى (١) يعير عتيبة أخذه أنس بن عباس (٢)، وبينهم ما بينهم من الميثاق :

كثر الضجاج وماسمعتُ بغادرٍ كعتيبة بن الحارث بن شهاب

جللت حنظلة المخانة والخنا ودلستٌ آخر هذه الأَحقاب

وأحرتم أنساً فما حاولتُمُ بأْساً وجاركم بينَ النِّقابِ

باست التى ولدتك واست معاشرٍ تركوك تمرسُهم من الأَحساب

المخانة الخيانة ، والخنا الكلام القبيح ، والميقات الذى يلد الحمق ، والوقت الأحمق ، والعهد الذى ذكره عباس كان بين ثعلبة بن يربوع وبنى رعل ألا يؤكل مال ولايسفك دم . فأغار عتيبة بن الحارث على طوائف من بنى كلاب يوم الجوين فاطردوا إبلهم ، وكان أنس بن العباس الأصم أخو بنى رعل من بنى سليم مجاوراً فى بنى كلاب ، فلما عرفوهم بنو كلاب قالوا لأنس : قد عرفنا ما بين بنى رعل وبنى ثعلبة فادركهم فاحبسهم علينا حتى نلحق ، فخرج أنس فى آثارهم فأدركهم ، فلما دنا منهم قال عتيبة لأخيه حنظلة بن الحارث أكفنيه . فقال أنس : إنما أنا أخوكم وعقيدكم ، وقد مضت إبلى

(١) العباس بن مرداس السلمى . شاعر فارس من بنى سليم : عاش بالجاهلية وأسلم وحسن إسلامه . وزعم بعض الرواة أن أمه الخنساء : وهو خطأ ، والصواب أن أمه زنجية وذكر صاحب المحبر أنه حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية وقال فيها : (لا أشرب شرابا أصبح سيد قومى وأمسى سفيههم) ؟ المحبر ٢٣٧ .

وكان من المؤلفة قلوبهم ، ثم حسن إسلامه ؟

(٢) لعله أنس بن مرداس بن أبى عامر السلمى أخو العباس بن مرداس

فما أخذتم من هؤلاء القوم ؟ فقال له : حياك الله . هلم فاعزل إبلك . فقال : والله ما أعرفها وبنو أخى وأهل بيتى قد أموتهم بالركوب وهم فى إثرى ، وهم أعلم بها منى . فبيناهم كذلك إذ طلع فوارس بنى كلاب فاستقبلهم حنظلة فى فوارس معه ، فقال لهم أنس : إنما هم بنى وبنو أخى وانما بريتهم لنلاحق جماعة فوارس بنى كلاب . فلحقوا فقتلوا الحوثرة بن قيس الكلابى حنظلة بن الحارث وحمل لأم ابن سلمة من بنى ثعلبة على الحوثرة فأسره ، فدفعه إلى عتيبة فقتله صبراً ، وهزم الكلابيون ، ومضى بنو ثعلبة بالإبل ، وفيها إبل أنس بن عباس ، ثم أتبعهم أنس طمعاً فى إبله ، فوافق عتيبة ، فأخذه عتيبة أسيراً ، وأتى به أصحابه ، فافتدى أنس نفسه بمائتى بعير . فى ذلك قال عباس بن مرداس الأبيات المتقدمة . فقال عتيبة فى عتابه :

غدرتُمْ غَدْرَةً وغَـدَرْتُمْ أُخْرى ... فليس إلى توافينا ســـبيلُ

فـــإنكم عـــداةَ بنى كلابٍ ... تفاقـدتم ! ، عـلى لكم دليـلُ

دعا عليهم بأن يفقد بفقد بعضهم بعضاً .

وقال مالك بن نويرة لما أبى عتيبة أن يدفع إليهم أنساً يقتلونه ، فمن عليه مالك بدفع ابن عبيد الحوثرة إليه :

ونحن ثأرنا قبلها يا ابن أمه ... غداةَ الكلابيين والخيل سُهَّدُ

فجسنا به فسرًا إليك تقـوده ... وأنت ضعيف الصوت قلبك يُرْعَدُ

فنادى الذليل لانـــازع رأسه ... وقلنا لك اقفلته وقد كدت تبلدُ

وقال أبو يعقوب اسحاق بن حسان الخريمى يعاتب عثمان بن خريم مولاه :(١)

لعمر أبيـــك يـــامىّ إنـــنى ... لذو أنفٍ آبٍ لما لم أعـوَّدِ

وإنى ليعـــدينى التكرم والحجا ... على ظلم ذى القربى إذا لم أسوَّدِ

---

(١) هذا الشعر غير موجود بديوانه المنشور جمع على جواد الطاهر — طبع بيروت سنة ١٩٧١

وما أنا بالباكى عليه صبابةً إذا ما نَأَى عنىّ ولا المتلدد

وإنى لذُو صفحٍ عن الجهل بالتى تزين الفتى من فضل حلم وسؤدد

أبا لجدٍّ ترمينى فإنك هازلٌ وتحلُف لى بالله أن لم تعمَّدِ

وكنتُ إذا ما غبتُ عما شهدتُه يسرُّك فى الجلَّى مقامى ومشهدى

أزاحم عَنْكَ القومَ خُزراً عُيونُهم وأَدفعُ جهْدى باللسّانِ وباليدِ

وأجعلُ عرضى دون عرضك جُنَّةً كذِى شطَبٍ فى النائباتِ مهَّندِ

فما زال بى خُبيك حتى مللتنى وساءك منىٌّ فريَتى وتوددِّى

أرانى إذا أَصلحْتُ أَفسْدت صالحى وإن يكن الافسادُ همْك يُفْسدِ

فدونك فاستبدل خليلاً فإنى بمثل الذى أوصيكَ لابدَّ مقْتدِى

وإنْ أكُ محسوداً فلستُ بحاسدٍ وأىٌّ كريم عاشَ غيرَ محسَّد

بـــاب

مما قالوه في التحذير والتخويف من شر عاقبة الظلم وجنايات الحرب

قال النابغة : (١)

كليبٌ لعمرى كانَ أكبر ناصراً وأيسر جُرْماً منك ضُرِّجَ بالدَّم

رمى ضِرعَ نابٍ فاستمر بطعنةٍ كحاشية البرد اليمانى المسهَّمِ

وقال لجساسٍ أغثنى بشربــة تمنَّ بها فضلاً عــلىَّ وتنعمُ

فقال : تجاوزت الأحص ومــاءه وبطنى شبيب وهوذو مترسم

يقولها لعقال بن خويلد من عقيل بن كعب ، وكان أجار بنى وائل بن معن بن أعصر ، وكانوا قتلوا رجلا من بنى جعدة فحذر النابغة عقالا أن يصيبه فى ظلمه إياهم ما أصاب كليب وائل فى تعديه عليهم ، وأن يقع بينهم ما وقع بين عبس وذبيان فى حرب داحس . فقال فى ذلك : (٢)

فأَبلغ عِقالاً أنَّ غايةَ داحِــسٍ بكفَّيكَ فاستأْخر لها أَو تقدَّمِ

فقال عقال : لا بل أتقدم يا أبا ليلى . فقال النابغة : (٣)

تخير علينا وائِـــلاً فى دمائنا كأَنك مما نال أَشْياعُنا عمِى

---

(١) ديوان النابغـــة

(٢) ديـــوانه

(٣) ديوانـــه

فقال : لا بل على عمد يا أبا ليلى . فقال النابغة :

فما يشعر الرمحُ الأَصمّ كعوبه بنزوةِ رهط الأبلج المتظلّم

فقال عقال : لكن حاماه يا أبا ليلى يعلم .

وقال عمرو بن الأهتم : (١)

فإنَّ كلينا كان يظلم قومه فأدركه مثل الذى تريان

فقال تجاوزت الأَحص وماءه وبطن شبيب وهو غير دقانِ

وقال عباس بن مرداس السلمى :

فلما حشاه الرمح كف ابن عمه تذكَّر غبَّ الظلم أى أوانِ

وقال لجساسٍ أغنِّ بشربة وإلا فخبِّر من لقيت مكانى

وقال آخر :

أكليبُ مالك كل يوم ظالما والظلم أنكد وجهه ملعونَ

قد كان قومُك يحسبونك سيداً وإخال أنك سيدٌ مغبونُ

فإذا رجعت إلى نسائك فادّهن إنَّ المسالم رأسه مدهونُ

وافعل بقومك ما أراد ابوائلٍ يوم الغدير سَمِيُّك المطعونْ

وأخال أنك سوف تلقى مثلها فى صفحتيك سنانى المسنونْ

إن القَريَّة قد تبيَّنَ أمرها إن كان ينفع عندك التبيينُ

وقال رجل من الخوارج لمعاوية :

أتيت مأتى كليبٍ فى عشيرته لو كان فى القوم خَرقٌ مثل جساسِ

الطاعن الطعنة النجلاء عائذها كطرَّةِ البُرد يعنى فرعها الآسى

---

(١) عمرو بن الأهتم بن سنان المنقرى التميمى . من سادات تميم وخطبائهم وشعرائهم ، وقد مع الزبرقان بن بدر إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وقالوا : كأن شعره فى مجالس الملوك حلل منشرة . البيان والتبيين . طبع السندوبى ١–٥٣

يقال عن العرق إذا سال بالدم ، والفرع الدلو . وعنى بها الدم الذى يسيل .

وقال النابغة الجعدى : (١)

ألم تعلموا ما ترزأُ الحربُ أهلَها وعند ذوى الأحلامِ فيها التجاربُ

لها السادةُ الأشراف تأتى عليهم فتهلكُهم والسابحاتُ النجائبُ

ويستلبُ الدُّهمَ التى كانَ ربُّها ضنيناً بها والحربُ فيها الحرائبُ

وقال الحارث بن وعلة الجرمى : (٢)

لاتأمَنَنْ قومـــاً ظلمتَهُم وبدأتَهمْ بالشتمِ والرَّغمِ

إن يأبُروا نَخْلاً لغيرهمُ والقولُ يحقرهُ وقد ينْمى

قومى هم قتلوا أميم أخـى وإذا رميتُ أصابنى سهمى

فَلئِنْ عفوتُ لأعفون جللاً ولئِن سطوتُ لأوهنَنْ عظمى

وقال آخر :

يفرح أن يغلبنى ظالمـــاً والظالم المغلوبُ لو تعلَمُ

وقال الطائى : (٣)

أذا فرشوهُ النصف ماتت شذاته وإن رتعوا فى ظلمه كان أظلَماَ

---

(١) ديوان النابغة الجعدى ١٨٣ الأبيـات ٨ ، ٩ ، ١٠ من منشورات المكتب الإسلامى بدمشق سنة ١٩٦٤ م

(٢) الحارث بن وعلة الجرمى — من فرسان قضاعة وأنجادها وأعلامها وفحول شعرائها وهو من شعراء المفضليات .

(٣) ديوان أبى تمام ص ٢٩٥ : والنصف : الانصاف . والشذاة : بغية القوة

وقال قيس بن زهير : (١)

تعلَّم أن خير الناسِ ميتٌ ... على حفر الهباءة لا يريمُ

ولولا ظلمه مازلتُ أبكي ... عليه الدهر ما طلع النجومُ

ولكن الفتى حملَ بني بدرٍ ... بغَى والبغى مرتعه وخيمُ

أظنُّ الحلمَ دلَّ عليَّ قومي ... وقد يستجهل الرجل الحليمُ

ومارستُ الرجال ومارسوني ... فمعوجٌ عليَّ ومستقيمُ

فلا تَغْشَى المظالمُ أن تراهُ ... تمتع بالغنى الرجل الظلومُ

وقال الربيع بن زياد : (٢)

حرّق قيسٌ عليَّ البلاد ... حتىَّ إذا استَعَرتْ أَجذَما

جَنيَّةُ حَرْبٍ جَناها فما ... تفُرِّجَ عنه وما أُسلما

عشية يردف آل الربا ... ب يُعَجِّل بالركضِ أن يلحما(٣)

ونحن فوارسُ يوم الهر ... ير يسلم السقيان الفما

عطفنا وراءك أفراسنا ... وقد مَالَ سرجُك فَاسْتَقْدَما

إذا ذُعرت من بياض السيو ... فِ قلنا لها أَقدمى مَقْدمَا

---

(١) قيس بن زهير بن جذيمة العباسى صاحب فرسى داحس والغبراء اللتين راهن بهما مع حذيفة بن بدر الفزارى على فرسيه الخطار والحنفاء ، وبسبب هذا الرهان قامت الحرب بين عبس وذبيان

(٢) الربيع بن زياد من سادة عبس وشعرائها وأورد لابن قتيبة البيت الأولى فى معانى الشعر ١ — ٧٢ وروايته

وحرق قيس على البلا ... د حتى إذا اضطرمت أجذما

الحماسة لأبى تمام ١—١٨٦

(٣) روايته الحماسة « غداة مررت بآل الرباب »

إنما قال الربيع هذه الأبيات حين ارتحلت بنو عبس عن بنى عامر فساروا يريدون بنى ثعلبة ، فأرسلوا إليهم أن أرسلوا إلينا وفداً ، فأوفدت إليهم بنو ثعلبة ، فلما أتى الوفد بنى عبس قال لهم قيس : انتسبوا نعرفكم ، ونسبهم حتى مر بابن الخمس ، فقال : أنا ابن الخمس . فقال له قيس : إن أمانا أمتنا فيه لزمان سوء. قال: وما أخاف منك ؟. لأنت والله أذل من قراد تحت ميسم بعيرى ، فقتله قيس بالحارث بن ظالم ، لأن الحارث كان قتل الخمس فلما دخل الحارث على النعمان قال النعمان : من كان له عند هذا ثار فليقتله فقام إليه ابن الخمس فقتله. وقال له الحارث : أتقتلنى يا ابن شر الأظماء قال نعم : يا ابن شر الأسماء .

فقيل قيس بن الخمس بالحارث بن ظالم . فلما رأى ذلك قيس قال : يابنى ارجعوا إلى قومكم فهم خير الناس كلهم ، فأما أنا فوالله لا أجاور بيتاً غطفانيا أبداً ولحق بعمان ، فهلك بها ، ورجع الربيع وبنو عبس . فلذلك قال الربيع الأبيات المتقدمة .

وقيل لقيس بعد أن صار بعمان أى النساء أكرم ؟ . قال : بنات العم . قيل : وأى الخيل رأيت أصبر ؟ . قال : الكميت . قيل : فأى العبيد رأيت أو فى ؟ قال : المولدون ، وذلك أن المولدين صبر فى فصاحتهم وحلفهم ، ولم يعرف غيرهم فنفسه لاتنازع فى سواهم .

ولما انصرف الربيع بن زياد ، وكان يسمى الكامل أتى بنى ذبيان وكان معه ناس من بنى عبس ، فأتى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرسى ، فوقفوا عليه فقالوا : هل أحسست لنا الحارث بن عوف وهو يعالج نجيا . فقال : هو فى أهله وليس ببابه ، فطلبوه ، فرجعوا ، وقد لبس ثيابه ، فقالوا ما رأينا كاليوم قط وتركونا إليه ، فقال ومن أنتم ؟ . قالوا : بنو عبس ، ركبان الموت . قال : بل أنتم ركبان السلم والحياة . مرحباً بكم لا تنزلوا حتى تأتوا حصن بن حذيفة . فقالوا : أنأتى غلاماً حديث السن ، وقد

قتلنا أباه، وأعمامه لم تره قط ؟ . قال الحارث : نعم. إنه حليم، وإنه لا صلح حتى يرضى ، فأتوه عند طعامه ، فلما رآهم ولم يكن رآهم حصن قال : هؤلاء بنو عبس ، فلما أتوه حيوه . قال : من أنتم ؟ . قالوا : ركبان الموت فحياهم وقال : بل ركبان السلم والحياة. إن تكونوا احتجتم إلى قومكم فقد احتاج قومكم إليكم . هل أتيتم سيدنا الحارث بن عوف . قالوا : لم نأته . وكتموا إتيانه . قال : فأتوه . قالوا : ما نحن ببارحيك حتى تنطلق معنا . فخرج يضرب أوراك أباعرهم قبله حتى أتوه فحلف عليه حصن : هل أتوك قبلي ؟ قال : نعم ، قال : فقم فى عشيرتك ، فانى معينك بما أحببت . قال الحارث : أفأدعو معي خارجة بن سنان ؟. قال: نعم. فلما اجتمعا قالا لحصن تخير نا من خصلتين من الغدر بهم ، والخذلان لهم. قال : نعم. فقاموا بينهم قياما بدية القتلى وأخرجوا لبنى ثعلبة بن سعد ألف ناقة. وزعموا أنه لما اصطلح الناس . وكان حصين بن ضمضم المرى قد حلف ألا يصيب رأسه غسل حتى يقتل بأخيه هرم بن ضمضم فأقبل رجل من بنى عبس يقال له ربيعة بن وهب ، وأمه من بنى فزارة يريد أخواله فلقيه حصين بن ضمضم فقتله بأخيه هرم الذى قتله العبسيون ، فلما بلغ بنى فزارة قتل حصين ربيعة بن وهب غضبوا وغضب حصن لقتل ابن أختهم ، وفيما كان من عقد حصن لبنى عبس ، فأرسل إليهم الحارث ابنه فقال : أاللبن أحب إليكم أم أنفسكم؟. يعنى ابنه ، فقالوا : بل اللبن أحب إلينا . فأرسل إليهم مائة من الإبل دية ربيعة بن وهب ، فقبلوا الدية و الصلح .

قال ابن الأعرابى : لما كان من أمر الهباءة ما كان جاور قيس بن زهير النمر بن قاسط . فلما جاورهم قال لهم : أطلبوا لى امرأة قد أدبها الغنى وأذلها الفقر فعزموا أن يزوجوه طيبة بنت الكيس النمرى . فقال لهم : إنى لا أتزوج إليكم حتى أخبركم بخلال فى . إنى فخور وإنى غيور ، وإنى أنف ، وإنى لا أفخر حتى أبتلى ، ولا أغدر حتى أرى ، ولا آنف حتى أظلم .

فرضوا خلاله فزوجوه ، وأقام فيهم ، فلما أراد الرحيل عنهم قال لهم : إنى آمركم بخلال ، وأنهاكم عن خلال . عليكم بالأناة ، فان بها تدرك الفرصة

وتسويد من لاتعانون بتسويده . وإجارة الجار على الدهر وتنفيس البيوت عن منازل الأيامى . وأنهاكم عن خلط الضيف بالعيال ، ولاتنفقوا فى الفضول ، فتعجزوا عن الحقوق . وعليكم باعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة ، وصنع من تريدون صنعه قبل الالحاح . وأنهاكم عن الرهان فان به ثكلت مالكاً أخى ، وعن البغى ، فانه صرع زهيراً أبى ، وعن السرف فى الدماء فان قتلى يوم الهباءة أورثتنى العار ، ألا وإنى أصبحت ظالماً مظلوماً . ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكاً أخى ، وظلمتهم بقتلى من لاذنب له .

وقال آخر :

ومولىً دعاهُ البغىُ والبغىُ كاسْمِهِ ... وللحيْنِ أَسبابٌ تصدُّ عن الحزْمِ

أتانى يشبُّ الحربَ بينى وبينه ... فقلتُ له لا بلْ هلمَّ إلى السِّلْمِ

إيالك والحربَ التى لا أديمها ... صحيحٌ ولاتُعدى الصحاحَ على السُّقْمِ

ولكنها تسرى إذا نــامَ أهلها ... فتأْتِى على ماليس يخطر فى الوهمَ

ولا بدَّ من قَتْلىَ لعلَّك فِيهمُ ... وإلا فجرحٌ لا يحن على العظم

فلمَّا رمى شخص رميت ســواده ... ولابدَ أن يرمى سواد الذى يرمى

ولما أبى ألقيت فضـــل ردائه ... إليه فلم يرجع بحزم ولا عزْمِ

فكان صريع الخيل أول وهلةٍ ... فيالك من مختارِ جهل على علمِ

كتب بها أبو جعفر المنصور إلى عبدالله بن حسن .

وقال قراد بن عباد :

إذا المرءُ لم يغضب له حين يغضبُ ... فوارسُ إن قيل اركبوا الموت يركبوا

ولم يجبه بالنصر قــومٌ أعــزةٌ ... مقاحيمُ فى الأَمر الذى يتهيَّبُ

تهضَّمَهُ أولى العدو ولـــم يــزلْ ... وإن كان عَضباً بالظَّلامة يضربُ

فآخِ لحالِ السلم من شئت واعْلَمَنْ … بأَنَّ سوى مولاك فى الحرب أجنبُ

ومولاكَ مولاكَ الذى إن دعوته … أجابك طوعاً والدماءُ تصبَّبُ

فلا تخذلْ المولى وإن كان ظالماً … فإنَّ به تُثأَى الأُمورُ وتُرأَبُ

وقال آخر :

فإن قلتم إنا ظلمنا فلم نكن … ظلمنا ولكنَّا أسأْنا التقاضيا

وقال بشار :

إن كنت حاولت هوانِى فما … هنتُ ولا لى فى هوانٍ مقامْ

فى الناس أبدالٌ ، ولى مزحلٌ … عن منزلٍ نابٍ ومرعىً وخامْ

لا نائِلٌ منك ولا موعِدٌ … ولا رسولٌ فعليكَ السلام

وقالت سبيعة بنت الأخب فى بغى كان بين بنى السباق بن عبدالدار بمكة وبين بنى خالد بن عبد مناف بن تيم بن مر فتفانوا فيه ، فلم يبق منهم إلا القليل تعظ ابنها :

أَبُنَىَّ لا تظلم بمكةَ … لا الصغير ولا الكبير

ابنىَّ من يَظلِمْ بمكة … يلقَ أطرافَ الشرور

احفظ محارمها ولا … يغررك باللهِ الغَرورْ

اللهُ أمَّن طيرهَا … والوحشَ يعقَلُ فى ثبير

والفيلُ أهلك حبشه … يرمون فيها بالصخورْ

فاسمع إذا حدثت وانظرُ … كيف عاقبة الأُمور

وقال بعض الشعراء يذكر كليباً وهماماً :

أَلا أيها الركب المجنُّونَ علىَّ من … يحلَّ حمى الدَّهْنا لديكم به خبرُ

وقال آخر :

امـــا والله إن الظلم شـؤم   وإن الظلم مرتعه وخـــيمُ

وفى آخر الـكتاب بخط مخالف لخط النسخة

وبالهامش إلى جانب هذه العبارة بخط مغربى مشابه لخط النسخة .«قلت
س هذا بكامل المبرد وإنما هو قطعة من أختيار الممتع كتاب عبدالكريم».

باب (١)

فى العفو عمن أذنب

روى أن أعرابيا كانت له أبنة عم ذات حسن وجمال ، فتزوج بها ، وكان ابن أم الحكم عاملا لمعاوية بن أبى سفيان . وبلغ ابن أم الحكم حسنها وجمالها فأرسل للأعرابى ، وقال له : يا أعرابى ! هل لك سلو عن زوجتك ورغبة فى طلاقها ؟! . فقال الأعرابى : لا والله ما أسلو عنها ، ولا أفارقها إلا إذا فارقت روحى جسدى . فحبسه ابن أم الحكم ، وضيق عليه . وكان له إبل وشويهات ، فأنفقهن عليها حتى نفد ما معه ، وشق به الحال فطلقها على جهد جهيد ووصل إلى عند معاوية ، فلما مثل بين يديه ، ووقف عليه أنشد : (٢)

معاويةً ذا الفضل والجود والبذل ... وذا العطف والإحسان والبرّ والعَدل

فخذ لى هداك الله حقّ من الذى ... رمانى بسهمٍ كانَ أهونه قتْلِى

فقال معاوية : ما خبرك يا أعرابى ، وما شأنك ؟

فوصف له الأعرابى القصة وأنشد : (٣)

والحب داءٌ عسير ... فيه الطبيب يحارُ

---

(١) يرد هذا الباب فى موضع سابق بالمخطوطة ورأينا وضعه هنا للمناسبة .

(٢) فى مصارع العشاق ٢ — ١٣ .

معاوى يا ذا الحلم والفضل والعقل ... وذا البر والاحسان والجود والبذل

وروى ستة أبيات رابعها قوله (وخذ لى هداك الله .. البيت)

(٣) المصدر نفسه ويروى سبعة أبيات من بينها البيتان المذكوران .

فـــليس ليـــلى ليـــ ـلٌ ولا نهـــارى نَهـــار

فكتب معاوية إلى ابن أم الحكم ووبخه ، وزجره ، ونهاه عن هذه وقال فى آخر الكتاب : (١)

لقد ركبت حراماً يا ابن غاويةٍ استغفر الله من جورِ امرىءٍ زانِ

فلما وصل الكتاب إلى ابن أم الحكم وقرأه ، فما وسعه إلا أن يسيرها إلى معاوية وكتب الجواب : (٢)

وما ركبت حراماً حين أعجبنى فكيفَ سُمِّيتُ باسْم الجائرِ الزَّانى

وسوف تأْتيك شمس لاخفاءَ بها أبهى البريَّةِ من إِنَسٍ ومن جانِ

فلما مثلت بين يدى معاوية فإذا هى أحسن الناس جمالا وكمالا ، فقال : يا أعرابى ! هل تسلو عنها ؟ . فقال : إذا فرقت بين رأسى وجسدى . فقال معاوية : أختارى الأعرابى أو ابن الحكم أو أنا ! . فقالت: الأعرابى ، فأخذها الأعرابى وهو يقول : (٣)

المستعيذ بعمرو عنــد كربتـهِ كالمستعيذ من الرمضاءِ بالنـارِ

* ويروى أنه دخل عطاء بن رباح على أبى مسلم وقد كان حصلت معه هفوة ، وعاتبه أبو مسلم ، فقال عطاء : أقول لك ، فان كنت للذنب معتمداً فقد شاركتك فيه ، وإن كنت مغلوباً ، فالعفو يسعك . فقال له صاحب مرو : عظيم دينى منع قلبى من الهوى . فقال أبو مسلم : ياعجبا ! أقابلك باحسان

---

(٣) رواية البيت فى المصدر السابق — (ركبت أمراً عظيما لست أعرفه . .)
وهى سبعة أبيات هذا البيت أولها

(١) البيت الأول هنا ثانى أربعة أبيات فى مصارع العشاق ٢ — ١٥ — ١٦ ، والثانى ثالثها .

(١) فى مصارع العشـاق :
لا تجعلنى والأمثال تضرب بى كالمستعيذ من الرمضاء بالنـار

* قال أبو عمرو بن العلاء : قدم أعرابى من الطائف على زياد ، فذكر عن عامله بالطائف جوداً ، فقال له زياد : أحسبك كاذباً . فقال : لست بكاذب . فقال : والله ما أظنك تعرف الصلاة المفترضة . قال : قد عرفتها والحمد لله . قال : فكم أفترض الله عليك من ركعة ؟ . فقال :

هن أربعٌ وأربع ثم ثلاثٌ وأربعْ (١) بعدهن وركعتان الصبح لايُضيَّعْ

فقال زياد : أصبت . فقال له : أيها الأمير فمسألة بمسألة . قال : ذلك لك . فقال له : كم أفقرة ظهرك ؟ . فحار زياد ، فقال له : أيها الأمير كنت غنياً عما أرى . فأمر كاتبهُ له بكتاب إلى العامل بانصافه وصلته . وتناول الأعرابى الصحيفة وأنشأ يقول :

غناءٌ قليلٌ عن أرامل جُــوَّع صحائفُ بيضٌ بينهنَّ خُطُــوطُ

فأمر له زياد بتعجيل ما فى الصحيفة .

* قال أبو عبيدة : كان أبو المطراب العنزى قد طلبه جعفر بن سليمان الهاشمى بحباياته ،فهرب من بين يديه إلى البادية ، وكان مع الوحش حتى أضر به البرد والجوع فكان ينشد :

أَلاَ ياظباءَ الرمل أَحْسِنَّ صُحبتى وإخفينَنى إن كانَ يخفى مكانيا

أَكلْتُ عُروقَ الشَّرْيِ معكن والتوى بِحَلْقِى شوكُ القُرِّ حتى ورانيـا

وبتُّ ضجيع الأَسودِ الفردِ بالغضا فليت سليمان بن زير يرانيــا

فقد لاقت الغزلان منى بَلِيَّــةً وقد لاقت الغيلانُ منى الدوَاهيَا

---

(١) فى الأصل ثم ثلاث . (والزيادة ضرورية) لأن صلاة العشــاء أربع ركعات .

* كان أبو العتاهية له فى كل سنة مائة دينار وألف درهم من عند زبيدة إذا خرجت السكة الجديدة ، وكان الرشيد يحمل منها كل سنة إلى أم جعفر بمال كثير تفرقه ، فأبطأ ذلك عن أبى العتاهية سنة ، فأخذه القلق . قال : فصرت إلى بابها ومعى تكة وخاتم مليح ورقعة ، فو الله إنى لبيابها إذ خرجت وصيفة ، فلوحت لها بالخاتم والتكة ، فقالت : يا عماه ، أتبيع التكة والخاتم ؟ . فقلت : لا ولكن هما لمن أوصل هذه الرقعة إلى السيدة . قالت : هاتها . فأخذت الخاتم والتكة ، فما كان إلا أن وصلت الرقعة إلى أم جعفر ، وفى الرقعة بيتان وهما :

خبّرونى أن من ضرب السّكّة جُدُدًا بيضاً ، وصفراً حَسَنَهْ
سِكَكاً قد جُدِّدتْ لم أرها مثل ما كنت أرى كل سنَهُ

قالت أم جعفر : هذه والله رقعة أبى العتاهية ، وقد أغفلناه . ياجارية ! إدفعى إليه مائة دينار وألف درهم .

* حدث يموت بن المزرع أن امرأة من العرب كانت أمها فارسية ، وكان بنو عمها كثيراً ما يعيرونها بأمها ، فلما كثر ذلك عليها أنشأت تقول :

من آل فارس أخوالى أَسَاوِرةٌ هم الملوكُ وقومى سادةُ العربِ
وجدّتى تلبس الديباج ملحفةً من الفِريرِ ولم تقْعُدْ على قَتَبِ
ولم تكبَّ على الأبرادِ تَنسْجُها معاذَ رَبِّى ، ولم تَشرب من العُلَبَ

فقلن لها : أوصيت قومك؟. فقالت : هم والله أشد إيجاعا وما قصدت إلا دفع شرهم .

وقالت هند بنت عتبة فى ضد هذا :

لبيتٌ تنفخُ الأرواح فيه أحبُّ إلىَّ من قصرٍ مَنيفِ
وظِلٌّ سميرةٍ ولحيم جَدْىٍ أحبُّ إلىَّ من عنبٍ قطيفِ

ولبس عباءةٍ وتقَــرُّ عــينى أحبُّ إلىّ من لبس الشفوف
وكلبٌ يطردُ الطرَّاق عــنى أحبّ إلىّ مــن قطٍّ أليــف
وخرقٌ من بـــنى عمّ نجيبٌ أحبُّ إلىّ من عِلْجٍ عنيــف

وقال شاعر من تميم فى ذم رأى تميم فى سكنى البدو ، ومدح رأى كسرى فى اتخاذه الريف :

لكسْرَى كان أعْقَلَ من تميم عشيَّةَ فــرّ من بلدِ الضِّبــابِ
فأنزل أهــله ببلادِ ريــفٍ وجنـــاتٍ وأنهــارٍ عِـذابَ
فصاروا فى محــلتهم ملوكاً وصرنا نحن أمثال الـكلاَبِ
فـــلا رحم الإله جَــدّا تميم فقد أزرى بنا فى كل بــابِ

وقال بعض ثقيف :

لله درُّ ثقيفٍ أى مـــنزلــةٍ حَلُّوا بها بين سهل الأَرض والجبلِ
قوم تخير طيبَ العيش رائدهم فأَصبحوا يلحقون الأَرض بالحِللَ
ليسوا كمن كانت الترحال همته أخبِثْ بعيشٍ على حلّ ومُرتحلِ

قال بعض الرواة : كنت حاجاً فأبصرت فى بعض الطريق بمنى قبة فيها امرأتان على غاية الجمال إذ تكلمت إحداهما بكلام أرفثت فيه ، فقالت : سبحان الله ! يا أمة الله أما أنت حاجة ؟! . فقالت : أيها الرجل أنا من اللواتى قال فيهن هذيل الأشجعى :

أماطت كساءَ الخزّ عن حرّ وجهها وأدنت على الخدّين برداً مهلهلاً
من اللائِى لم يحججنَ يَبغين حِسبةً ولكن ليقتلن السبرىّ المغفّلا

ثم قالت : ياشيخ . النجاة ؟ ، وأحذر أن تكون منهم .

* قال الأصمعى : كتب فى مجلس أبى عمرو بن العلاء فتذاكروا جريرا وحلاوة شعره ، فقال أبو عمرو : أجمعت العرب على أن أقسام الشعر تؤول إلى أربعة أركان فمنه أفتخار ، ومنه مديح ، ومنه هجاء ، ومنه نسيب .

فأما الأفتخار فسبق الناس إليه جرير فى قوله :

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنو تميمٍ حَسِبتَ الناسَ كُلَّهم غضابَا (١)

وأما المديح فبرز فيه على الناس فى قوله : (٢)

أَلستُم خيرَ من رَكِبَ المطَايَا وأَنْدى العَالَمينَ بُطونَ راحِ

وأما الهجاء فبرز فيه على الناس فى قوله : (٣)

فَغُضَّ الطَّرفَ إنَّكَ من نُميرٍ فلا كعبا بلغْتَ ولا كِلابَا

وأما النسيب فبرز فيه على الناس بقوله : (٤)

إنَّ العُيونَ التى فى طرفِها حورٌ قتلنَنَا ثم لم يُحيِينَ قتْلاَنا

* قال أبو عمرو : ظلمنى الحجاج فهربت إلى صنعاء ، وكنت بها أخفى شخصى نهاراً وأظهره ليلا ، فانى لفى غداة من الغدوات إذ سمعت رجلا ينشد هذا البيت :

ربما تجزعُ النفوسُ من الأمْـ ـر له فُرجةٌ كحَلِّ العقالِ

وسمعت آخر يقول : مات الحجاج . قال : والله ما أدرى فرحى بموت الحجاج كان أكثر أم بقول المنشد : له فرجة .

* وأنشد الأصمعى للسمو أل بن عاديا الغسانى اليهودى : — وبعضهم يرويها العبدالملك بن عبدالرحيم الحارثى : (٥)

---

(١) ديوان جرير ص ٦٤ من قصيدته : (أقلى اللوم عاذل والعتابا)

(٢) ديوان جرير ص ٧٧ من قصيدته : (أتصحو بل فؤادك غير صاح)

(٣) ديوان جرير ص ٦٣ من قصيدته (أقلى اللوم عاذل والعتابا)

(٤) ديوان جرير ص ٤٩٢ من قصيدته : (بان الخليط ولو طوعت ما بانا)

(٥) فى حماسة أبى تمام القصيدة رقم ١٥

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قليلٌ عديدُنَا ... فقلْتُ لها إنَّ الكِرامَ قليلُ (١)

وما ضَرَّ من كانت بقاياهُ مثلنا ... شبابٌ تسامى للعلا وكهولُ (٢)

وما ضرنا أَنَّا قليلٌ وجارُنا ... عزيزٌ ، وجارُ الأَكثرينَ ذليلُ

لنا جبلٌ يحتلُّهُ مَن نُجيرُهُ ... منيعٌ يردُّ الطَّرْفَ وهو كليلُ

رسَا أَصلهُ تحت الثرى وسمَا بِهِ ... إلى النجم فرعٌ لايُنالُ طويلُ

ونحن أُناسٌ لانرى القتل سُبَّةً ... إذا ما رأَته عامرٌ وسلولُ (٣)

يقصِّر من أَعمارنا حُبُّنَا لـه ... وتكرهه آجالهم فتطولُ (٤)

وما ماتَ منَّا سيِّدٌ فى فراشه ... ولاطُلَّ منا حيث كان قتيلُ (٥)

تسيل على حدّ السيوف نفوسنا ... وليست على غير السُّيوفِ تسيل(٦)

صفوْنا فلم نكدُرْ وأَخلص سرَّنا ... إناثٌ أَطابتْ حملنا وفحولُ

علونا إلى خير الظهور وحطنا ... لوقتٍ إلى خير البطونِ نُزول (٧)

ونحن كماءِ المزنِ ما فى نصالنا ... كهَامٌ ، ولافينا يُعَدُّ بخيلُ (٨)

---

(١) البيت الثالث فى رواية أبى تمام

(٢) فى الحماسة وما قل من كانت

(٣) فى الحماسة « وإنا لقوم ما نرى القتل سبة »

(٤) فى الحماسة « يقرب حب الموت آجالنا لنا » فى رواية المرزوقى والتبريزى كالأصل ١ — ١١٥

(٥) فى الحماسة « وما مات منا سيد حتف أنفه » رواية المرزوقى والتبريزى ، فى فراشه كالأصل ١ — ١١٧

(٦) فى رواية أخرى تسيل على حد الظباة . المرزوقى ١ — ١١٧

(٧) وتروى بزول ، والبازل القوى من الإبل

(٨) وتروى « نصابنا » والكهام الكليل

ونُنكر إن شئنا على الناس قولَهم ... ولا ينكرون القول حين نقولُ(١)

وأيامنا معلومةٌ فى عدوّنـــا ... لها غُرَرٌ معلُومَةٌ وحجُولُ (٢)

وأسيافُنَا فى كل شرقٍ ومغربٍ (٣) ... بها من قراعِ الدّارعين فُلُولُ

معودةٌ أن لاتُسَلَّ نصالهـــا ... فَتُغْمَدَ حتىَ يُستباحَ قبيــلُ

سلِى إن جهلت الناسَ عنّا وعَنْهمْ ... فليسَ سواءً عَالِمٌ وجَهُـــولُ

إذَ مَاتَ مِنّا سَيِّدٌ قـــامَ سيِّدٌ ... قؤولٌ لما قَالَ الرِّجالُ فعُولُ

وما أُخْمِدَتْ نارٌ لنا دونَ طارِق ... ولا ذمنا فى النازلين نزيلُ (٤)

وكان السموأل شاعراً كريماً شجاعاً . وهو أحد الأوفياء المذكورين بالوفاء وكان من خبر وفائه أنه أجار قطين امرئ القيس بن حجر وأدراعه وكراعه حين توجه إلى ملك الروم ، فلما مات أمرؤ القيس بأنقرة بعث الحارث بن أبى شمر الغسانى إلى السموأل فيما استودعه امرؤ القيس ، فأبى أن يسلمه إلا لمستحقه. فبعث إليه جيشاً عليه رجل من أهل بيته يقال له الحارث. وكان السموأل ينزل حصنا يعرف بالأبلق الفرد من أرض تيماء . وإنما قيل له ذلك لأنه من حجارة بيض وسود . وكانت الزباء سارت إلى الأبلق هذا وإلى مارد حصن دومة الجندل ، فامتنعا عليها ، فقالت : تمرد مارد ، وعز الأبلق .

فلما أخبر بهم أغلق باب حصنه ، وكان له ابن إما فى صيد ، وإما فى سفر ، فجاء ولم يعلم أنه أطيف بأبيه ، فأخذه الحارث وقال : إن أسلمت إلى

---

(١) بعد هذا البيت فى الحماسة قوله .

إذا سـيد منا خلا قام سـيد ... قؤول لما قال الكرام فعـول

(٢) فى حماسة المرزوق « وأيامنا مشهورة » ١ — ١٢١

(٣) فى حماسة المرزوق «فى كل غرب ومشرق »

(٤) فى رواية الأصل هنا تأخر البيتان عن موضعهما فى الحماسة

الوديعة خليت عن ابنك ، وإلا قتلته . فأبى أن يسلمها ، فأخذ الحارث ابنه فصرعه ، ثم ناداه : أشرف سموأل فانظر ، فوالله لأقتلنه أو لتدفعن إلى الوديعة ، فقال : إن الغدر طوق لايبلى ، ولابنى هذا إخوة ، وأنا أرجو أن يعقبنيه الله تعالى إن قتلته . فقتله . فقال السموأل فى ذلك :

وفيت بأَدْرُعِ الكِنْــدىِّ إنِّى ... إذا عاقــدتُ أقــوامــاً وفيتُ

بَنَــىَ لِى عـاديـا حصناً منيعاً ... وبئـرا كلمـا شِئتُ استقيتُ

وكان السموأل يهوديا من أهل تيماء

وقال الأعشى (١) :

أرى عاديًا لم يدفع الموتَ مالُه ... وفردٌ بتيماءَ اليهودىِّ أبلَــقَ

بناه سليمانُ بنُ داودَ حِقْبــةً ... له أَزَجٌ عالٍ وطىٌّ موثَّقُ (٢)

يوازِى كُبيْدات السماءِ ودونَه ... بَلاطٌ ودارَاتٌ وقلسٌ وخندقُ(٣)

له دَرْمكٌ فى رأسِهِ ومشاربٌ ... ومِسْكٌ وريحانٌ وراحٌ تُصفَّـقُ

فذلِكَ لم يُعْجِزْ من المَوْتِ ربَّه ... ولكِنْ أتاهُ الموتُ لا يتأبَّقُ

وقال السموأل : (٤)

إن حِلمى إذَا تغَيَّبَ عـــنِّى ... فاعلمى أنَّنى عظيماً رُزِيــتُ

---

(١) القصيدة رقم ٣٣ فى ديوانه طبع محمد حسين والبيت الأول فى الأصل هو رقم ٧ فى القصيدة وروايته :

ولا عاديا لم يمنع الموت ماله ... وحصن بتيماء اليهودى أبلق

(٢) أزج « ضرب من البناء يبنى طولا وطى : بئر مبنية بالطوب والحجارة

(٣) رواية الديوان « ودارات وكلس وخندق »

(٤) طبقات فحول الشعراء ١ — ١٨٠ وديوانه ١٣ والأصمعيات ٢٣ وروايتها « كبيراً رزيت »

ضيِّقُ الصدرِ بالخيانةِ لاينقُضُ ... فقرِى أمانتى ماحييت
كم فظيع سمعته فتصاممتَ ... وعَيٌّ تركتُه فكُفيتُ
ليت شعرىَ وأشْعُرنَّ إذَا مَا ... قَرَّبُوهَا منشورةً ودعيتُ (١)
ألِيَ الفَضْلُ أم علىَّ إذَا حوسبْتُ ؟ . إنّى على الحسابِ مُقيتُ (٢)
ميْتَ دهرٍ قد كنتُ ثم حَيِيتُ ... وحْياتى رهنٌ بأَنْ سأمُوتُ

حكى أبو عبيدة أن عمرو بن ثعلبة بن الحارث الكلبي مر راجعاً من غزاة ومعه أسارى فلقى أعشى بنى قيس بن ثعلبة يريد الشام يمدح آل جفنة ، فانتسب له إلى غير قومه ، فقال أنا من تجار أهل البحرين ، فأوثقه وطرحه فى الأسر ، ثم سار من فوره حتى نزل على شريح بن السمو أل بن عاديا ، فأحسن نزله ، وأكرمه ، فسأل الأعشى : من الذى أنزله ؟ فقيل له : شريح فقال : والله لقد كنت أمتدحت السمو أل ، فأرسل إلى شريح بذلك ، وسأله أن يخلصه من ضيفه ، وأعلمه أنه لايعرف من هو . فاجتمع شرب عند الكلبي وفيهم شريح ، فعرف الأعشى ، فقال : من هذا ؟ فقال : خشاش التقطته . فقال له : أحب أن تهبه لى . فقال : ما ترجو من هذا الأعمى الزمن ؟ . بل خذ أسيراً فداؤه مائة من الإبل . قال : بل هذا الأعمى ، فانى أرحمه . فوهبه له ، فأدخله شريح قصره ، وذبح له شاة ، وسبأ له خمراً ، فلما نفذت فيه الكأس ترنم بهجاء الكلبي وقال :

بنو الشهر الحرام فلستُ منهم ... ولست من الكرام بنى العُبَيْدِ
ولامن رهط خَبار بن قُرط ... ولامن رهط حارثةَ بن زيدِ

---

(١) رواية الطبقات « منشورة فقريت » ، أصلها وهل أشعرن فحذف أداة الاستفهام ، أشعرن : أعلمن ، وقربوها أى صحيفته يوم البعث

(٢) مقيت : حافظ للشيء وشاهد له ، ومعناه أنى أعرف ما عملت من السوء

فبلغ عمرو بن ثعلبة هجاؤه ، وقيل له إنه الأعشى ، فأرسل إلى شريح أن رد إلى هبتى قال : لاسبيل إلى ذلك ، ولكن احتكم فى المال ما شئت . قال : فانه قد هجانى . فقال : لايأتيك منه إلا ما تحب . وأرسل شريح إلى الأعشى أن الرجل قد وهبك لى وأحسن ثم هجوته بئسما صنعت . فقال الأعشى : والله لا أهجوه أبداً ، ثم أنشأ الأعشى يقول يخاطب شريح :

شريحُ لاتتركَنىِّ بعد ما عَلِقتْ ... ببطنِ كَفِّكَ بعدَ القَيدِأظفَارِى(١)

قد طفت ما بين بَا نقيا إلى عَدَنٍ ... وطالَ فى العجم تطوافىوتسيارىَ(٢)

فكانَ أوفاهُم عهداً وآمنَهم (٣) ... جاراً أبُوكَ بعرفٍ غيرِ إنـكار

كالغيث ما استمطروه جادَ وابِـلهُ ... وعند ذِمَّتِه المستأسِدُ الضَّـارِى

كنِ كالسموأَل إذ طافَالهمام به ... فى جحفل كسوادِ الليل جرَّار

بالأَبْلق الفَرْد من تيماءَ منزلــهُ ... حِصنٌ حصينٌ وجارٌ غير غدَّار

خيره فى خطتى خسْفٍ فقال له : ... مَهْما تَقُلْهُ فإِنىِّ سامعٌ داری (٤)

فقال : ثُكلٌ وغدرٌ أنت بينهما ... فاختر فما فيهما حَظٌّ لمختارِ

فشكَّ غيرَ طويلٍ ثمَّ قال لـهُ ... اقتُلْ أَسِيرَكَ إِنىِّ مانعٌ جـارىَ

وسوفَ يُعقبنيهِ إن ظفِرْتَ بهِ ... ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطْهارِ

فاختار أدراعه أن لايسب بهـا ... ولم يكن عهده فيها بختّار (٥)

---

(١) القصيدة رقم ٢٤ ديوانه ورواية البيت الأول :

« علقت حبالك اليوم بعد القد أظفارى »

(٢) فى الديوان « وطال فى العجم ترحالى ونيارى »

(٣) فى الديوان وأمنعهم

(٤) الديوان « سامع حارى »

(٥) قبل هذا البيت فى الديوان أربعة أبيات لم يذكرها فى الأصل

وشريح الذى يقول : (١)

آت الكرامَ إذَا وجَـدْ ... تَ إلى إخائِهِمُ سَبيـلاَ
واشَـربْ بِـكأسِهِمُ وإنْ ... شربوا بها السَّم الثميـلاَ
أأسَيدُ إنْ مـالاً ملكْتَ ... فَسِرْ به سيراً جميـلاِ
أأسَـيدُ إنَّ المـالَ لا ... يَبْكى إذا فَقـدَ الخَليلاَ
إن الكَريمَ إذا تـوُا ... خيه وجدْتَ لهُ فُضُـولاَ

• وقال الفرزدق فى مدحه سليمان بن عبدالملك حين أجار بنى المهلب : (٢)

لَعمرى لقد أوفى وزادَ وفاؤه ... على كل حالٍ جارُ آل المهلَّب (٣)
وفَاءَ أخِى تيماءَ إذ هو مشرفٌ ... يناديه مَغْلوُ لافتى غير أجنبىَ (٤)
أبُوهْ الَّذِى قالَ اقتلوه فإنَّنِى ... سأمنعُ جَارِى أن يُسَبَّ به أبى(٥)
فأدَّى إلى آلِ امرئِالقَيسِبَزَّه ... وأدْراعَهُ مَعروفَةً لم تُغَيَّـبِ

فأخبر بوفائه ، وإيثاره مأثور الحديث على أن أسلم ولده لقاتله ولايسب بغدره . ولو لم تضمن هذه الفعالة فى الشعر لذهبت مع ماذهب من سائر المنثور ، ولذلك خاف جميل بن بدر على حذيفة بن بدر حين عرض على قيس بن زهير ما عرض ليكف عن قتله يوم الهباءة ، وذلك بعد مارأى شداد بن

---

(١) شريح بن عمران ، كما ذكره ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ١ ــ ٢٨٤ ، وهو شريح بن عمران ، كما ذكره ابن سلام وهو شريح بن حصن بن السموأل كقول ثعلب • والأبيات فى طبقات ابن سلام ١ ــ ٢٨٤

(٢) ديوانه ص ١٧

(٣) البيت مطلع القصيدة

(٤) فى الديوان « فتى غير جانب » والجانب . القصير

(٥) فى الديوان : « سأمنع عرضى » .

معاوية واقفا على حفر الهباءة ،وقد حال بينهم وبينه الجبل . فقال حذيفة : يابنى عبس أين العوذ والأحلام ؟! ، فضرب جميل بن بدر بين كتفيه . وقال له : اتق مأثور الحديث بعد اليوم . أراد ما يقع فى شعر يروى فيه ، فيبقى على وجه الدهر .

* وقال الفرزدق يذكر وفاء الحارث بن ظالم لجاره : (١)

ولم أر جَاراً لامرىءٍ يستجيرهُ ... كجارِيَ أَوْفَى لى جواراً وأَمْنَعَا

رَمَى بِي إليه الخوفُ حتّى أبيتُه ... وقد يمنع الحامِي إذَا ماتمنَّعَا

فشمرٌ عن ساقَيْه حتّى تطامنتْ ... أَنَابِيبُ نَفْسِي واستقرَّتْ بِها معًا(٢)

كمنع أَبِي لَيْلى عياضَ بنَ دُيهثٍ ... عشية خاف القومُ أَنْ يُتَمزَّعَا (٣)

أبو ليلى هو الحارث بن ظالم المرى، وكان عياض بن ديهث التميمى مجاورا فى غطفان . فأغارت بنو مرة بن ذبيان على ماله ، فأتى أعلاق الحارث بن ظالم فعلق دلوه بها ، وناداه يا حارثاه ، ياحارثاه ، فقال الحارث : والله ما أنت لى بجار . فقال : هذه دلوى قد علقت معالقها بدلاء رعائك . قال : جوار والله . فقام فى قومه حتى رد عليه جميع ماله . فقال الفرزدق : (٤)

---

(١) فى الديوان « (يمدح أسد بن عبد الله القسرى » ص ٥٢٦

(٢) جاء فى الشرح بالديوان « الأنابيب مخارج نفسه التى نشزت للخروج . فلما أمن اطمأنت » .

(٣) فى شرح الديوان أن أبا ليلى هو النعمان بن المنذر . والتمزع : نهش اللحم وجعله قطعا . وفى الأصل عصام بن ديهث ، وديهث هذه امرأة استجارت بالحارث بن ظالم المرى .

(٤) البيتان من القصيدة التى مطلعها

لعمرى لقد أوفى وزاد وفاؤه ... على كل جار جار آل المهلب

وقام أبو ليلى إليه بسيفه ... وكان متى مايَسْلُل السيفَ يضرب (١)

وما كان غير جاراً دلوٍ تعلّقتْ ... بأعلاقِ حبل مُحْكم العقدِ مكربِ (٢)

وقال حبيب فى ذلك : (٣)

لى حرمة لك لولا ما رعيت وَمَا ... أَوْحَيْتَ من حَقِّهاماخلْتُهاتجبُ (٤)

بَلَى لقد سَلَفَتْ فى جَاهليَّتِهِمْ ... فى الحقِّ ليس كحقٍّ نُصْرَةٌعَجَبُ

إنْ تَعْلَقْ الدَّلْوُ بالدَّلْوِ الغَرِيبةِ أَو ... يُلابِس الطُّنُبَ المستَحْصِدَالطُّنُبُ

وأنشد الأخفش لنصيب الأشقر وذكر إبلا :

وردْن بنا وابنُ اللَّيالى كأَنه ... حسامٌ جلَتْ عنه القُيونُ صقيلُ

فما زلتُ أفنى كلَّ يوم شباتَه ... إلى أن أتتك العيسُ وهو ضئيلُ

وأنشد لغيره :

لقَد زادَ الهلالَ إلىَّ حبًّا ... عيونٌ تلتقى عند الهلالِ

إذا ما لاح وهوسناً صغيرٌ ... نظرن إليه من خلل الحجالِ

« حدث بعضهم قال : لما كان يزيد بن المهلب بالشام مع سليمان أتاه رجل من أهل الشام أسمه عقيل لما ولى يزيد العراق ، فقال له : أحب أن تأذن لى فى صحبتك فقال له : إذا كنا بواسط لحقتنا ، فانصرفت عنه ، ولم أر أنه أذن لى ، فقبل لى : دون هذا يكفيك من يريد إذناً فلحقته بواسط ، فأنزلنى بدار الضيافة .

---

(١) رواية الديوان :

فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم ... وكان إذا ما بسل السيف يضرب

(٢) رواية الشطر الثانى فى الديوان « بجبلية فى مستحصر الحبل مكربت »

(٣) الأبيات لحبيب بن أوس الطائى — أبى تمام — ديوانه ص ٥٠ طبع محمد جمال

(٤) رواية الديوان . « أوجدت من حفظها »

وأجرى على ما يجرى على أضيافه . فلما كان فى الليلة الرابعة أحضرنى سمره ، فتحدث القوم وتحدثت معهم ، فأعجب بى ، ثم أفاضوا فى ذكر الجوارى ، فسكت ، فقال لى : مه ! ، فقلت :

أفاض القومُ فى ذكر الغوانى وقال القوم مَهْيَمَ ياعقيل

فقلتُ يقول أصحاب الجوارى فأما الأعزبُونَ فلن يقولوا

فضحك يزيد وقال : سنلحقكم بهم . فلما انصرفت أتبعنى جارية وخصيا وبغلة ، وفرش بيت ، وعشرة آلاف درهم ، ثم تابع ذلك لى خمسة عشر يوماً ، فأخذت خمس عشرة جارية وخمسة عشر خصيا ، وخمس عشرة دابة ، وخمسة عشر بيتاً ، ومائة وخمسين ألف درهم . فقلت له : لقد بلغت فوق الأمل ، فأذن لى باللحاق بقومى ليروا أثر نعمتك على . فقال : اختر ، إن شئت أقمت وولیناك ، وإن انصرفت وصلناك . فقلت : أبعد الذى كان صلة؟! فقال : مه يا عقيل ، إنما ذلك لطف للمقيم ، ولك عندنا هبة الشاخص . فوصلنى وانصرفت .

* ذكر بعض المؤلفين أن قوماً من الروم يدعون أنهم من غسان من آل أولاد جبلة بن الأيهم ، لمسير جبلة إلى بلاد الروم ، وقوم منهم يدعون أنهم من إياد وأنه دخل مع هرقل لما هزمه المسلمون من الشام وسبعين ألف عربى ، ونزلوا أنقرة . والديلم يدعون أنهم من بنى ضبة ، وكان باسل بن ضبة نافر إخوته فمضى إلى الديلم فأقام ببلادهم .

والترك يدعون أنهم من اليمن ، ويزعمون أن تبع الأكبر لما ارتحل عن غسان أنزل بها خلقاً عظيما من أهل اليمن ، فافترقوا فى البلاد ، وصار بعضهم إلى أن نزل آستانه . والأكراد يزعمون أنهم من قيس بن هوازن ، والأدرية يزعمون أنهم من العرب . وكان بابك يدعى أنه من خزاعة . والخزر تدعى أنهم من بنى أمية ، وأنه لما ظهرت دولة بنى العباس هرب قوم من أمية فتزوجوا فيهم ، وولدوا لهم الأولاد ، على أنهم على دين اليهود .

والبربر كلهم يزعمون أنهم من العرب ، فأما لواته ، ومزاية (زناتة) فيدعون أنهم من قيس . وفزان يدعون أنهم لخم ، وهوارة يدعون أنهم من عاملة انتقلوا من الشام . وزويلة يدعون أنهم من جرهم ، وصنهاجة وكتامة تزعم أنها من حمير . ومن النساب من يثبت ذلك لهاتين القبلتين خاصة .

والحبشة تزعم أنها من عرب اليمن لمسيرهم كان إلى أرض اليمن ومقامهم بها أربعين سنة . ونصارى الحيرة يزعمون أنهم من بلحارث بن كعب ، ومنهم من يزعم أنهم من لخم من رهط النعمان بن المنذر . ومنهم من يزعم أنه من رهط عدى بن زيد الشاعر ، ورهطه نصارى .

* كان محمد بن يزيد بن المهلب فى حياة أبيه غير نبيه ، ثم ملك الأمر بعده فخرج أسخى الناس وأكرمهم وأعفهم . قال له أبوه يوماً ورأى سفهه : احبسوه فلا يخرج من الحبس حتى تظهر له توبة ، فأقام فى الحبس سنة ، وكتب إلى أبيه من الحبس :

ماقِراهُ لمكرهٍ يقـــــراهُ ... قد رَوَاهُ الأَمير عن فُقَهائـِه

قـــد جَفَانِى لكَىْ أتَقرَّا ... فتقرَّيتُ خائفـــا لجفائه

والذى انطوى عليه المعاصى ... يعلم الله نيتى من سمائـــه

فقال : صدقنا عن نفسه ، أخرجوه ، ومروا له بعشرة آلاف درهم يستعين بها على شأنه .

وأنشد بعضهم :

حظُّ الأَديب من الدنيا هو العدمْ ... وللرقيع الوضيعِ المالُ والخدمُ

ترى الأَديب طوال الدهرفى خِلَقٍ ... والقَدْمُ يُبرى على أظفاره القلَمُ

هذا غِنىٌّ فقيرُ النفس مُحْتَقَـــرٌ ... وذا فقيرٌ قد اغنى نفسهُ الكرمُ

حسبُ الأَدِيب بأَن قد قلَّ مشبههُ ... وذاكَ تشركه فى جهْلهِ الأُمَمُ

وأنشد أبو هفان :

جمعتُ الذى لو كان يؤلم من أذى ... فَيُشْتكَى لهانَتْ عِنده أم مُلدمِ
غباوَةُ أصحاب الحديث ونَوْكُهم ... وتيه المغنى مع جنونِ المعلّمِ

وقال آخر :

يا باكي الأمواتِ إنك ميّتٌ ... فاجعل بكاءك إن بكيتَ عليكا
لاتبك غيرك وابك نفسك إنها ... أولى النفوسِ بذاك من عينيكا

وقال آخر :

إذَا أنت لم تستقلْ الأمرَ لم تجد ... لكفّيْكَ من إدبَارِه متعلّقا
إذَا أنتَ لمْ تَتْركْ أخاكَ وزلّةً ... إذا زلّها أوشكتما أن تفرّقا

* كان يقال : خمس يصبحن من خمس : الحرص من القراء ، والحدة من الأمراء ، والبخل من الأغنياء ، والفحش من ذوى الأحساب ، والقسوة من ذوى الأسباب :

حشوُ قلبي أدبٌ وافرٌ ... وبين ثوبيَّ فتىً شاعرُ
والرزق عنى نازح شاسعٌ ... والفقر عندى راكدٌ حاضرُ
ومارَجوْتُ الغنى طرفة ... إلا كبَا بِي جدّيَ العاثرُ
وليس لى عندك ياذا الندى ... عونٌ على الدهر ولاناصِرُ
فاكسُ جناحى ياشقيق العلا ... ريشاً فإني حامدٌ شاكرُ

* وأنشد الأصمعي لذى الرمة قوله : (١)

---

(١) ديوانه ص ٣١٠

على أننى فى كل سير أسيرُهُ وفى نظرى من نحوأرضِكَ أصْورُ(١)

فإنْ تصرِفْ الأيَّامُ يامىٌّ بيننا(٢) فلا ناشرٌ سرًّا ولا متغــيِّرُ

ألا إنما مَىٌّ فصَبراً بَلِيَّـــــةٌ وقديُبتَلى الحرُّ الكريمُ فيصبرُ

يذكرّنى ميًّا مِن الظَّبيِ عينُــــه مِرَاراً ، وفاهَا الأقحوانُ المنوّرُ

خَراعِيبُ أملودٌ كأنَّ بنانهــــا بناتُ النَّقا تَخفى مراراً وتظهرُ (٣)

* قال موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن بن على : خرجت من منازلنا بسويقة بجنح من الليل ، وذلك قبل خروج محمد وابراهيم ابنى عبدالله بن حسن فاذا أنا بنسوة فظننت أنهن خرجن من دارنا ، فنالتنى عليهن غيرة ، فأتبعتهن لأنظر إليهن اين يردن حتى إذا كنا بطرف الحميرى التفتت إلى إحداهن وهى تقول :

سُويقةُ بعد ساكِنها بنفــــسى لقد أمست أجدّ بها الخــرابُ

فعلمت أنهن من الجان ، فخرج محمد وابراهيم بعد ذلك فقتلا وخربت فقال موسى :

يَقول ألا تبكي أخاك وقد أرى مكان البكا أنْ تبيت على الصبر

* قال سعيد بن عقبة : نزلت بسويقة فاستوحشت لخرابها ، فقلت :

إنى مررت على دار فأحزنني لما مررتُ عليها منظرُ الــدار

---

(١) رواية الديوان : (من نحو دارك) وأصور : مائل

(٢) رواية الديوان : (فان تحدث الأيام يامى)

(٣) قبل هذا بيت يوضحه يقول فيه .

وفى العاج منها والدماليج والبرى قنا مالىء للعين يامى عبهر

العاج يعنى الأسورة ، والبرى : خلاخل ، وقنا : أوصال ، وعبهر : غليظ وخراعيب : لينة طوال يعنى الأصابع ، وأملود : نواعم الملمس ،

وحشاً خراباً كأن لم تغن عامرةً بخيرِ أَهْلٍ لمعتر ومـــزدار

من للأرامِل والأيتامِ تجمعهُم شتى الموارد : من ورد وصدَّار

مأوى الغريب وسارى اللَّيلِ معتسفاً وعصمة الضيف والمسكين والجار

لايبعد الله حيًّا كان يجمعهم كهلاً سويقة أخيارٌ لأخيـارِ

الدافعين عنِ المحتاج حاجَتَهُ حتى يَجُوزَ الغنى من بعد إقْتارِ

والرافعين لسَارِى اللَّيلِ نـارَهم حتى ينام على ضوءٍ من النَّارِ

* لما قدم بشر بن أرطأة إلى الكوفة أخذ القراء فقتل منهم ستة نفر ، وكان فيهم حجر بن عدى . فلما اتصل قتله بأهله أنشأت أخته تقول :

ترفَّع أيها القمـرُ المنيرُ ترفَّع هل ترى حجراً يسيرُ

تحيَّرت الجنائز بعد حُجْرٍ وطاب لها الخورنق والسَّديرُ

ألا يا حُجْر حجرَ بنى عَدىٍّ تلقيك السلامـة والسرورُ

فإن تهْلِكْ فكلُّ عميدِ قومٍ إلى ملكٍ من الدنيا يسيرُ

وقال له بشر لما قدمه ليضرب عنقه : أراك جزعاً من الموت . فقال : إن جزعت من الموت فقد رأيت قبرا يحفر ، وكفناً ينشر ، وسيفاً يشهر .

* مات رجل من أهل الشام فحضر الحجاج جنازته ، فقال رجل من الحاضرين : رحمك الله أبا فلان ان كنت لتجيد الغناء وتسرع رد الكأس . فقال له الحجاج : أفى مثل هذا المكان تقول هذا الكلام ؟ . فقال : أعز الله الأمير لو سمعته يغنى :

يالُبَيْنـا أوْقِدى النـارا إن من تهوين قد سارا

فقال الحجاج : قاتلكم الله يا أهل الشام . ما أوضح حجة أهل العراق فى جهلكم .

* وقال على رضى الله عنه : إن بين الحق والباطل أصابع ، ووضع يده بين اذنه وعينه فقال الحق هو أن تقول رأيت بعينى والباطل هو أن تقول : سمعت بأذنى . يريد أن لا يصدق المرء عن أخيه بكل ما سمع .

* قال أبو عبيدة : قطع الحجاج وهو بواسط الميرة من البصرة بعقب خروجهم مع ابن الأشعث ، فكتب وجوه أهل البصرة إلى عبدالملك فى ذلك ، فأمر أن ينظر كتاب الأحنف بن قيس فنظر فاذا برقعة لطيفة كأذن القط مكتوب فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الجائع تبلغ همته صنعاء ، وإن الشبعان تقصر همته عن سفوان . وقد حبس عنا الطعام ، وعليك السلام » .

فلما قرأه عبدالملك قال : أبو بحر يخبرنا فى رقعته أنه ما بقى عليه إلا أن أن يعوذ بتمائم سيفه . فكتب إلى الحجاج باطلاق الطعام إلى البصرة .

* قال عيسى بن عمر : لما احتضر ذو الرمة بأصبهان رفع رأسه إلى من كان عند رأسه وقال : هذا والله يومى وليس بيوم قلت : (١)

كأنِّى غَدَاةَ الزُّرْقِ يامَىُّ مُدنَّفٌ ... أُعَالِج نفساً قد أَتَاها حِمامُهـا

اللهم إنى لاقوى فأنتصر ، ولا برىء فأعتذر ، ولكنى ، ولكنى أشهد أن لا إله إلا أنت . ثم مات .

* قال أبو عبيدة : لما أوقع الجحاف السلمى ببنى تغلب بالبشر وهو ماءٌ على الفرات وقف الأخطل بين يدى عبدالملك بن مروان فأنشده : (٢)

لقد أُوقع الجحاف بالبشر وقعةً ... إلى الله منها المشتكى والمعـوَّلُ

فإلاَّ تغيِّرها قريشٌ بملكهـا ... يكن عن قريش مستماز ومزحَلُ

---

(١) الديوان ص ٧١٤ القصيدة رقم ٨٢ ورواية العجز
(يكيد بنفس قد أجم جمامها)

(٢) أورد ابن طبا طبا القصة والبيتين فيما زادت فيه قريحة الشاعر على لسانه .

فقال له عبدالملك : إلى اين يا ابن النصرانية ؟ . قال : إلى النار . قال : أما والله لوغيرها قلت لفرقت بين رأسك وجثمانك .

* قال الجاحظ : ركب المأمون فى بعض الليالى متظرفا ، فاذا هو بثمامة يتمايل على سرجه سكرا ، فحرك المأمون دابته حتى لحق ثمامة ، فضرب عجز بغلته بسوطه وقال له : ثمامه ؟ ! قال : إى والله ! . قال : سكران ؟! قال : لا والله . قال : أعرفتنى ؟ . قال : أى والله . قال : فمن أنا ؟ . قال : لا أدرى والله . فقال له المأمون : لعنة الله عليك . فقال : تترى يا أمير المؤمنين ! !

قال أبو عبيدة : ما رأيت رجلا مدخول النسب أجرأ على أحساب العرب من يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى . كان قد صحب عباد بن زياد ، فلم يحمد صحبته فهجاه وطعن فى نسبة فأهانه عبيدالله وضربه ، وأركبه على بعير ، وطاف به ، وجعل بين يديه صورة خنزير ، وخلفه صورة قرد ،وسقاه نبيذ الدفل ، وكان يحث كلما مشى به ، ونفاه إلى القندهار من بلد الهند ، وكتب إلى من بالشام من اليمن :

أصبحت لامن بنى قيس فتضربنى بكر العراقِ ولم تغضب لنا مضرُ

ولم تكلم قريش فى حليفــــهم إذ غاب ناصره بالشام واحتضروا

لو أننى شهدتنى حميرٌ غضبت وكان حقاً لها فى أمرنا غِـيَرُ

بقُندهار ومن تكتب منيتـــــه بقندهار يرجَّمْ دونــه الخـبرُ

فلما قرأ أهله اليمانية هذه الأبيات رحل مائة رجل من حمير من حمص إلى دمشق فلقوا معاوية داخلا إلى المسجد ، فشكوا إليه ما نيل من صاحبهم ، ثم قالوا عليهم الطلاق لئن لم يرد إلينا يا أمير المؤمنين لنقتلن به خير رجل من عبد شمس . فكتب إلى ابن زياد فيه فأرسله إليهم .

* قال الجاحظ : كانت بنو مالك تجاور الغوث من طىْ ، فأنشدنى عمارة لنفسه :

لمن طللٌ بذات السِّدرِ حافٍ   عفاه القطر بعدكَ والسوافى

سليمى ، لو علمت بلاءَ قومى   وقودهم على بعد المسافِ

جيادهُم إلى الأَعداءِ حتى   لقينا الغوثَ بالموت الذعافِ

بكل مجرب فى الحرب صدقٍ   ومؤتنفٍ يجالدُ بالجزافِ

إذا لحمدتنا ولقلتِ قومى   فداكم كل منتعلٍ وَحَافِى

* حدث أبو عبيدة عن رجل من الميسرين قال : كنت أسير مع ركب من أصحابى فأنا بالفدفد وقد جن الليل وأضللنا الطريق وجاذبتنى الراحلة زمامها ، فتركتها وسرت وحدى بسيرها ، فانى لكذلك إذ سمعت كلاماً فعدلت نحوه ، فاذا أنا بشيخ منحنى الصلب ، فحرصت على إتيانه ، فأتى فقال : هل لك إلى رجل إلى مثلك بالأشواق.قلت : بلى قال : فمشى واتبعته إذ دنا من شجرة ، فقال : ها ايه ها ايه ، فاذا بشيخ قدهب فى وكر من الشجرة فقال له : هذا رجل من العرب . فقال لى : إيه . قلت : إيه . فقال لى : من أى العرب أنت ؟ ، فقلت من المحضرة . قال من أيها ؟ . قلت : من المبقوشه . قال : أنتسبت . قلت : من ولد قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن مدركة . قال ابن أخى : أنا ترب كنانه . أتعرف جياداً فقعيقعان ؟ : يقلت : نعم . قال : فتدرى لم سمى جياداً قلت : لا . قال : نحن قوم من جرهم أجلتنا خزاعة فاستبسلنا للموت ، وجاد الوادى بالدم فسمى جيادا ، أنا عمرو بن مضاض الجرهمى أنا الذى أقول :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكة سامرُ

بلى نحن كنا أهلها فأزالنا   صروفُ الليالى والجدودُ الغواثِر

فأخرجنا منها المليك بقدرةٍ   كذلك ، يا للناسِ تجرى المقادرُ

فصرنا أحاديثا وكنا بغبطةٍ   كذلك عضّتنا السنون الغوابرُ

فسحت دموع العين تجرى لبلدةٍ　　بها حرمٌ أمنٌ وفيها المشاعِرُ

ثم خفق كأن لم يقل شيئاً ، واسترشدت الطريق فأرشدت .

* وأنشد الأصمعى لشوسة الفقسعى يصف صيده للذئب :

لله درّ أبى الحصين لقد بَدت　　منه مخايلُ حُوَّلىٍّ قُلَّبِ

وردَ الحبائلَ وهى صورٌ نحوهُ　　طمعاً لتعلُقه وإن لم تنشُبِ

حتى إذا شملَتْ معاقدَ طرْفِه　　أرجاؤُها بتأنُّسٍ وتأدُّبِ

ويَداه واسطتان لما تَقدُّمَا　　أو تنكُصَا لورود عزم المنكبِ

صرخت به نفسُ النجىِّ مخَافةً　　إنّ النجاح لأثغرٍ متشعّبِ

فاستبدرت إحدى يديه القهقرى　　وثَنَتْ به الأخرى ثنىّ تهيُّبِ

فنجا وهل ينجو من اخطاه الرَّدى　　فى العود من أيْدِى الردى المتأوِّبِ

لم ينج بعد نجَاته من ساعةٍ　　إن قام قومة نافض مترقبِ

فظللت منه لمرنا فى شخصه　　فى كل حالٍ أمَّها أم مذهبِ

متعانيا طورا لدى استشرا فِه　　فإذا توهَّدَ فى مجالٍ أرتَبِ

حتى دنوتُ وقام منى شخصُه　　بمقام دانٍ للرماية مكثبَ

فنحوتُه سهمى فأنفذ مَتْنَهُ　　شكًّا وأى فريسةٍ لم أنشِبِ

ثم انصرفت إلى بُنَىِّ مالِئاً　　كفَّىّ مغتبطاً بعيشٍ مخصبِ

أبنَىَّ أية خَلَّةٍ محمودةٍ　　صعُبَتْ على الطُّلابِ أو لم تصعبِ

ألفيتَنى أهويْتُ نحو طلابها　　فأطلتُ كدَّك مِنْ كريم المطلب

لا تشرئِب إذا عنيت بصالح　　وإذا عنيت بسوأة فاشرأْبِبِ

كم ليلةٍ ليلاَءَ ملبسة الدجـى أفقَ السماءِ سريت غير مهيب

رَبط السحابَ بها فضول ردائـه فمتى يقل برقٌ له اسكُبْ يُسْكُبِ

فصبرت حتى شق ثوب ظلامه عن لونِ ثوبٍ مثل لون الأشهبِ

وأنشد الأصمعى لرجل من بنى فقعس :

صبَّ الإله على عُبيد حـيةً لاتنفعُ النفثاتُ منها والرُّقَ

جَبَلِيَّةٌ تسرى إذا ما جَنَّهـا ليلٌ وتكمن بالنهار فلا تُـرىَ

مَهْرُوتَةُ الشِّدقين ينطف نابهـا سمًّا ونفحتها تهـابُ وتتـقَ

قصرت لها عنقٌ وسائرِ خلقِها عينٌ تبصُّ كمثل مصباحِ الدُّجى

وكأنما سَلَمَتْ بأعلا جِلدهـا بُرداً من الأَفوافِ أنهجَهُ البلى

رقشاءُ ترتصد الطريق إذا دنا منها المساءُ كأنها سنا رشَـا

قرناءُ انشأها الإلَه فأدركت عاداً فليس لنهشةٍ منها شِفـا

أوحيةٌ ذا طعنتين أحـلَّهُ آباؤه فى شامخ صعب الذُّرى

فنشا بغارٍ مُظْلِمٍ أرجـاؤه لا الريح تَصرِدُه ولابْردُ الندى

فى عينه قتلٌ وفى خيشومـه فَطَسٌ وأنيابٌ له مثل المـدى

يلقا بريرًا جامِشًا متخلفـا عن رفقة قَدْ مَتَّه طولُ السُّرَى

فتخوضُـه فى عَقْبِه بمذرَّبٍ مَاضٍ إذَا نَحَّا على عَظْمٍ فَرَا

وأنشد على بن سليمان الأخفش لأبى على البصير :

ياجامعاً مانعاً والدهر يرمقُـه مفكراً أىَّ بابٍ فيه يغلقُـه

حميتَ مالاً ، ففكرّ هل جمعت له ياجامعَ المالِ أياماً تفرّقُـه

المالُ عندك مخزونٌ لوارثــــه ما المالُ مالكَ إلا يومَ تنفقُه

إرْفَهْ بِبال فتىً يغدو على ثقةٍ إن الذى يقسم الأَرزاقَ يرزقُــه

فالعِرْضُ منه مصونٌ ليسَ يُدْنِسُهُ والوجه منه مصون ليس يُخْلِقُهُ

إنَ القناعة من ينزلْ بِساحتهَــا لايَلق فى ظِلهَا هَمًّا يُؤرِّقُـــه

بلْ روْح عزٍّ وريًا كلِّ مكرمَةٍ ووجْهَ رشدٍ يلاقيه فيونقُــــه

وقال منصور بن عمار الفقيه ، وكان حلو المقطعات :

قد قلتُ لما استقلُّــوا بالديـــر ميتاً وراحُــوا

لاهم فــدَوْه ولاهُـــمْ بكَوْا عليـــه وناحُــوا

كأنما فارقـــوا منـــه ظَالمــاً فاستراحــوا ..

لــو كان للـدين أَهلٌ شَقُّوا عليــه وصاحــوا

وقال محمد بن عبدالملك الزيات الوزير لما قدم ليلقى فى تنور نار :

سلْ ديار الحىّ ما غيرَّهـا وعفاهــا ومحــا منظرَها

وهى الدنيا إذا ما أَدبرت صيرَّت معروفها منكرهَــا

فهرست قوافى الشعر

الهمــزة

(ب)

— ل —

م

دوانى (٢)	النجاشى	٢٠٣
حنينى (٣)	—	٢٠٨
المبين	آخر	٢٤٠
الرعيان	الأخطل	٢٤١
شفانى بنانى	قيس بن زهير	١٦٠
محاسنِ (٢)	الطرماح	٢٦٠
ومكانى (٣)	صخر بن عمرو بن الشريد	٢٦٢
غضبان (٦)	الفند الزمانى	٢٨١
ضننوا (٥)	قعنب	٢٨٨/٢٨٧
تخنى (٥)	آخر	٢٨٩
يلينى (٥)	ذو الإصبع العدوانى	٢٨٦
عرفونى	جميل	٣٠٢
الأركان	جرير	٣٠٤
زانى	معاوية	٣٣١
قتلانا	جرير	٣٣٦
الزانى	ابن أم الحكم	٣٣١
جانى	—	—
دوانِ (٢)	النجاشى	٣١٠
أوانِ (٢)	عباس بن مرداس	٣٢٢
تريانِ (٢)	النابغة	٣٢٢
تعلمينا (٢)	عفيف	٤٦
فأصبحنا	—	٥٤

***

فهرست الأعلام

أسماء الرجال والنساء والشعراء والقبائل والأماكن

(ا)

(ت)

(ث)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ش)

(ص)

(ع)

(ق)

(ق)

(ل)

(م)

مخلد بن يزيد بن المهلب ٦٣

(ن)

(هـ)

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة